الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

جامعة التحدي

كلية الاقتصاد - قسم العلوم السياسية

تأثير العولمة على الثقافة العربية

إعداد الطالب :

محمد معتوق العايش

إشراف الأستاذ الدكتور /

بسيوني محمد الخولي

قدمت هذه الدراسة استكمالاً لمتطلبات درجة الإجازة العالية "الماجستير"
في العلوم السياسية

1375 و.ر - 2007 ف

الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

جامعة التحدي – سرت

كلية الاقتصـــــــــاد

قسم العلوم السياسيـــة

تأثير العولمة على الثقافة العربية

إعداد : محمد معتوق العايش

لجنة الإشراف والمناقشة تتكون من :

أ.د . بسيوني محمد الخولي مشرفاً ورئيساً .....

د. عبدالحميد محمد النعمي ممتحناً خارجياً .....

د. حسين العيساوي مصباح ممتحناً داخلياً .....

أ. زهير عمر دردر

أمين مكتب الدراسات العليا بالكلية

يعتمد :

أ. علي محمد عبدالسلام

أميـــن اللجنة الشعبية للكليـــــة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾

صدق الله العظيم

الإهداء

إلى كل

الذين يؤمنون بأن بناء المشو أصعب من أي بناء أخر

إلى كل

الذين يؤمنون بأن العلم والعمل الجاد المخلص

هو السبيل الوحيد للتقدم .

الشكر و التقدير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وبعد شكر الله عز وجل

أتقدم بجزيل الشكر وعظيم التقدير وخالصه للدكتور

بسيوني محمد الخولي

لتكرمه بالإشراف على هذه الرسالة ولما قدمه من توجيهات وأراء سديدة وجهود متواصلة ومتابعة مستمرة كان لها الأثر الكبير في إنجاز هذه الرسالة

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
الآية	أ
الإهداء	ب
شكر وتقدير	ج
فهرس المحتويات	د
المقدمة	1
الفصل الأول : إطار نظري في المفاهيم	9
المبحث الأول : مفهوم العولمة	12
المبحث الثاني : مفهوم الثقافة	64
المبحث الثالث : الجانب الثقافي للعولمة	114
الفصل الثاني : الثقافة العربية	132
المبحث الأول : تعاريف الثقافة العربية	134
المبحث الثاني : مكونات الثقافة العربية	140
المبحث الثالث : وسائل التعبير عن الثقافة العربية (اللغة العربية)	152
المبحث الرابع : مخرجات الثقافة العربية	162
الفصل الثالث : دراسة وتحليل تأثير العولمة على الثقافة العربية	192
المبحث الأول : تأثير العولمة على مكونات الثقافة العربية	194
المبحث الثاني : تأثير العولمة على وسائل التعبير عن الثقافة العربية	203
المبحث الثالث : تأثير العولمة على مخرجات الثقافة العربية	213
المبحث الرابع : إستراتيجية مواجية تأثير العولمة على الثقافة العربية	223
الخاتمة	250
قائمة المصادر	255

المقدمة

تعيش الإنسانية تحت ظلال ثورة جديدة هي ثورة المعلومات، هذه الثورة مادتها الخام هي البيانات والمعلومات والمعارف والذكاء ، ووسائل إنتاجها هي تكنولوجيا الكمبيوتر وتكنولوجيا التحكم الأوتوماتيكي والبرمجيات .

وقد أحدثت طلائع هذه الثورة أصداءاً واسعة في حياة المجتمعات الإنسانية خلال العقد الأخير من القرن العشرين فظهر عن المستوى السياسي مفهوم النظام العالمي الجديد ، وظهر على المستوى الاقتصادي والثقافي مفاهيم مثل العولمة وما بعد الحداثة ، ونتيجة الطفرة الكبرى في مجال الاتصالات ظهرت نظرية أيديولوجيا الاتصال ، وظهرت القنوات الفضائية التلفزيونية وشبكات المعلومات المحلية والإقليمية والدولية لتمثل القمة الأكثر بروزاً على سطح خريطة الحياة الإنسانية ، وأصبحت تمثل سبباً فاعلاً ونتيجة مباشرة للظواهر السياسية والثقافية والاجتماعية .

وبدت الثقافة وهي تحتل مكان الصدارة مع بداية هذا العصر ، ونجدها تتحول من عامل مساعد في الحوار والتلاقي والمواجهة بين الشعوب إلى سلاح استراتيجي حاسم في ظل العولمة ، وفي رحاب المجتمع الصناعي واقتصاد السوق تبدل محتوى الأشياء لاسيما الحضارة والثقافة والسياسة والاقتصاد ، وتحولت التكنولوجيا إلى نوع من الايديولوجيا ، وتغيرت وسائل التخاطب والتواصل والرموز والإشارات ، الأمر الذي يدفع إلى القول : إن المجال الثقافي أصبح أكثر شمولاً ، فتخطى الأطر الضيقة ولجأ إليه الناس برغبة منهم أو عدمها ، وحصل أختلاف معرفي في تحديد الثقافة ، فبعد أن كان المكان الذي تلتقي فيه الجماعات التي تتفاعل وتتأثر بالأعمال الحضارية على أنواعها ، أصبح مفهوم هذا المكان مبهماً بتأثير من الزمن الحديث الذي شاء أن يحصل هذا التقدم الهائل مع دخول التقنيات الحديثة التي أصبحت في تناول جميع الناس ، تؤثر فيهم وتتحكم باتجاهاتهم وتحدد سلوكهم في أطار التنمية الشاملة التي تتبناها العولمة .

كثيرة هي الكتابات حول العولمة ، وقليلة هي الكتابات الجريئة حول تأثير العولمة في الواقع العربي ، ذلك أنها فكرة لم تتبلور بعد عند الكثيرين الذين دخلوا ميادين السياسة والاقتصاد والثقافة ، أو الذين لا يزالون بعيداً عن الأضواء والتأثيرات التي تجرى سواء على صعيد محلي أم على صعيد عالمي .

أثر العولمة على الثقافة العربية دراسة تحاول أن تدق أديم العرب وبالتحديد الثقافة العربية ، وتطرح السؤال المصيري حول جملة من القضايا التي ارتبكت مفاهيمها واختلطت المفاهيم وارتسمت في الآفاق طروحات جديدة تمهد لتوحيد الحضارة الكونية بل البشر أجمعين ... والأكثر أهمية من ذلك ، إلغاؤه الخصوصية وتخطي الهوية والركون إلى العام والمشترك وفق تطلعات كبيرة تنتجها فئة تتحكم بالمجالات الحيوية العالمية ، وما يجب هو الدخول في عمق القضية الثقافية التي أحاطت بوجودنا من كل جانب ، فإذا كانت العولمة بدأت مع نهاية القرن العشرين اقتصادية أصبحت الآن ثقافية .

فلاشك أن العولمة الثقافية سوف تصبح إحدى الأسلحة الفتاكة بكثير من الشعوب التي ليست لديها القدرة على الدفاع عن هويتها ومصادر ثقافتها، والعربي خصوصا تواق إلى ذلك الماضي بقدر حبه للمستقبل، لأن الماضي الذي بناه الأجداد والأسلاف هو الماضي القوي المتجذر والحضاري المستنير، وبما تتعرض له هذه الأمة من تحديات ومن ضمنها ظاهرة العولمة التي تعني توحيد العالم سياسياً واقتصادياً وثقافياً ، وتعتبر شيئاً لا مفر منه، ولا يوجد وسيلة للتصدي لها أو الهروب منها ، لأنها تعتبر لحظة من لحظات التطور الرأسمالي العالمي .

ولابد من التكيف معها بطريقة إيجابية وخلاقة وأخذ مكاسبها وترك سلبياتها .. وخاصة بعد تعميق موجات العولمة وخاصة في الجانب الثقافي .

وهذا يحتم علينا نحن العرب أن ندخل غمار هذه العملية الكبرى بفهم منطلقاتها ومفاهيمها بأسلوب علمي ونموذج معرفي كامل ومتكامل ، شاملاً جميع الجوانب السياسية والاقتصادية والثقافية ، حيث استطاعت أوروبا والغرب عموما منذ الاحتكاك الثقافي والعسكري والسيطرة على الشعوب العربية أن تنسج علاقة تبعية بين ثقافات هذه الشعوب والثقافة الغربية ، ومن هنا تبدأ مشكلة الدراسة .

أولاً : الدراسات السابقة :

إن العولمة ليست شيئاً جديداً فإن كل محاولات الهيمنة العالمية تعتبر مرحلة من مراحل العولمة ، كما أن مرحلة الثورة الصناعية الأولى يمكن اعتبارها كذلك مرحلة من تلك المراحل .

أي أن العولمة تمثل ظاهرة قديمة ، كل ما في الأمر أنها الآن تكتسب من الزخم ومن الآليات بسبب تزايد ترابط العالم نتيجة الثورة الاتصالية ، وبسبب هيمنة قوة معينة على النظام العالمي، ونظراً لقدم الظاهرة فهناك عدة دراسات تطرقت لموضوع العولمة الثقافية ، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يأتي :

1. تناول الدكتور محمد عابد الجابري العولمة والهوية الثقافية في عشر أطروحات واستنتج أن كل من بالوطن أو بالأمة أو بالدولة هو مس بالهوية الثقافية والعكس صحيح أيضاً ، كما أستنتج أن التجديد في ثقافتنا كان يراد له أن يتم من الخارج بنشر الفكر الحديث على سطحها و أكد أن تجديد الثقافة – أية ثقافة لا يمكن أن يتم إلا من داخلها .

2. كما تناول الدكتور عبدالإله بالقزيز العولمة والهوية الثقافية وهل هي عولمة ثقافة أم ثقافة معولمة ؟

واستنتج أن مقاومة العولمة الثقافية ليست دعوة لقطع التفاعل الثقافي مع الخارج ، بل هي طريقة للقول أن الثقافة العالمية الحقيقية هي ثقافات سائر المجتمعات من دون استثناء ، والكونية هي التمييز في مجال الرموز .

3. الدكتور محمد عمر الحاجي تناول في كتابة عولمة الإعلام والثقافة مفهوم العولمة ودور وسائل الإعلام الغربي في تشويه صورة العرب والإسلام من خلال تعميم نموذجه الثقافي على هذه المجتمعات، وذلك من خلال التأثير على المفاهيم الحضارية والقيم الثقافية والأنماط السلوكية لأفراد هذه المجتمعات بوسائل سياسية وإقتصادية وثقافية وتقنية متعددة من خلال ديناميه الاختراق واستعمار العقول واحتواء الخبراء، وأستنتج الهدف الواضح من العولمة الثقافية

فهي لا تبتعد عن كونها سياسة إمبريالية ، نشأت في رحم الاقتصاد ، ودرست بعناية فائقة ، ووضع لها الهدف المحوري وهو تسويق النموذج الرأسمالي الليبرالي في مجالات الاقتصاد والسياسة والثقافة والفكر .

4. تناولت دراسة الدكتور أنمار لطيف نصيف جاسم ، العالمية الجديدة ، الأمركة ثقافة انفتاح أم ثقافة هيمنة .

ورأى أن التعامل مع الثقافة العالمية أمر لابد منه ، سواء تلك الثقافة السائدة في أمريكا في إطار ما يسمى (بأمركة العالم) أو غربية وفق المبادئ الليبرالية المتبعة، وأكد أننا أمام التطور الهائل في ثورة الاتصالات والمعلومات لا نستطيع القول ، أننا لا نقبل بالثقافة الأمريكية ، لأنها ستكون موجودة على شبكة الانترنت أو في الإنتاج السينمائي والتلفزيوني أو من خلال التعامل مع المصادر البحثية والعلمية ، ولكن لابد من تحديد ما هو مسموح وما هو ممنوع وما هو محرم ، فليس كل نتاج ثقافي أو فكري يتصل بالحياة الاجتماعية الأمريكية والأوروبية ينسجم ثقافياً واجتماعياً مع قيم ومثل وعقائد العرب ، لأن طبيعة التفكير وأبعاده وجذوره تختلف في المجتمع العربي عنه في المجتمع الأمريكي والأوروبي .

5. إصدارات مكتبة الأهرام للبحث العلمي العولمة (2003-2004) تناولت العولمة ومفهومها والغزو الثقافي للعالم العربي وتم استنتاج الآتي :

* أن التحديات التي تعاني منها الثقافة العربية في ظل العولمة كبيرة وخطيرة وتحتاج إلى مبادرات عاجلة وفاعلة .
* الثقافة العربية بحاجة إلى إعادة بناء وتجديد وتفعيل من الداخل لتهيئتها للمقاومة والتصدي .
* ضرورة الاهتمام بقطاع التعليم شكلاً ومضموناً والبحث عن الوسائل الفعالة لإخراجه من الثنائيات التي تحكمت فيه من خلال العقود الماضية .

من خلال النظر إلى الدراسات السابقة نلاحظ أن البعد الثقافي للعولمة ينصرف إلى معالم ذات طبيعة عمومية لارتباطها بالعالمية الواسعة في كافة المجالات ، وينتهي إلى مفهوم العولمة الذي يشير إلى عالم واحد ، تسوده الثقافة

الواحدة التي تفرضها المضامين الاقتصادية الجديدة التي أنتجتها ثورة المعلومات والتكنولوجيا إلا أن الموضوع لازال محور حوارات متنوعة باعتباره هاجس العصر وأحد الرهانات الفكرية التي تعني بمستقبل البشرية .

إن هذه الدراسة تتميز عن سابقاتها بأنها تحاول الكشف عن مدى خطورة هذه الظاهرة على الثقافة العربية من خلال اختيار موضوع تأثير العولمة على الثقافة العربية، على اعتبار أن الوطن العربي من بين أبرز مناطق التنافس في العالم في إطار سياسة العولمة ، كما أن العالم العربي اليوم ، يعاني من فقدان تلك الفكرة النهضوية الواعدة بمستقبل خال من الاستعمار والتجزئة والتبعية بالنسبة لثقافته العربية .

ولتحديد هذا التأثير وطبيعة أهدافه ونتائجه في ظل عصر التقنية العالمية ولغة الاتصال المختصرة للجهود والمسافات والأزمنة في ظروف سيطرة قطب واحد على العالم ، فهل هناك تأثير حاسم واضح للعولمة على الثقافة العربية ؟ وما هو الأثر الناتج عن علاقة التأثير والتأثر بين العولمة والثقافة العربية ، هذا ما ستحاول الدراسة الإجابة عليه ، مع تقديم النهج القويم الذي يجب أن تتبعه الثقافة العربية لتستطيع أن تجابه تيار العولمة الجارف وتتحاشى مخاطرها التي عانت منها كثيراً الشعوب العربية .

ثانياً : المشكلة البحثية :

إن الحديث عن الثقافة والهوية العربية والتحديات التي تواجهها من قبل الحضارة الغربية ليس وليد بروز ظاهرة العولمة الثقافية، وإنما يرجع إلى بداية الاحتكاك الثقافي والعسكري ، قبل قرنين من الزمان تقريباً ، وقد عُرف هذا الاحتكاك بالمد والجزر والتصادم والعدوان، ولكن ما يميز ظاهرة العولمة هو كون التحديات الآن أخذت بعداً آخر أكثر شمولية وأكثر خطورة وتعقيداً ،وقدرتها على التأثير أصبحت مضاعفة وغير محدوده وأمام الإخفاقات التي تعاني منها الثقافة والاقتصاد والسياسة داخل العالم العربي ، فإن أرضية التأثير والاستيعاب أصبحت مهيئة أكثر لاستقبال موجات الثقافة الغربية ، لغزو كل نواحي الحياة

الثقافية العربية وأهميا اللغة العربية باعتبارها أداة فاعلة لنقل الثقافة والمحافظة عليها وخط الدفاع الأول عن الهوية الثقافية العربية .

إن الثقافة العربية هي أول الثقافات المعنية فعلاً بقضية العولمة على اعتبار أن المنطقة العربية من أبرز مناطق التنافس في العالم، وستتأثر بشكل أو بآخر بهذه العولمة من الناحية الثقافية، ولتحديد هذا التأثير وطبيعة أهدافه حاولت الدراسة الإجابة على الأسئلة التالية :

- كيف تتم عملية التأثير والتأثر بين العولمة والثقافة العربية ؟
- ما هو أثر العولمة كظاهرة عالمية على الثقافة العربية ؟
- ما هي مخاطر العولمة وتحديداً العولمة الثقافية ؟ وكيف يمكن الحد من تأثيرها على الثقافة العربية ؟

ثالثاً / فرضية الدراسة :

تستند هذه الدراسة إلى فرضية مفادها أن للعولمة تأثيراً مباشراً على الثقافة العربية تنتج عنه آثار واضحة يمكن تحديدها وتحليلها .

رابعاً : أهمية الدراسة :

أهمية الدراسة تكمن في أنها تعالج جانباً مهماً من جوانب العولمة وهو الجانب الثقافي وذلك للوقوف على أبرز التحديات الثقافية للعرب التي تستدعي من الشعوب العربية تقديم الاستجابة الفاعلة لمواجهتها .

كذلك تتمثل أهمية الدراسة في الوقوف على أثر العولمة في تحديد المثل والخصوصيات والرموز للثقافات الأخرى، وكذا معرفة الأثر الذي تتركه العولمة على الثقافة العربية .

خامساً : أهداف الدراسة :

تتمثل أهداف الدراسة في الآتي :

1. مناقشة مفهوم العولمة وفهمها وبلورة ردود الفعل المثلى إزاءها .
2. معرفة الاتجاهات الأساسية لظاهرة العولمة التي تؤثر من خلالها على الثقافة العربية .
3. معرفة أهم آليات مقاومة العولمة الثقافية .

سادساً : التعريفات الإجرائية :

1. التأثير : هو النتائج الناتجة عن علاقة بين متغيرين يباشر الأول تأثيراً على الأخر .
2. العولمة : هي تطور نوعي في التاريخ الإنساني تشمل كل جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية نسجت شبكة من الاتصالات والمعلومات عبر الكرة الأرضية بتدفق السلع والخدمات والأفكار والصور والبشر متجاوزة الحدود السياسية والثقافية مختزلة الزمان والمكان .
3. الثقافة : هي ذلك المركب المتجانس من التصورات والقيم والرموز والتعبيرات والإبداعات والتطلعات التي تحتفظ لجماعة بشرية تشكل أمة ، بهويتها الحضارية وقابليتها للتواصل والأخذ والعطاء .
4. العولمة الثقافية : هي محاولة مجتمع ما تعميم نموذجه الثقافي على المجتمعات الأخرى وذلك من خلال التأثير على المفاهيم الحضارية والقيم الثقافية والأنماط السلوكية لأفراد هذه المجتمعات .

سابعاً : حدود الدراسة :

1. حدود مكانية : مكان الدراسة المنطقة العربية .
2. حدود زمانية : فترة الدراسة خلال عقد التسعينات من القرن العشرين الذي ازدهرت فيه العولمة .

ثامناً : مناهج الدراسة :

اعتمدت الدراسة على مناهج تتمشى وطبيعة الموضوع، وقد استهلت الدراسة بمحاولة إيجاد تعريفات لظاهرة العولمة، وكيف يجب أن تفهمها الشعوب العربية، وقد استخدم المدخل التاريخي لدراسة ظاهرة العولمة وهل هي ظاهرة قديمة أو حديثة .

واستخدم المنهج التحليلي لاستنباط الأسباب والدوافع التي صاحبت ظاهرة العولمة ، والتي هي نتائج لأسباب استعمارية قديمة تغذيها الدول الكبرى لإدامة التفرقة والتخلف والحروب ، لغرض الهيمنة على العرب وتغيير عاداتهم الثقافية كما تم استخدام المنهج المقارن لبحث ودراسة القيم الثقافية المختلفة بين المجتمعات.

تاسعاً : تقسيم الدراسة :

تم تقسيم الدراسة إلى ثلاثة فصول على النحو التالي :

تناول الفصل الأول : إطاراً نظرياً في المفاهيم وتتمثل أهم تلك المفاهيم في مفهوم العولمة ومفهوم الثقافة ومفهوم الجانب الثقافي للعولمة .

أما الفصل الثاني : فقد خُصص لدراسة الثقافة العربية من خلال أربعة مباحث :

الأول : عن تعاريف الثقافة العربية .

الثاني : عن مكونات الثقافة العربية .

الثالث : عن وسائل التعبير عن الثقافة العربية (اللغة العربية) .

الرابع : عن مخرجات الثقافة العربية .

في حين جاء الفصل الثالث : ليتناول تأثير العولمة على الثقافة العربية ، وقد تم ذلك التناول من خلال أربعة مباحث هي :

الأول : أهتم بتأثير العولمة على مكونات الثقافة العربية .

الثاني: تأثير العولمة على وسائل التعبير عن الثقافة العربية .

الثالث : أنصرف إلى دراسة تأثير العولمة على مخرجات الثقافة العربية .

الرابع : أهتم باستراتيجية مراجعة تأثير العولمة على الثقافة العربية .

الفصل الأول

إطار نظري في المفاهيم

الفصل الأول

الإطار النظري في المفاهيم

لعل ما يثير الإنسان في شتى بقاع الأرض ما يحدث الآن بفضل المتغيرات الدولية وأدوات هذه المتغيرات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية التي تشكل إطاراً للعولمة التي تسعى للنفاذ إلى المجتمعات أينما كانت للعمل عن تغيير أنماط السلوك وإعادة صياغة منظومة القيم بشكل يتفق وما تخطط له القوى المسيطرة على هذه الأدوات .

ويثير مفهوم العولمة الكثير من النقاش والجدل ، ابتداء من التعريف بالمفهوم مروراً بتحديد أبعاد العولمة ومظاهرها ، إضافة إلى رصيد وتحليل تأثيراتها على الدول والمجتمعات وبخاصة دول العالم العربي .

حيث يشير مفهوم العولمة إلى عالم تقترب فيه المجتمعات والثقافات والدول والأنشطة الاقتصادية من بعضها ، وتتكاثف العلاقات الاجتماعية على المستوى العالمي بحيث تتأثر الأحداث المحلية بالأحداث التي تقع في العالم – إن طرح مفهوم العولمة يعتبر مصطلحاً من المصطلحات الجديدة في العالم على ساحة الفكر ، وهو الأكثر إشكالية والأكثر إثارة للنقاش واختلاف وجهات النظر للعديد من التيارات الفكرية والثقافية ولدى العديد من الباحثين والمفكرين في العالم ، حيث ترتبط هذه الظاهرة ارتباطا شديداً ومحكماً ، من ناحية بالمتغيرات السياسية العالمية ، خصوصاً بعد أنتهاء الحرب الباردة وانتصار الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها الغربيين في تلك الحرب باشر هؤلاء أنفسهم حرباً جديدة من أجل السيطرة الكاملة على العالم . وهذه يمكن تسميتها حرب الكلمات ذلك أنها بدون إراقة دماء وربما من دون طلقة واحدة قادرة على إبادة الجيوش الوطنية وزعزعة الحدود الدولية والقومية ، وتقويض استقرار شعوب بأكملها والسلاح الأساسي في هذه الحرب ثقافة العولمة ، وترتبط في الوقت نفسه بالثورة التكنولوجية و الاتصالات وثورة المعلومات التي يشهدها العالم والذي يؤدي

بدوره إلى خلق ثقافة عالمية ، ومن ناحية أخرى بالتوسع في السوق العالمية الرأسمالية التي باتت قادرة على الدخول إلى أماكن كانت مغلقة عليها .

وذلك عن طريق عولمة الثقافة لتلك الشعوب لتدخل وتتجدد في كل نفس وهو زمن استعماري جديد .

وسوف يتناول الباحث هذا الفصل في ثلاثة مباحث وفق التالي :

المبحث الأول / مفهوم العولمة .

المبحث الثاني / مفهوم الثقافة .

المبحث الثالث / الجانب الثقافي للعولمة .

المبحث الأول

مفهوم العولمة

تمهـــيد

مع بداية عقد التسعينات ، تمثلت حركة الأحداث والتطـــورات فـــي عالمنـــا المعاصر بازدياد درجة عدم اليقين بالنسبة لمستقبل اتجاهات هذه الأحداث والتطورات وبدأ يتعمق إدراك حقيقة أن مالا نعرفه بشأن هذا الموضوع أصبح يفوق بكثير حجم ما نعرفه ، وأنها لمفارقة تحتم علينا بالضرورة أن نتعامل معها بحذر منهجـــي مـــع وضع جديد لم تكتمل معالمه بعد ، ذلك هو بروز ظاهرة العولمة كإطار جديـــد فـــي العلاقات الدولية ، اتسم بالتغير السريع ، وأصبحت المشكلات والقضايا التي يواجهها هذا الإطار ذات طابع عالمي . وفي هذا المبحث سوف يتناول الباحث مفهوم العولمة والتعريف بها لغة واصطلاحاً ، وتتبع نشأة هذه الظاهرة ومراحل تطورها ، والتمييز بين ظاهرة العولمة والمفاهيم الأخرى وبيان أوجه الفرق بينهما ، وسوف يتم تنـــاول أبعاد العولمة ، ونهيل عليها طابعاً تحليلياً ، وكذا على نتائجها وآفاقها على المســـتوى العالمي ، وسوف نوضح ذلك في الآتي :

أولاً : ماهية العولمة :

لقد أصبح مصطلح العولمة ، من أكثر المصطلحات اســـتخداماً فـــي الأدبيـــات المعاصرة وأكثرها تداولاً على الساحة العالمية ، ويقصد به على مستوى العلن زيادة درجة الارتباط المتبادل بين المجتمعات الإنسانية من خلال انتقـــال عمليـــات الســـلع ورؤوس الأموال وتقنيات الإنتاج والأشخاص والمعلومات بينها دون قيود .

والعولمة مفيوم جدلي له تواجد أكاديمي في المجـــالات المعرفيـــة المتعـــددة ، وتكيفا خاصا مع سياقاتها النظرية حتى أنه صار من المفاهيم المركزيـــة المرتبطـــة بالإشكالات الخاصة بالقضايا المتداخلة في إطار هذه المجالات ، مما يستلزم أن يكون التأصيل المنهجي أحد أهم مسوغات كونه مفيوماً محوريا .

وذلك نظراً لشيوع مفاهيم أخرى بديلة أطلقت على معناه مثل الكونية ، الكوكبية الجولوبالية ، الشوملة ، الأمركة ، التغريب ، ويميل الكثير من الباحثين نحو استخدام أيا منها لكن بعامة تستخدم الأغلبية مفردة أو مفهوم العولمة مما يعكس بالضرورة وجود اتفاق على المعنى واختلاف على المسمى[1].

وتعني العولمة إكساب الشيء طابع العالمية وجعل نطاقه و تطبيقه عالمياً ، هذا المفهوم الذي يوحي بالبراءة سرعان ما يتكشف جوهره المليء بالمصالح المادية للقوى الشرسة في عالم التحديات الذي ترتفع فيه راية المصالح الذاتية فوق كل الرايات وفوق كل الاعتبارات ، فالعولمة ما هي إلا صورة من صور السيطرة المطلقة لمصالح الدول الكبرى التي تحاول البقاء في قمة الاستغلال والاحتكار الإنساني في كافة مجالاته[2].

وهناك شبه إجماع تام على أن العولمة تستلزم تحطيم المساحات من خلال تطور تقنيات الاتصال والتي تقرب الأماكن من بعضها.

وتعني العولمة حالة تكثيف للعلاقات الاجتماعية العالمية ؛ بحيث أنها تربط العوالم بعضها بالآخر ، وتحكم العلاقات بين المناطق المختلفة لدرجة ؛ أن ما يحصل في منطقة ما يتأثر ويتشكل بما يحصل ويحدث في منطقة أخرى بعيدة عنها ألاف الأميال والعكس صحيح .

ويركز البعض الآخر ، بشكل أدق ، على تطور العلاقات ، وتناميها والتي تجاوزت الحدود الوطنية للدولة ، وامتدت إلى ما ورائها إذ أن العولمة أدت أولاً وبشكل أساسي إلى تمدد الحدود الاجتماعية و الاقتصادية القائمة بين الدول وأتساعها وعندما يذكر مفهوم العولمة ، فإنه يجعل الذهن يتجه إلى الكونية ، أي إلى الكون الذي نعيش فيه ،وإلى وحدة المعمور من الكوكب الذي نعيش عليه ومن ثم فإن المصطلح يعبر عن حالة من تجاوز الحدود السياسية الراهنة للدول إلى آفاق أوسع

---

(1) محمد حسين أبوالعلا ، ديكتاتورية العولمة ، ط1 ، (القاهرة ، مكتبة مدبولي ، 2004) ، ص33 .

(2) عمر حسن أحمد بدران ، الإنسان والعولمة ،(المنصورة ، منشورات مكتبة جزيرة الورد ، بدون) ص13 .

وأرحب تشمل العالم بأسرة ، ومن ثم فإن العولمة تأخذ جوانب عديدة من بينها ما يلي[1]:

1- حرية حركة السلع والخدمات والأفكار وتبادلها الفوري دون حواجز أو حدود بين الدول ، وهي حرية شاملة، حرية نقل وتوطين واستثمار جميع عوامل الإنتاج من أيدي عاملة ، ورأس مال ، وإدارة ، وتكنولوجيا ، وأرض قابلة للاستثمار والاستغلال

2- تحول العالم إلى قرية كونية بفعل تيار المعلوماتية ، أي أن يصبح كل سكانه في حالة معرفة وإحاطة فورية بما يحدث لديهم ، ومما يحدث لدى الآخرين . وبحكم ثورة الاتصالات والتقدم التقني الفائق ، يمكن لكل منهم التأثير والتأثر في الآخرين وبالآخرين ، بل هي تصيغ صيغة جديدة لتأكيد مصالحها ونفوذها إلى الدرجة التي معها تحتاج إلى سلطة كونية قادرة على ضبط توازنات هذه الشركات ، والحيلولة دون خروجها عن القانون ، والحيلولة دون اقترافها أي جرائم من أي نوع .

3- ظهور آليات جديدة مستقلة عن الدولة ، آليات تقوم بوظائف كانت في يوم ما قاصرة على الدول ، وأصبحت الآن بحكم العولمة بعيدة عنها ، وأصبحت بحكم العولمة فاعلة فيها ، وقائمة عليها . وكانت هذه الآليات متمحوره حول المنظمات غير الحكومية والتي أصبحت بحكم قوتها وتأثيرها عضواً في المنظمات الدولية . الفوقية مثل منظمات الأمم المتحدة ، وتحضر المؤتمرات العالمية ، وتصيغ القرارات وتتدخل في التوصيات ، وتفرض رأيها المسموع فيها .

4- ظهور نفوذ وسطوة الشركات متعددة الجنسيات ، وتلك متعدية الجنسيات ، كقوى عالمية فائقة محددة .

5- ظهور فكرة حقوق الإنسان ، باعتباره إنسان له الحق في الحياة الكريمة ، بعيداً عن كل صنوف الإكراه والقهر . والاستغلال والضغط ، وصنوف العذاب ، والتعذيب وحقه في الحياة الجيدة.

---

(1)محسن أحمد الخضيري ، العولمة الاجتياحية ، ط1 (القاهرة ، مجموعة النيل العربية ، 2001) ص ص31-32 .

لقد استطاعت العولمة أن تقلص حدود الزمان ، وأن تفرض نهايـــة للتـــاريخ ، تاريخ مرحلة من مراحل الحياة الإنسانية ، ولتبدأ تاريخ مرحلة جديدة تماماً لم يعرفها العالم من قبل[1] .

ونرى أن مفهوم العولمة هو صياغة جديدة لمنظومة القوى القديمة لأن الفكـــر الاستراتيجي لا يخترع فهو محكوم بالجغرافية والتاريخ والقوة والموارد وغيرها من الثوابت ، وإنما يعيد الصياغة مع تغيير العصور ، فهذا الاصطلاح (العولمـــة) أســـم مخفف ومهذب يجرى تسويقه من قبل الدول العظمى ، وخاصـة الرأسمالية ، وهو أحد محطات الاستعباد و الاستغلال ، مثله مثل مرحلة الرجـــل الأبـــيض ، أيـــام حمـــى الاستعمار التي أصابت القوى الأوروبية في القرن التاسع عشـــر ولا يختلـــف عـــن مرحلة الانتداب التي أنشأتها عصبة الأمم في عشرينات هـــذا القـــرن ، ولا يختلـــف بشيء عـــن مرحلة الاستقطاب الـــدولي ، وحمى الأحلاف والمعسكرات الدولية التي كانت أبرز ملامح الحرب الباردة بعد الحرب العالمية الثانية ، فالعولمة مرحلة متممة أو بالأحرى ثوب جديد وجميل يجرى تسويقه من نفس المراحل السابقة .

إذن فالعولمة كما نراها لفظ جديد لمضامين قديمة ، هذا غير أنها تسمية متحيزة لا تخرج كثيراً عن استراتيجية تسمية الرأسمالية بمدلولاتها المعروفة ، إضافة إلـــى أنها مركزا في المناطق الصناعية المعروفة بالمناطق التقليدية ، بل تـــوزع خـــارج البلاد الصناعية الأوروبية والأمريكية، وأصبح مفهـــوم الشـــراكة بمثابـــة العنـــوان الأساسي لمراكز الإنتاج إضافة لذلك فقد طرأ تغيير أساسي على الشكل البضائعي و السلعي الذي كان سائداً في مجال دورة المال الرأسمالية ، فقد أصبح المال فـــي حـــد ذاته بضاعة بدلا من أن يكون ثمنا للبضاعة ، أي أصبح سلعة لنفسه ولا يمر عبـــر الإنتاج إلا من أجل تحصيل فوائده ، وأصحاب الأسهم وكبـــار الممـــولين أصـــبحوا يتعاملون مع البورصات أكثر مما يتعاملون مـــع مراكز الإنتاج ، فالسوق الأولـــى

---

(1)المرجع السابق ، ص33 .

هـــي البورصة ، فهناك تدخل مئات المليارات وتخرج بالمعلوماتية التـــي لـــم تـــأت بالعولمة بل أنها أصبحت الوسيلة المهمة لسرعة تحرك الرأسمالية وحتـــى تحقيـــق الأرباح السريعة ، والمعلوماتية بهذا الشكل أصبحت سلطة خارج الحـــدود الوطنيـــة والقومية[1].

والعولمة ليست ظاهرة جديدة في فكرتها ، بل هي حلـــم داعـــب الكثيـــر مـــن الفلاسفة والمفكرين في توحيد الإنسانية ضمن إطار وعالم واحد تسوده العدالة والسلام وكذلك دعا الإسلام إلى الإخوة الإنسانية والدينية [2] .

وكل ما في الأمر أنها الآن أخذت بعداً آخر إذ بدأت تنشأ في أحضـــان النظـــام الرأسمالي وانبعثت منه ، وقد بدأت بذورها في منتصف الستينات ثم بدأت توجهاتهـــا تتضح في السبعينات وتسارعت وتائرها في الثمانينـــات وأخـــذت تظهـــر ملامحهـــا الرئيسية مع بداية التسعينات والتي من أبرزها نظام بريتون وودز بإعلان الولايـــات المتحدة عام 1946 وقف تحويل الدولار إلى ذهب .

1. عولمة النشاط الإنتاجي .
2. عولمة النشاط المالي واندماج أسواق المال
3. تغير مركز القوى العالمية .
4. تغير هيكل الاقتصاد العالمي وسياسة التنمية .

كما يشير مفهوم العولمة في كثير من الأحيان إلى عالم تقترب فيه المجتمعـــات والثقافات والدول والأنشطة الاقتصادية من بعضها وتتكاثف العلاقات الاجتماعية على المستوى العالمي ، بحيث يتأثر ما قد يحدث على المستوى المحلي بالأحداث التي تقع في العالم أجمع .

---

(1) حميد حمد السعدون ، العولمة وقضايانا ط1 (عمان، دار وائل للنشر ، 1999) ص15 .

(2)محمد سعيد إدريس ، العولمة ، (القاهرة ، منشورات مكتبة الأهرام للبحث العلمي ، 2003) ص1 .

والعولمة ليست مجرد مفهوم فهي عملية مستمرة يمكن ملاحظتها باستخدام مؤشرات كمية وكيفية في مجالات السياسة والاقتصاد والثقافة والإعلام .

وأن هناك عدة عوامل مهمة أسست لانتشار العولمة منها[1]:

1. المنافسة بين القوى الفاعلة دولياً.
2. التطورات التكنولوجية .
3. توسع عالمية الإنتاج .
4. التبادل والتحديث .
5. الثورة الهائلة في تكنولوجيا الاتصال والمعلومات .

وفي ضوء ذلك يمكن إثارة سؤال رئيسي ، هو بأي الطرق تحدث العولمة ؟ أو من خلال أي القنوات يتم انتشار السلع والخدمات والأفراد والأفكار والمعلومات والنفوذ والرموز ؟ .

أن الجواب على هذا السؤال يشير إلى أن عملية الانتشار قد تمت من خلال أربع طرق متداخلة ومترابطة هي [2]:

- من خلال التفاعل الحواري الثنائي الاتجاه عن طريق تكنولوجيا الاتصال أو من خلال عمليات المحاكاة .
- من خلال الدور الذي لعبته أدوات العولمة وهي الشركات المتعددة الجنسية وصندوق النقد الدولي والبنك الدولي ومنظمة التجارة العالمية .
- من خلال التأكيد على أهمية تعزيز القدرات التنافسية التصديرية واعتبارات الكفاءة الاقتصادية كسبيل وحيد للاندماج مع الاقتصاد العالمي .
- من خلال عمليات اندماج المؤسسات المتماثلة .

---

(1) عبدالرزاق محمد الدليمي ، الملاقات العامة والعولمة ، ط1 (عمان ، دار حرير للنشر والتوزيع ، 2004) ص94 .

(2) عبدالخالق عبدالله، العولمة جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها ، مجلة عالم الفكر ، العدد (2)، الكويت ، 1999 ، ص50 .

كما ظهرت العولمة في الأدبيات الحديثة كمفهوم يصف عمليات التغيير وإعادة الهيكلية الجارية في مجالات الاقتصاد والسياسة والثقافة والاتصال ويحدد بعض الباحثين العولمة كعملية تغيير بنيوي تتضمن أربع عمليات أساسية للعولمة وهي على التوالي .

- المنافسة بين القوى العظمى .
- الابتكار التكنولوجي .
- التبادل والتحديث .
- انتشار العولمة .

إي أن أي صياغة لمفهوم شامل للعولمة لابد أن تضع في الاعتبار تلك العمليات الأساسية التي تكشف عن جوهرها[1] .

أوليا انتشار المعلومات وثانيها تذويب الحدود بين الدول ، أما العملية الثالثة فتختص بزيادة معدلات التنميط أو التشابه بين الجماعات والمجتمعات والمؤسسات الاقتصادية والسياسية والثقافية والتي تؤدي بدورها إلى انتشار العولمة وأيا كان الأمر فجوهر العولمة يتمثل في سهولة حركة الناس والمعلومات والسلع بين الدول على النطاق الكوني[2] .

ومصطلح العولمة كان أول من أطلقه معرفيا عالم السوسيولوجيا الكندي المارشال *ماك لوهان* أستاذ الإعلاميات السوسيولوجية في جامعة تورنتو عندما صاغ في نهاية الستينات مفهوم القرية الكونية في كتابه الحرب والسلام في القرية الكونية حيث ركز على دور التطورات الواسعة في وسائل الاتصال في تحويل العالم إلى قرية كونية واحدة ، وقد تبنى هذه الفكرة بعده *زبيغنيو بريجنيسكي* الذي أصبح فيما بعد مستشاراً للرئيس الأمريكي في عهد كارتر (1977-1980) [3] .

---

(1) السيد يسين ، في مفهوم العولمة ، مجلة المستقبل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، العدد 228 ،1998 ، ص7 .

(2) هشام الدجاني ، سيناريو المستقبل حول العولمة ، مجلة المستقبل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، العدد 247 ، 1998 ص43 .

(3) سيار الجميل ، تعقيب على بحث السيد يسين في مفهوم العولمة ، كتاب العرب والعولمة ، (بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، 1997) ص39 .

وعمل على تقديم أمريكا التي تمتلك 75% من مجموع الاتصالات العالمية نموذجاً كونيا للحداثة طالما كانت هي الموزع العالمي الرئيسي للثورة التكنترونية ما بعد الصناعة وللمجتمع الأمريكي التأثير الأكبر على كل المجتمعات الأخرى وهو مشجع على عملية تحوّل كبيرة بعيدة المدى في نظرتها وقيمها ، ويضيف قائلاً في مكان آخر أن الولايات المتحدة هي اليوم بؤرة انتباه العالم ، لدرجة أنه بالنسبة للعديد من الأمم الأجنبية أصبحت السياسة الداخلية للولايات المتحدة الأمريكية امتداداً حيوياً لسياساتهم ، حيث لا يوجد مجتمع آخر ينشر بهذه الضخامة طريقته الخاصة في الحياة وقيمه عن طريق السينما والتلفزيون والطبعات الأجنبية التي تقدر بالملايين ، يفهم من ذلك أن دخول الولايات المتحدة الأمريكية الثورة الصناعية وخاصة في مجال المعلومات والاتصالات أمكنها قبل غيرها أن تنشر نموذجها في الحياة كنموذج عالمي[1] .

الخلاصة مما سبق نخلص بالنقاط التالية : تعد العولمة ومهما تكن تجلياتها ظاهرة ارتبطت بنشوء الرأسمالية الصناعية العالمية ، وهي على وجه العموم مرحلة تاريخية وحضارية في سيرة الإنسان على كرتنا الأرضية ، وما هو ثابت بصددها ومؤكد بالنسبة لها ، هو :

- أن هناك أمراً جديداً قد حصل بالفعل في وقتنا الراهن ، ولم يتبق لدينا نحن العرب من هامش للحركة ، ومجال للمناورة سوى إدراك غالبية المتغيرات ذات الصلة به على حقيقتها .
- رغم أن جديد العولمة بواقعها وتجلياتها قائم بالفعل ، إلا أن مالا نعرفه عنها الآن أكثر بكثير مما نعرفه .
- العولمة حالة تتصف بالسيولة وعدم الثبات ، وفيها كثير من المتغيرات التي تتطلب جهوداً فكرية ومضاعفة لفهمها بشكل صحيح .

---

(1) بلسم علي خريسان ، العولمة والتحدي الثقافي ، ط1 (بيروت ، دار الفكر العربي للطباعة والنشر ، 2001) ص18 .

- أن العولمة ، وحتى تكون أداة من أدوات الهيمنة وحسم الصراع على المستوى الدولي وبصيغ مقبولة من المجتمعات المستهدفة ستكون بطبيعتها مجالاً يأتي بفرص استثمارية ومعرفية هائلة ، لكنها من جهة أخرى ستأتي حتماً بمخاطر سياسية ونفسيه كبيرة .

- إن العرب أمام مواجهة لمجتمعات هي الأقوى اقتصادياً ، والأقدر تقنياً ، والأكثر تحضراً ، وفي مواجهتهم هذه عليهم السعي لتعزيز القيم والمفاهيم العربية والإسلامية الأصيلة كأساس لتحصينهم ذاتياً تجاه الآثار الجانبية للعولمة بتجلياتها المختلفة .

1. *التعاريف المختلفة للعولمة :*

فيما يتعلق بتعريف العولمة لا يوجد تعريف محدد لها وذلك لكون العولمة ظاهرة حديثة لا زالت في طور البحث والتكوين في العلاقات الدولية لها امتداداتها القديمة التي أنتجتها ، وهي مفهوم مغاير لمفاهيم العلاقات الدولية بمعناها التقليدي وأنه يشير إلى عملية متشابكة الأبعاد ، الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية تهدف إلى دمج المجتمعات والثقافات و المؤسسات والأفراد في سوق عالمية واحدة في إطار النظام الرأسمالي الحر .

كما تظهر المتابعة المدققة لأدبيات العولمة تعدد تعريفاتها على نحو مفرط بل واختلافها وارتباكها في بعض الأحيان ، ومن هنا يبدو ضرورياً أن يتم تحديد بعض المقولات الهامة في هذه التعريفات وليس الوصول بالضرورة إلى تعريف يدعى الاتفاق عليه ، ذلك أن عرض بعض المقومات الأساسية في هذا الصدد يثير بعض الأفكار حول العولمة ، ويبدو من الوهلة الأولى أن محاولات تعريف العولمة تطرح على الباحثين مفهومين[1] :

- **المفهوم الأول** :- ينظر للعولمة باعتبارها عملية تطور طبيعي تلقائي تشير إلى زيادة الترابط التدريجي للعالم ، ويكون لثورة الاتصال المبنية على الثورة العلمية في

(1) حسن نافعه وآخرون ، العولمة قضايا ومفاهيم ، سلسلة محاضرات الموسم الثقافي ، جامعة القاهرة ، 2000 ، ص32 .

هذا الصدد دور فاعل ، أي أن العولمة وفقاً لهذا المفهوم هي تطور تلقائي لا دخل فيه للقوى السياسية السائدة والمهيمنة على العالم ، وأهم آلية تكمن خلف هذه العملية هي ثورة الاتصالات فضلاً عن غيرها من متغيرات الثورة العلمية والتطور الاقتصادي[1]

– أما المفهوم الثاني :– فهو يشير إلى أن العولمة تنطوي على نوع من العمد, بقصد إشاعة نمط أو نموذج معين على الصعيد العالمي ، وربما يكون هذا هو المعنى الذي أشار إليه بريجنيسكي ، كما ذكرنا سابقاً في عقد السبعينات في أحد كتبه الشهيرة "أمريكا والعصر التكنوتروني " إشارة إلى صفتي التكنولوجي و الالكتروني ، والذي لم يطالب فيه بتعزيز التواصل العالمي فحسب ، وإنما بأن يكون للولايات المتحدة الأمريكية تحديداً دوراً في قيادة هذه العملية ، طالما أنها تحتكر حوالي ثلثي الاتصالات العالمية.

نحن إذن أمام طريقتين مختلفتين للنظر إلى العولمة إما النظر إليها كتطور طبيعي يحدث بسبب ثورة الاتصالات وغيرها من متغيرات الثورة العلمية والتطور الاقتصادي ، أو النظر إليها باعتبارها عملية عمديه يقصد بها إشاعة نمط معين تحت قيادة قوة محددة ، وهي بالنسبة إلى هذه اللحظة التاريخية الولايات المتحدة الأمريكية والأمر الذي لا شك فيه أن العولمة بالمعنيين السابقين موجودة على نحو متصاعد في العقود الأخيرة ، إما تحت وطأة الثورة المتسارعة في تكنولوجيا الاتصال أو بسبب النصر الواضح للنموذج الرأسمالي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية على النموذج الاشتراكي بقيادة الاتحاد السوفيتي (سابقاً)، الذي أدى إلى تعاظم جهود إشاعة ذلك النموذج الرأسمالي عالمياً[2] .

ويمكننا في هذا السياق أن نستعرض عدداً من التعاريف الموجودة للعولمة في الساحة الفكرية العربية والعالمية تعرف العولمة بأنها حقبة التحول الرأسمالي العميق للإنسانية جمعاء في ظل هيمنة دول المركز بقيادتها وتحت سيطرتها ، وفي ظل نظام

---

(1) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(2) المرجع السابق ، ص33 .

عالمي للتبادل غير المتكافئ .

ويشير تعريف آخر إلى نفس الفكرة باختصار أن العولمة هي الرأسمالية العالمية في مرحلة ما بعد الإمبريالية ، فإذا كانت الإمبريالية هي أعلى مراحل الرأسمالية ، فالعولمة هي الرأسمالية العالمية فيما بعد مرحلة الإمبريالية .

كما يعرف البعض العولمة بأنها زيادة الترابط والالتحام بين الأجزاء المكونة للكوكب من النواحي السياسية والاقتصادية و الثقافية بصورة لم تشهدها البشرية من قبل، وتعرف العولمة بأنها اتجاه جديد لصبغ الحياة الاقتصادية والاجتماعية بالصبغة العالمية ، فأي مجتمع لا يستطيع الانكفاء على ذاته اليوم وإنما لا بد أن يدخل في علاقات مفتوحة بسمونها متعددة الأطراف، مع بقية دول العالم وحتماً يدخل المجتمع في تصادق مفتوح مع كافة الأطراف فإنه بهذا المعنى يجسد هذه الظاهرة العالمية الجديدة ، وهناك من يعرفها بأنها غطاء وقناع للإمبريالية[1] .

والعولمة هي عملية مزدوجة تجمع بين التوحيد والتآلف وفي الوقت نفسه المقاومة والاختراق ، وتعرف العولمة بأنها عملية مقابلة ثقافية بين الحضارات يعتريها الكثير من التناقض وعدم الاستمرار حيث تساهم العولمة في زيادة التفاعل الثقافي بين الشعوب مما يؤدي إلى بروز التمايز الثقافي بينهما [2] .

والعولمة نظام يقفز على الدولة والأمة والوطن وفي مقابل ذلك يعمل على التفتيت والتشتيت، ويراها البعض على أنها نتاج مزيد من التوسع والانطلاق لقوى الاحتكار الكبرى المسيطرة على السوق العالمية ، وابرز هذه القوى وأشدها بأساً هي الشركات الكوكبية العملاقة المتعددة الجنسية التي تتحكم في تدفقات وتحركات كتل الأموال والأسهم والسندات وأسواق الأوراق النقدية المصرفية بعيداً عن العملات الوطنية حتى للدول الكبرى .

---

(1) باسم علي خريسان مرجع سبق ذكره ، ص22 .

(2) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

وتعرف العولمة في موقع آخر بأنها وصول نمط الإنتاج الرأسمالي عند منتصف هذا القرن تقريباً إلى نقطة الانتقال من عالمية دائرة التبادل والتوزيع والسوق والتجارة والتداول إلى عالمية دائرة الإنتاج وإعادة الإنتاج ، ووصفت الفكرة بأنها التحولات التي نعيشها اليوم تحولات جذرية وفريدة لم يعرفها عالمنا من قبل تضافرت فيها أحداث سياسية وعسكرية وعلمية وتكنولوجية واقتصادية وبرز تعبير العولمة ليصف هذه الظاهرة[1].

وتعرف العولمة على أنها مجموعة من العمليات التي تغطي أغلب الكوكب أو التي تشيع على مستوى العالم ، ومن هنا فإن العولمة لها بعد مكاني لأن السياسة والأنشطة الاجتماعية الأخرى أصبحت تبسط رواقها على كل أنحاء المعمورة وتعرف العولمة بأنها أحد المفاهيم الجديدة للنظام الجديد وصورة صادرة عن إحساس العالم الغربي بقدرته على فرض ما لديه من تصورات ومفاهيم وتقاليد على الآخرين ومحاولة جعل العالم كتله واحده، والعولمة إيديولوجيسة غربيسة تسعى لإسقاط الارتباطات العالية للإنسان والمتمثلة بارتباطه العائلي والديني والاجتماعي والقومي وارتباطه بعنصر ما بعد التكنولوجيا[2] .

وهناك تعريف وضعه صندوق النقد الدولي في تقريره السنوي الصادر عام 1997 على أنها تعني التعاون الاقتصادي المتنامي لمجموع دول العالم ، والذي يحتمه ازدياد حجم التعامل بالسلع والخدمات وتنوعها عبر الحدود ، إضافة إلى تدفق رؤوس الأموال الدولية والانتشار المتسارع للتقنية في أرجاء العالم كله[3] .

فالعولمة هي تطلع وتوجه اقتصادي وسياسي وثقافي وتكنولوجي وتربوي تذوب فيه الحدود بين الدول وبين الشمال والجنوب وبين الثقافات بعضها بعضاً، وتتواصل فيه الأمم والشعوب والدول والأفراد باستمرار وبسرعات هائلة، وينشأ

---

(1)حسن عبدالله العايد ، أثر العولمة في الثقافة العربية ، ط1 (بيروت ، منشورات دار النهضة العربية ، 2004) ص 14 .

(2)عبدالرزاق محمد الدليمي ، العلاقات العامة والعولمة ، مرجع سبق ذكره ، ص94 .

(3)مجد الهاشمي ، العولمة الدبلوماسية والنظام العالمي الجديد ط1 (عمان ، دار أسامة للنشر ، 2003) ص181 .

اعتماد متبادل في رأس المال والاستثمارات والسلع والخدمات والأفكار والمفاهيم والثقافات [1] .

وتعرف العولمة في الجانب الثقافي على أنها سيادة ثقافة واحدة على جميع ثقافات الشعوب الأخرى مما قد يؤدي إلى ذوبان هوية هذه الشعوب، وتعرف بأنها مرحلة حديثة جداً من مراحل تطور الرأسمالية لا تزال طور التشكيل تقوم على المعلوماتية كما تقوم على الشركات المتعددة الجنسية ونظم الاتصال المعقدة[2].

وتعرف بأنها التداخل الواضح لأمور الاقتصاد والثقافة والاجتماع والسلوك دون اعتداد يذكر بالحدود السياسية للدولة أو الانتماء لوطن محدد أو ولاء لدولة بعينها دون غيرها من الدول[3] .

وبالإضافة إلى هذه التعريفات فإن البعض حاول تقديم تعريف شامل لها على الرغم من صعوبة إيجاد مثل هذا التعريف، فعرفها البعض بأنها القوة بمفهومها الشامل الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والثقافي والإعلامي، وهي الأساس التي سوف تصنع أو تكون شكل النظام العالمي في القرن الحادي والعشرين.

الخلاصة أنه من الصعوبة بمكان حصر تعريفات العولمة وتفسيراتها ، حيث أنها عملية مستمرة تكشف كل يوم عن وجه جديد من وجوهها المتعددة، فلا نستطيع أن نفصل جانباً عن آخر وإنما هي حركة ذات أوجه اقتصادية وسياسية ، وثقافية واجتماعية وتطور علمي في وسائل الاتصال التي تعتبر الوسيلة الأكثر استخداما للعولمة وتمريرها إلى جميع الاتجاهات والأقطار دون النظر إلى حدود سياسية أو حدود اجتماعية لطبقة دون طبقة وبالتالي فإن للعولمة مدلولات وتعريفات يختلف المختصون والباحثون في تحديد تعريف معين لها أو لظاهرتها وذلك حسب مذاهبهم الأيديولوجية وحسب أوجه وجوانب العولمة وأبعادها المختلفة .

---

(1). انظر حسن عبدالله العايد ، أثر العولمة في الثقافة العربية ، مرجع سبق ذكره ، ص 15 .

(2)المرجع السابق ، ص18.

(3)ياسم على خريسان ، العولمة والتحدي الثقافي ، مرجع سبق ذكره ، ص23 .

وعليه يرى الباحث أن العولمة يمكن تعريفها إجرائياً ، بأنها ظاهرة رأسمالية معاصرة لها أنماطها المتعددة التي تستهدف إحداث تغييرات جذرية في المجتمع الدولي سياسياً واقتصاديا وثقافياً وإعلامياً تلغي من خلاله الحدود ،ولها آلياتها الفاعلة التي تقنن وجودها على مستوى الإجراءات والممارسة في الواقع التاريخي .

ويمكن تعريف العولمة كذلك بأنها العملية التي يتم من خلالها انتقال الأفراد والأفكار والمعارف ورأس المال والسلع التجارية والخدمات عبر الحدود القطرية ، مما يؤدي إلى تنامي التكامل والاعتماد المتبادل والاندماج في كثير من نواحي الحياة ، وبخاصة الاقتصادية منها .

2. العولمة لغة :

عولم فعل ثلاثي مزيد ، يقال : عولم على وزن فوعل ، وكلمة العولمة نسبة إلى العالم أي كوكب الأرض ، وهي تدل على تحويل الشيء إلى وضعية أخرى ومعناها : وضْعُ الشيْء على مستوى العالم ، بمعنى تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل الكل ، فهي إذاً مصطلح يعني جعل العالم عالماً واحداً ، موجهاً توجيهاً واحداً في إطار حضارة واحدة ، ولذلك قد تسمى الكونية أو الكوكبه [1] .

وترد العولمة في اللغة على أنها اشتقاق من العالم ومن العالمية ، فهي من العالم ويتصل فعل (عولم) على صيغة (فوّعل) وهي من أبنية الموازين الصرفية العربية ويلاحظ على دلالة هذه الصيغة أنها تفيد وجود فاعل يفعل[2].

ومن خلال المعنى اللغوي يمكننا أن نقول بأن العولمة إذا صدرت من بلد أو جماعة فإنها تعني تعميم نمط من الأنماط التي تخص ذلك البلد أو تلك الجماعة ، وجعله يشمل الجميع أي العالم كله .

---

(1)عمر حسن أحمد بدران ، مرجع سبق ذكره ، ص9 .

(2)على القريشي ،العولمة والمركزية الأمريكية ، مجلة المجال ، تصدر عن جامعة عمر المختار ،البيضاء، العدد الثاني ، 2004 ، ص39 .

3. العولمة اصطلاحاً :

هي مرحلة من مراحل التفكير الإنساني في العالم المعاصر بدأت بالحداثة ، ما بعد الحداثة ، العالمية ثم العولمة ونحن الآن في مرحلة الأمركة ، ثم تأتي بعد ذلك مرحلة الكوكبة نسبة إلى كوكب الأرض ، ثم يتطلعون بعد ذلك إلى مرحلة الكونية[1].

لقد عرب المترجمون العرب مصطلح Globalization المأخوذ من كلمة Global كروي أو شامل، عالمي ، وعلى كل فإن مصطلح العولمة مصطلح جديد علماً أن هذه الكلمة ليس لها أية علاقة بالعلم وإنما هي منسوبة إلى العالم وأقرب المعاني إليها أنها نظام جديد يراد به توحيد العالم في إطار جديد وموحد وهي ما يعنى به النظام العالمي الجديد .

أما تعريف العولمة اصطلاحاً ، فمن الصعوبة أن يتفق المفكرون على صياغة معينة لها ،فقد عرفت بأنها نظام عالمي جديد قائم على العقل الالكتروني والثورة المعلوماتية القائمة على المعلومات والإبداع التقني غير المحدود دون الأخذ بعين الاعتبار الحضارات والقيم والثقافات والأعراف والحدود الجغرافية والسياسية السائدة في العالم قاطبة[2].

ولقد عرفها البعض بأنها القوى التي لا يمكن السيطرة عليها التابعة للأسواق الدولية والشركات المتعددة الجنسيات التي ليس لها أية تابعية لأية دولة قومية ومن هنا نستنتج بأن مصطلح العولمة في طور البحث ، ومن ثم فهو بعيد عن الاستقرار ، سواء في اللغة الإنجليزية التي ظهر فيها أصلاً أو في اللغة العربية التي مازالت تبحث عن معنى المصطلح الحقيقي[3].

---

(1)سعد الهاشمي ، العولمة والدبلوماسية ، مرجع سبق ذكره ، ص180 .

(2) علاء الدين نظورية ، العولمة وأثرها في العالم الثالث (عمان ، دار زهران للنشر والتوزيع ، 2001) ص9 .

(3)وئيسة الحمروني الورفلي ، العولمة والدولة ، ط1 (طرابلس ، منشورات اكاديمية الدراسات العليا ، 2004) ص62 .

ويوضح هذا المصطلح من خلال هذا المعنى بأنها مربوطة بالنموذج الأمريكي وتصديره للعالم أجمع حيث أن الولايات المتحدة هي التي طرحت هذه الفكرة (العولمة) وعممتها وابتدأت في الأسواق المالية والاقتصادية .

4. التمييز بين العولمة والمفاهيم الأخرى :

وبعد تقديم عرض لمفهوم العولمة لابد من تمييز العولمة عن مفاهيم أخرى ذات صبغة عالمية ، ولهذا من المفيد هنا أن نلجأ إلى دراسة تلك المصطلحات المرتبطة بمفهوم العولمة ، كمدخل لتحليل المفهوم مجردا من المصطلحات أو المفاهيم التي سنتناولها بالدراسة وهي :-

أ. العولمة والعالمية .

ب. العولمة والأقلمة .

ج. العولمة والأمركة "الهيمنة" .

أ . العولمة والعالمية :

العولمة في مفهومها الضمني ومدلولها الاصطلاحي هي ليست العالمية إذ لا يمكننا أن نقربها مثلا بعالمية الأديان ،أو بعالمية بعض المذاهب السياسية و الاقتصادية كالاشتراكية، لأن العالمية مصطلحاً ومضموناً ارتبطت بالأرض والإنسان أما العولمة مصطلحاً ومضمونا فقد ارتبطت بالكونية وأنظمة الإنسان سواء مع الأرض أو في الفضاء والعولمة أيضاً لا تسير بخط موازٍ مع العالمية فالواحدة منها تلغي الأخرى ، فالعولمة تخص التقنيات والسوق والسياسة والمعلوماتية، والعالمية تخص القيم وحقوق الإنسان والحريات والثقافة والديمقراطية ، وتبدو العولمة كظاهرة لا يمكن عكسها أما العالمية فهي على النقيض شيء في طور الانقراض ، ويمكن القول بأن العولمة هي أوسع من العالمية ، وبذلك تكون العولمة مرحلة ما بعد العالمية لذا نجدها تحتوي العالمية في إطارها[1] .

---

(1)باسم علي خريسان ، مرجع سبق ذكره ، ص24 .

وإذا كانت العالمية تعني الانفتاح بين أطراف المجتمع الدولي مع الاحتفاظ بأكبر قدر ممكن من الخصائص الذاتية ، فإن العولمة هي التفاعل والشحن المتبادل بين الأطراف مع احتمال أكبر لفقد متواصل لأجزاء من الخصائص الذاتية ، الأمر الذي يقود إلى بلورة طبيعة جديدة لكل من الأطراف والتفاعلات والقوانين المحددات[1] .

وحدث جدل كبير حول هذين المفهومين من قبل كثير من الكتاب والباحثين وذلك نتيجة للتقارب الشديد في الظاهر بينهما ، فهل هناك فروق بين العولمة والعالمية ؟

العالمية هي مقولة من مقولات الحداثة ارتبطت بتفوق الغرب وتوسعه في أرجاء المعمورة ، وهي ثمرة الاكتشافات والثورات الحديثة الجغرافية والاقتصادية والسياسية التي بدأت منذ قرون مع اكتشاف العالم الجديد ، أما العولمة فهي مقولة راهنة من مقولات ما بعد الصناعة وما بعد الحداثة ارتبطت بانفجار تقنيات الاتصال على نحو ضاقت معه الأمكنة وتقلصت المسافات إلى حد جعل الأرض قرية صغيرة تسبح في هذا العالم[2].

ويلاحظ أن ثمة مساهمات فكرية عربية قد تعرضت لهذه الإشكالية المفاهيمية بين العولمة والعالمية . وفي هذا الإطار على سبيل المثال رأى البعض أن العولمة تحويل من الخارج والعالمية تغيير من الداخل ، أي أن العولمة تتضمن فعل التحويل من مركز قوة خارجية، وأن العولمة "إرادة للهيمنة" وبالتالي فهي قمع وإقصاء للخصوصية ، أما العالمية فهي طموح للارتفاع بالخصوصية إلى مستوى عالمي ، العولمة احتواء للعالم ، والعالمية تنفتح على ما هو كوني[3].

الخلاصه أن مفهوم العالمية مختلفا كثيرا عن مفهوم العولمة ، من حيث إن العالمية هي جزء من إعادة صياغة التفكير في النظريات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية السابقة ، لأن العالم قد شهد خلال العقود الماضية أهم مراحل الإبداع

---

(1) محمد سعيد إدريس ، مرجع سبق ذكره ص2 .

(2)محمد الفرجاني حسن ، أفريقيا وتحديات العولمة ، ط2 (غريان ، المكتبة الجامعية ، 2003) ص51 .

(3)حسن نافع وآخرون ، مرجع سبق ذكره ، ص33 .

التكنولوجي وإعادة الهيكلية العالمية ، ويرى البعض في التفرقة بين العولمة والعالمية ، في أن العالمية تفتحاً على العالم وتفتحا على الثقافات الأخرى ورغم ذلك الاحتفاظ بالخلاف الإيديولوجي ، والعولمة تعني نفي ما هو مخالف لذلك ونفياً لوجود الآخر وإحلال الاختراق الثقافي محل الصراع الأيديولوجي.

وبهذا يمكن التمييز بين العولمة والعالمية ، من حيث أن إحداهما ذات مفهوم أيديولوجي ، وهي العالمية وأن الأخرى ، أي العولمة تعني تطوراً واقعياً ذا مفهوم لا حدودي ولذلك لا يمكن القول بأن كلا المفهومين يحملان المعنى نفسه فالعالمية شيء والعولمة شيء آخر .

ب . العولمة والأقلمة :

المفهوم الثاني وهو الأقلمة ، وهي عملية تتم في تشكيل بنيوي ، من خلال بنى ، يصبح فيها الداخل ملحقاً بالإرادات الخارجية[1] .

ويرى البعض أن هناك اتجاهاً تحليليا يشير إلى غياب التناقض بين العولمة والأقلمة ، فالأخيرة يمكن أن تكون مرحلة وسيطة بين مستوى الدولة ومستوى العولمة ، كما قد تكون الأولى محفزاً للثانية ، لكنه يحذر من أن الأقلمة المقصودة هي بالضرورة أقلمة تابعة للعولمة أو لمركز الهيمنة في النظام العالمي ، وليست مناولة لها ، لأن الأخيرة لا يمكن إلا أن تكون في تناقض مع العولمة[2].

والأقلمة تشكل مستوى اندماج مؤسساتي ، أي أنها مشروع ثنائي المستوى وتتعلق بالمستوى القانوني في الدولة ، وعلى المستوى الواقعي فإن الأقلمة هي تحرك من خلال الشراكة ، في إطار شبكة داخل الأسواق المحلية ، ولكن إذا كانت العولمة عبارة عن مجموعة من العمليات وأيديولوجيا للإدارة الاقتصادية فإن الأقلمة مظهر دال على العولمة بلا شك ، وهذا ما جعل بعض الكتاب يربطون المفهومين معاً .

---

(1)وليسه الحمروني الورفلي ، العولمة والدولة ، مرجع سبق ذكره ، ص67 .

(2)حسن قائمة واخرون ، العولمة قضايا ومفاهيم ، مرجع سبق ذكره ، ص126 .

وفي حقيقة الأمر فإن المفهومين قد يتشابكان ولكنهما لا يحملان المعنى نفسه وما يميز بينهما ، أن الأقلمة تدفع بالتجارة بين الدول ، وتقف تحت سقف الإقليمية بالالتزام القانوني ، أما العولمة فهي قوة هيكلية أقوى من الإقليمية ويعتبر الالتزام بمبدأ تحرير السوق عنصرا جوهريا لما تطمح إلية العولمة[1].

ج : العولمة والأمركة "الهيمنة" :

فيما يتعلق بالعلاقة بين العولمة والهيمنة ، فقد يرى بعض المفكرين أن المفهومين مترادفان ، ويرون أن العولمة ظاهرة شمولية بمعناها ، مجتمعية الهدف وإن خرجت من رحم الاقتصاد فهي تقوم على فكرة إخضاع العالم لنمط تفكير وأداء واحد[2]، تحولت فيه الولايات المتحدة من سياسة الحماية خلال المرحلة الأولى للنظام الاقتصادي العالمي ؛ إلى الانفتاح التجاري خلال المرحلة الثانية من منطلق العزلة التي كسرها التورط في الحروب الأوروبية لتصبح رائدة للتحول إلى المرحلة الثالثة التي أحالت النظام فعلا من نظام دولي إلى نظام عالمي وتمكنت من تحويل النظم المؤسسية التي استهدفت العالمية ، ومن ثم عملت كدولة مدبرة كبرى ، تخدم العابرات التي انطلقت بداية منها ، وتطلعت إلى النفاذ إلى التجمعات الإقليمية التي تحولت من مواجهة العالمية إلى السعي للاندماج في النظام العالمي ، وتمكنت مراكز قطرية وإقليمية من إحراز تقدم تقني واضح ، استند في بعض الأحوال (اليابان وجنوب شرق أسيا) إلى منظومة ثقافية خاصة ، فضمن بذلك القدرة على الدفع الذاتي وأحدث تعدد المراكز الاقتصادية المتطورة تراجعاً في المركز النسبي للولايات المتحدة ، جعلها تتحول من العمل المباشر على المستوى العالمي إلى محاولة النفاذ إلى الأقطار والأقاليم[3] .

---

(1)رنيه الحروني الورثلي ، العولمة والدولة ، مرجع سبق ذكره ، ص67 .

(2)محمد الفرجاني حسن ، أفريقيا وتحديات العولمة ، مرجع سبق ذكره ، ص66 .

(3)السيد يسين وآخرون ، العرب والعولمة ، مرجع سبق ذكره ، ص260 .

وقد ساهم المفكر الأمريكي ، الياباني الأصل فوكوياما ، في الخلط بين العولمة والأمركة ، بعد أن اعتبر سقوط الاتحاد السوفيتي (سابقاً) وانهيار الكتلة الاشتراكية انتصاراً حاسماً لليبرالية على الشيوعية ، وأن نهاية الحرب الباردة هي المحصلة النهائية للمعركة الأيديولوجية ، وانتصار للقدرات التكنولوجية والمؤسسات والنظم الأمريكية[1] .

وفي تفسير لمفهوم العولمة والهيمنة الأمريكية ، أنها اتخذت من العولمة وسيلة لها ، باعتبار أن الولايات المتحدة الأمريكية مركز اقتصادي مهم في العالم ، وإنها القطب الأقوى القادر على التحكم في العالم ، لعدم وجود المنافس لها على الساحة الدولية ، على الأقل بالقدر نفسه من القوة ، وخاصة على الصعيد الاقتصادي .

ومن ثم فإن انتصار القيم الأمريكية يتحقق من خلال عولمة الأيديولوجية الرأسمالية ، وهو النمط الذي تطرحه أمريكا في كافة دول العالم ، من خلال انفتاح مؤسسي للسوق العالمية التي تقودها أمريكا[2] .

وبناء على ذلك لابد من القول أن العولمة ليست الأمركة كما يذهب إلى ذلك بعض المفكرين لكون الأمركة ليست وليدة اليوم فالولايات المتحدة الأمريكية كغيرها من الأمم لها رسالتها وحلمها الأمر الذي تعبر عنه أسطورة حكاها أحد زعمائهم الفكريين (أن الولايات المتحدة الأمريكية التي يحدها الشفق القطبي شمالا ، و الاعتداليين جنوبا والعماء البدائي شرقاً ، ويوم القيامة غرباً) [3].

لذا ومنذ مطلع هذا القرن فقد أعتبر الأمريكيون أن قدرهم أمركة العالم وسعوا دائماً من أجل تحقيق هذا الهدف بالسيطرة والنهب والإخضاع وتعميم النموذج الثقافي الأمريكي الذي تنوء تحت ضغطه اليوم أمم عظمى وعريقة ، ومع امتلاكهم اليوم قوة حربية هائلة ، تزايد لديهم الشعور بأنهم قادرين على تحقيق هدفهم بكل سهولة

---

(1)عبدالاله بلقزيز ، العولمة والهوية الثقافية ، (بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية) ص93 .

(2)محمد الكوني ، العولمة والهيمنة ، مجلة دراسات ، شعبة التثقيف ، مكتب الاتصال ، طرابلس ، العدد 5 ، ص8 .

(3)ياسر على خريسان ، العولمة والتحدي الثقافي ، مرجع سبق ذكره ، ص26 .

وتعززت النظرة الاستعلائية التي ترى في الثقافة الأمريكية النموذج الأصلح للعالم . لذا فإن قول جورج بوش في أوائل التسعينات أن القرن القادم ينبغي لـه أن يكون أمريكيا ، وقول نيكسون يجب على أمريكا إن تقود العالم يكون امتداداً لقول روزفلت في الأربعينات "إن قدرنا هو أمركة العالم " .

وخلاصة القول أن الأمركة هي أيديولوجية أمريكية تدعو إلى تبني النموذج الأمريكي في الاقتصاد والسياسة وفي طريقة الحياة بشكل عام ، أما العولمة فهي تعبر عن مجموعة من المتغيرات السياسية والفكرية والعلمية والاقتصادية والثقافية التي ساهمت في ازدياد الترابط بين شعوب العالم .

أما سعي الولايات المتحدة الأمريكية إلى إلباس العولمة ثوب الأمركة وبالشكل الذي يفضي إلى تحقيق مصالحها في قولبة العالم وفقاً لنمطها في الحياة ، لا يعطي مسوغاً كافياً لاعتبار العولمة هي الأمركة نفسها ، إنما العولمة شيء والأمركة شيء أخر .

وبهذا فإن المفاهيم المصاحبة للعولمة لا تعبر بالضرورة عن مفيومها ، إلا أنها قد تكون سابقة لها ، ومساندة لها .

ثانياً : تطور الظاهرة :

1. نشأة الظاهرة :

منذ أن نشأت الدولة القومية في القرن الخامس عشر وهي تتعرض لأفكار وتوجهات سياسية دولية تحاول أن تتجاوز حدود الدولة القومية واختصاصات السيادة وما ينشأ عنها من آثار تميز كل دولة على حدة ، ومن تلك التوجيات الأممية والدولية وغيرها وتدعي روادها وأنصارها بأنها تهدف إلى إيجاد أرضية مشتركة بين الثقافات والحضارات المختلفة وتنمية وسائل الحوار وجوانب التعاون من أجل عالم يقوم على المصالح المشتركة والحاجة المتبادلة للأشياء[1] .

---

(1)المرجع السابق ، ص15 .

لقد أصبحت ظاهرة العولمة حقيقة منذ بداية التأريخ ، فمثلا يشير علم الآثار إلى أن السومريين نزحوا إلى جنوب العراق من الصين ، أي أن الصينيين خرجوا من بلادهم واستقروا في بلد آخر (العراق) بغية الاستفادة مما هو موجود فيه من الخيرات ، وكذا الحال مع الآشوريين الذين احتلوا مصر واليونانيين الذين احتلوا معظم أسيا ومع الرومان الذين أسسوا عاصمتهم روما مستخدمين العبيد الذين جلبوهم من أسيا وشمال أفريقيا ،وتبعهم في ذلك العرب المسلمين الذين فتحوا معظم أسيا ، بما في ذلك جزء كبير من الصين بقصد التبشير بدينهم بالأساس والاستفادة من خيرات المناطق التابعة مثل جمع الضرائب والتجارة وتشغيل الأيدي العاملة والاستفادة من الخيرات وتصدير المنتجات المحلية إلى البلدان التابعة لغرض الربح ثم استيراد المواد الأولية والنادرة كالذهب والماس والفضة[1].

ولعل أشهر مثال للعولمة كان اكتشاف أمريكا من قبل كريستوفر كولومبوس سنة 1492 الذي نجح في جلب كميات هائلة من الذهب إلى الوطن الأم أسبانيا بعد الحرب العالمية الثانية بصورة خاصة ونتيجة لتوسع طرق المواصلات البرية والبحرية والجوية السريعة ، اقتربت أطراف الدنيا من بعضها البعض وأصبحت الدول الصناعية المتقدمة وشركاتها العملاقة قادرة على جمع أقصى الأرباح عن طريق توسيع نفوذها ليشمل كل العالم وبدأ الاجتماعيون يتكلمون عن القرية العالمية باعتبار أن أطراف العالم المترامية قد أصبحت متصلة ببعضها بحيث يمكن النظر إلى العالم كله كقرية متماسكة ، فالعوامل المحلية أصبحت مهددة من قبل القوى العالمية بصورة أكثر مما كانت عليه في أية فترة زمنية سابقة ونتيجة لكل ذلك ، ولغرض فهم ما حل بهذا العالم الصغير ، ظهرت نظريات العولمة لتفسير العلاقات العالمية وتفسير الحالة الاقتصادية في العالم إلى درجة أن هذه النظريات أخذت تلعب دورها حتى في رسم سياسة المؤسسات الحكومية[2].

---

(1)كمال مجيد ، العولمة والديمقراطية ، ط1 ، (لندن ، دار الحكمة ، 2000) ص9 .

(2) المرجع السابق ، ص10 .

وبالرغم من اختلاف نظريات العولمة عن بعضها البعض في التفاصيل إلا أنها تمتاز بالإجماع على ضرورة البحث عن أسباب التغيرات المعقدة والبعيدة المدى وبذلك يمكن القول إن للعولمة تاريخاً قديماً ، وبالتالي فهي ليست نتاج العقود الماضية التي ازدهر فيها مفهوم العولمة وذاع وانتشر ، وأصبح أحد المفاهيم الرئيسية لتحليل الظواهر المتعددة التي تنطوي عليها العولمة ، في السياسة والاقتصاد والاجتماع والثقافة ، ولعل ما جعل العولمة تبرز آثارها في هذه المرحلة التاريخية التي يمر بها العالم ، هو تعمق آثار الثورة العلمية والتقانية من جانب ، والتطورات الكبرى التي حدثت في عالم الاتصال ، والتي أحدثت ثورة في العالم من خلال تطور الحواسيب الالكترونية ، والأقمار الصناعية وظهور شبكة الانترنت ، بكل ما تقدمه للاتصال الإنساني بمختلف أنواعه من فرص ووعود [1].

وإذا حاولنا أن نتتبع النشأة التاريخية للعولمة ، يمكننا أن نعتمد على النموذج الذي صاغه *(رولاند روبرتسون)* في دراسته الهيمة للعولمة باعتبارها المفهوم الرئيسي والذي حاول فيه أن يرصد المراحل المتتابعة لتطور العولمة وامتدادها عبر المكان والزمان[2].

ونقطة البداية هي ظهور الدولة القومية الموحدة ، على أساس أن هذه النشأة تسجل نقطة تاريخية فاصلة في تاريخ المجتمعات المعاصرة ، ذلك أن ظهور المجتمع القومي منذ حوالي منتصف القرن الثامن عشر يمثل بنية تاريخية فريدة ، وفي الحقيقة أن شيوع المجتمعات القومية في القرن العشرين هو فعل من أفعال العولمة ، بمعنى أن إذاعة ونشر الفكرة الخاصة بالمجتمع القومي كصورة من صور الاجتماع المؤسسة ، كان جوهرياً بالنسبة إلى تعجيل العولمة .

---

(1)السيد يسين وآخرون ، العرب والعولمة ، مرجع سبق ذكره ، ص29 .

(2)المرجع السابق ، ص30 .

وهناك مكونان آخران للعولمة وهما ، بالإضافة إلى المجتمعات القومية مفاهيم "الأفراد" و "الإنسان"[1].

وبناء على هذه الاعتبارات ومن خلال تعقب البعد الزمني التاريخي الذي أوصلنا إلى الوضع الراهن ، والذي يتسم بدرجة عالية من الكثافة الكونية والتعقيد ننتقل إلى مراحل تطور العولمة وتنقسم إلى خمس مراحل .

2. مراحل التطور :

مرت عملية نشأة العولمة بمراحل عديدة تمثل نشوءها وتطورها وفيما يلي أبرز هذه المراحل :

أ. **المرحلة الجنينية** : بدأت في أوروبا منذ بواكير القرن الخامس عشر حتى منتصف القرن الثامن عشر حيث شهدت هذه الفترة نمو المجتمعات القومية ، وإضعاف القيود التي كانت سائدة في القرون الوسطى ، كما تعمقت الأفكار الخاصة بالفرد والإنسانية.

ب. **مرحلة النشوء** : استمرت من أوروبا في منتصف القرن الثامن عشر حتى عام 1870 وما بعد ، وبدأت الاهتمامات بموضوع القومية والعالمية[2].

وقد شهدت أوروبا فيها تحولاً حاداً في فكرة الدولة المتجانسة الموحدة ، ونشأ مفهوم أكثر تحديداً للإنسانية ، وزادت الاتفاقات الدولية إلى حد كبير ، وبدأت مشكلة قبول المجتمعات غير الأوروبية في المجتمع الدولي[3] .

ج. **مرحلة الانطلاق** : ابتدأت من عام 1870 وحتى العشرينات من القرن الماضي وهنا ظهرت مفاهيم كونية جديدة مثل خطة التطور الصحيح والاندماج الدولي، وبدأت فيها عملية الصياغة الدولية للأفكار الخاصة بالإنسانية ومحاولة تطبيقيا . وحدث تطور هائل في عدد وسرعة الأشكال الكونية للاتصال ، وظهرت

---

(1)المرجع السابق نفسه .

(2)عبدالرزاق محمد الدليمي ، العلاقات العامة و العولمة ، مرجع سبق ذكره ، ص95 .

(3)محمد الهاشمي ، مرجع سبق ذكره ، ص178 .

المفاهيم المتعلقة باليوميات الثقافية والفردية إلى جانب مفاهيم كونية مثل (خط التطور الصحيح) والمجتمع القوي المقبول .

د. **الصراع من أجل الهيمنة** : بدأت من نهاية عشرينات القرن الماضي واستمرت حتى الستينات من نفس القرن وبدأت الخلافات والحروب الفكرية وبدأت المصطلحات السياسية الخاصة بالعولمة تنتشر .

هـ. **مرحلة عدم اليقين** : بدأت منذ الستينات وأدت إلى أزمات واتجاهات وحروب أيديولوجية خاصة في التسعينات وتم إدماج العالم الثالث في المجتمع العالمي وزادت إلى حد كبير المؤسسات الكونية والحركات العالمية وتعدد الثقافات والنظام الدولي[1] ،والإعلامي الجديد ، وحدث هبوط على القمر ، وتعمقت القيم ما بعد المادية وشهدت المرحلة نهاية الحرب الباردة ، وشيوع الأسلحة الذرية ، وأصبحت المفاهيم الخاصة بالأفراد أكثر تعقيداً من خلال الاعتبارات الخاصة بالجنس والسلالة ، وظهرت حركة الحقوق المدنية ، وأصبح النظام الدولي أكثر سيوله ، وانتهى النظام الثنائي القومية[2] ، لقد تبين أن للعولمة أبعاداً سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية ، وكذلك أبعاد إيديولوجية واستراتيجية ، وهذه الأبعاد كثيراً ما تكون متداخلة فيما بينها وهو ما يجعلها بطبيعة الحال معقدة ، ولا يمكن فهم أي منها بمعزل عن التطورات السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية ، وغيرها ، فالشركات متعددة الجنسية ، قد أصبحت من أهم القوى الفاعلة في توليد اتجاهات مهمة لتفعيل أبعاد العولمة المختلفة، فجانبها السياسي يطرح خطابا للمعرفة السياسية ، يعرض فيه وجهة نظر العولمة في التحول في حملها على التغيير لصالح النشاط الاقتصادي ، الذي تحدده أنماط التجارة العالمية ، وحركة رأس المال ، والسيطرة التقنية والتكنولوجية ، من خلال البعد الاقتصادي[3] .

---

(1) عبدالرزاق محمد الدليمي ، العلاقات العامة والعولمة ، مرجع سبق ذكره ، ص95 .

(2) أنظر السيد يسين وآخرون ، العرب والعولمة ، مرجع سبق ذكره ، ص32 .

(3) وفيه الحمروني الورفلي ، العولمة والدولة ، مرجع سبق ذكره ، ص83 .

وسنطرح في هذه الدراسة من خلال الأبعاد المختلفة للعولمة ما يمكن أن يكون مسانداً للتداخل بين هذه الأبعاد وهو البعد الاقتصادي الذي يقود التغير في الأبعاد الأخرى لصالحه ، ويعتبر الشكل الواضح للعولمة.

ثالثاً : أبعاد العولمة :

1. البعد الاقتصادي :

تطرح العولمة النظام الرأسمالي كنموذج أمثل لتنظيم الحياة الاقتصادية حين تدعو الآخرين إلى عقيدة السوق وتحثهم على الانفتاح والاستماع إلى نصائح المؤسسات الدولية بالتكيف الهيكلي وتقليص سياسات الدولة الداخلية في مجال التعليم والصحة والتجارة والتوظيف والإنتاج وتمكين القطاع الخاص .

وتتجاوزها حين تدعوهم للمسارعة في التوقيع على اتفاقية الجات و الانخراط في شبكة الاقتصاد العالمي باعتبار أن ذلك هو السبيل الذي لابد منه لتحقيق النمو والتحديث والتقدم[1].

ويتمثل في نمو وتعميق الاعتماد المتبادل بين الدول والاقتصادات المختلفة و في وحدة الأسواق المالية النقدية وفي تعميق المبادلات التجارية ، التي تعمل في إطار نزعت عنه القواعد والإجراءات الحمائية وكما نصت على ذلك اتفاقية الجات واتفاقية إنشاء منضمة التجارة الدولية[2].

إن البعد الاقتصادي للعولمة هو البعد الذي يحتوي على مؤشرات و اتجاهات ومؤسسات اقتصادية عالمية جديدة غير معهودة في السابق وتشكل في مجملها العولمة الاقتصادية[3].

---

(1)علي القريشي ، العولمة والمركزية الأمريكية ، مرجع سبق ذكره ، ص37 .

(2) شبكة المعلومات الدولية . http:/www.uluminsania.net/9129.htm.

(3)عبدالخالق عبدالله ، مناقشة لبحث السيد يلسين في مفهوم العولمة ، في كتاب العرب والعولمة ، مرجع سبق ذكره ، ص52 .

ولعل أهم ما يميز العولمة الاقتصادية عن غيرها أنها تتحكم بالمال، فالمال هو عصب العولمة، فكلما تتحدث عن الاقتصاد فإن المال هو المقصود في نهاية الأمر فكيف تسخر العولمة الاقتصادية لخدمة المال ؟ ورأس المال المتحكمين بحركة الأموال والمصارف برؤوس الأموال فالعولمة تصب بثلاث اتجاهات رئيسية[1].

1. تحول الاقتصادات الحديثة إلى منظومة مندمجة تلتقي داخليا حركة توسيع مبادلات السلع والتكنولوجيات والخدمات ورؤوس الأموال وأدوات التواصل عبر شبكات مرتبطة بعضها ببعض .

2. اندثار الخصوصيات الثقافية وأنماط الاستهلاك الخصوصية بسبب تجانس الطلب وخضوع الموجات إلى تنظيمات موحدة ذات بعد كوني .

3. تحول الأنشطة الاقتصادية الموجودة في مختلف الأقطار بكل أشكالها إلى نماذج للإنتاج والتبادل متآزرة عبر مختلف قنوات الاتصال .

ونتيجة لضغوطات أدوات العولمة التجارية من خلال منظمة التجارة العالمية بفتح مجالات الاستثمار في البنى التحتية للدول من خلال الخصخصة مثل الكهرباء والاتصال إلى زيادة حجم التجارة الدولية من خلال تحرير التبادل التجاري والخدمات وتحويل رأس المال بحرية وبدون حواجز واتساع دور الشركات المتعددة الجنسيات والمؤسسات متخطية الحدود، لتسيطر الشركات العالمية الكبرى ، وتزايد أهميتها في الاقتصاد العالمي ولتجتاح موجة الخصخصة العالم فتفكك بذلك سيطرة الدولة على الخدمات الأساسية ، وكضمان لنجاح العولمة الاقتصادية تم إنشاء (منظمة التجارة العالمية) عام 1995 كقيادة اقتصادية للعالم على الصعيد التجاري ، وأنيطت بهذه المنظمة صلاحيات أوسع في مجال مراقبة النظم التجارية وفرض الانضباط على النشاط التجاري .

---

(1) حسن عبدالله العايد ، المتغيرات الدولية وسيناريوهات الثقافة العربية ، ط1 (بيروت ، منشورات دار النهضة العربية ، 2001 ، ص35 .

وهي بمثابة الركن الرابع للنظام الاقتصادي الدولي إلى جانب كل من صندوق النقد الدولي والبنك ومنظمة التعاون والتنمية الاقتصادية[1].

إن الشركات المتعددة الجنسيات هي في واقع الأمر ذات جنسيات محددة في دولها الأم والتي هي في الغالب الدول المتقدمة والأكثر هي أمريكية تعمل في أسواق تتميز بالمنافسة والاحتكار لاتخاذ القرارات لصالح الدولة الأم[2] .

يمكننا القول أن العولمة في الجانب الاقتصادي اتخذت شكل التيار الهادر الصاعد في فتح الأسواق ، والانفتاح العالمي على بعضها البعض ، وقد تنامي هذا التوجه والانفتاح مع التزامه في الحركة النهضوية في تحديث بيئة الإنتاج في اقتصادات السوق المتقدمة ، وتصدع نظم الإنتاج في اقتصادات دول التخطيط المركزي وتحولها إلى اقتصاد السوق ، وما أحدثه ذلك من تفكيك هائل وانكشاف خارجي في هذه الدول[3] .

إن تعاظم وتزايد الدور الذي تلعبه المزايا التنافسية في تغيير مفهوم التقدم وفي آليات تحقيقه قد جعل العولمة في جانبها الاقتصادي ترتكز إلى[4] :

أ. حركة تكتل الاقتصادات واندماج غير مسبوقة من أجل اكتساب أكبر حجم من الاقتصاديات وذلك على نطاق شديد الاتساع فتزداد امتداداً كل يوم .

ب. تقديم منتجات جديدة واسعة الاستخدام يتم إنتاجها بأحجام اقتصادية كبيرة للدرجة التي يكاد يكون نصيب الوحدة المنتجة منها من عناصر التكلفة الثابتة يساوي صفراً رغم ضخامة التكاليف الثابتة ، ورغم ضخامة المنفق منها على البحوث والدراسات والتطوير ورغم كونها متزايدة القيم وبشكل مضطرد إلا أنها تشكل عبئاً على الوحدات المنتجة لكونها أقرب بالنسبة لها إلى الصفر .

---

(1)مجد الهاشمي ، مصدر سبق ذكره ، ص186 .

(2)عبدالكريم كامل عبدالكاظم ، النظم الاقتصادية المقارنة ، (بغداد ،مكتبة دار الكتب للطباعة والنشر ، 1988) ص79 .

(3) علاء الدين ناطورية ، مرجع سبق ذكره ، ص14 .

(4) المرجع السابق ، ص15 .

ج. استخدام نظم التسويق الفورية على جميع المستويات وخاصة مع انتشار نظم التجارة الالكترونية والتعامل بها .

د. استخدام نظم استثمار فعالة في البشر وقائمة على البحث عن النخب أصحاب الملكات والمواهب والقادرين على الابتكار وعلى التحسين وعلى اكتشاف الفرص والاستفادة منها واستثمارها.

لقد انضمت آليات العولمة مع الدراسات المستقبلية التي تبحث عن الصورة المباشرة للمستقبل كما يجب أن يكون لترتقي بالطموحات والأحلام البشرية لتجعل منها حافزاً ودافعاً قوياً نحو تحقيق مستوى أفضل من المعيشة ناهيك عن زيادة الدخل لقد ساعدت العولمة على ترسيخ النزعة نحو الأجود وعلى جعل البشر يسعون إلى الحق وإلى الخير والعدالة ، وعملت العولمة على تنمية الشعور والأساس بين البشر بأنهم انسانيون ، وبحكم هذه الإنسانية يتعين أن تتوفر لهم حدود دنيا من الحقوق وعلى الأنظمة الحاكمة أن تتلاعب بمصيرهم لقد تم إزالة الحواجز الفاصلة بين الشعوب حواجز اللغة والقومية والطبقات واللون والجنس وأصبح الطريق ممهداً لإنشاء السوق العالمية الواحدة المتكاملة والمترامية الأطراف وفق النظام الفعلي الأمريكي الجديد [1].

يستخلص الباحث أن العولمة الاقتصادية هي سلسلة مترابطة من الظواهر الاقتصادية وتتضمن هذه الظواهر تحريرا للأسواق وخصخصة الأصول وانسحاب الدول من أداء بعض وظائفها ونشر التكنولوجيا والتكامل بين الأسواق الرأسمالية وانتقال رؤوس الأموال بين الدول دون عوائق أو حواجز .

---

(1) المرجع السابق ، ص16 .

2. البعد السياسي :

ليس من شك في نظام القطبين السابق قد أوجد توازناً بين القوى العالمية ووفر للعديد من النظم والشعوب الضعيفة ولحركاتها التحررية غطـــاءً ومجـــالاً للحركـــة والمناورة ، وأوجد فرصاً لاسترداد بعض من ثرواتها وحقوقها ، كما سمح بظهـــور تكتلات دولية دعمت على نحو ما ذلك التوازن وتلك الفرص ، إلا أنـــه مـــع انهيـــار المنظومة الشيوعية وانفراد القطب الواحد بالقرار ، أمست شعوب الجنوب وحيدة أمام نموذج سياسي يضع نفسه بصفته الخيار الوحيد الذي لا مناص من الارتبـــاط بـــه أو التكيف الإيجابي مع استراتيجياته، ومن هنا يسجل للعولمة السياسية سعياً ملحوظاً في نهاية هذا القرن باتجاه إحداث التغيير في المناهج وصيغ التعامل في العلاقات الدولية وإحلال مبادئ وقواعد وشروط جديدة تنتفي مـــن خلالهـــا أي سياســـة لا تســـتجيب لمتطلبات الغرب واستراتيجياته [1].

ولقد مورس ذلك السعي عبر مختلف الطرق والأساليب بدءاً بالضغط السياسي الذي يوجه ضد الأطراف التي تصر على استقلالها في المنهج والاتجـــاه ، أو التـــي تشكل عقبة أو إعاقة في وجه المشروع الغربي ، مروراً بمحاولات الاحتواء والتمييد الجيوسياسي الذي يصب في خدمة العولمة ، كما الحال في الحث على الـــدخول فـــي الشرق أوسطية أو الشراكة الأوروبية المتوسطية ، وانتهاء باتخاذ إجراءات العزل أو المحاصرة أو المقاطعة أو افتعال القضايا الحقيقية أو الوهمية في وجه أي طرف يظل مصراً على الاحتفاظ باختياراته و مناهجه الخاصة ، ناهيك عن وضع أطراف بعينها في قائمة ما يسمى بالدول الإرهابية أو التي ترعى أو تدعم الإرهاب [2].

لقد صرنا نسمع ونقرأ ونشاهد الصور الفجة للتدخلات الأمريكية والغربية في شؤون الآخرين وتحت عناوين مختلفة : الحفاظ على الأمن الدولي أوالتوازن الإقليمي

---

(1)على القريشي ، العولمة والمركزية الامريكية ، مرجع سبق ذكره ، ص37 .

(2)المرجع السابق نفسه.

حماية الأقليات ، حقوق الإنسان ، مكافحة الإرهاب ، مراقبة الانتخابات ،إلى غير ذلك ، من التجاوز لما اعتبر خطوطاً حمراء – أحد آليات الغرب وأساليبه المستحدثة في تسييد عولمته الجديدة في وقت يتم فيه الحرص على بقاء واستمرارية بعض النظم والحكومات التي يتمثل في سلوكها الانسجام والطاعة أو التي تشكل في مواقعها مراكز حيوية تخدم مصالح الغرب وتحمي نفوذه[1].

كما يرتبط البعد السياسي للعولمة بالأمور الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وهي بالتالي تصب في نفس الاتجاه المعولم ، التي سينتج عنها قيام مرحلة عالم بلا حدود ، فالعولمة السياسية هي انتهاء الحدود بين الدول وبروز حكومة عالمية واحدة بحيث تتأثر كل دولة بما يجري حولها من الدول مما يجعل الدولة في حالة انكشاف أمام تيارات العولمة ، التي أصبحت السلطة الوطنية بفعلها ، تواجه العديد من القيود في سيطرتها سيطرة كاملة على إقليمها ، كما أصبحت السياسات متداخلة نتيجة لتداخل المعلومات ، مما سينقل السياسة من المجال المحلي إلى المجال العالمي[2] .

أن ما نراه من أدوار سياسية تلعبها الولايات المتحدة بنفسها أو من خلال مجلس الأمن هو تأكيد على ما نشاهده كل يوم في أجزاء كثيرة من المعمورة وخصوصاً بعد إخراج القطب الموازي لها من حلبة الصراع ، حققت الولايات المتحدة الأمريكية البعد السياسي للعولمة ، وهو أحد أهم الحلقات التي كانت مفقودة في هذه الظاهرة[3] .

هذا الشكل من العولمة يتصف بأهمية الولايات المتحدة الأمريكية ومؤسساتها السياسية وأيضاً الشبكات الحكومية والتي تتخصص في مجالات مثل السياسة أو الهجرة أو العدالة كما يتميز بالمؤسسات الخاصة التي لا تحمل صفة حكومية ، كما أنها ليست قومية بالشكل الكامل مثل منظمة العفو الدولية لكن العديد من هذه الهيئات تعوزها

---

(1)المرجع السابق نفس الصفحة .

(2)وئيسه العمروني الورقلي ، العولمة والدولة ، مرجع سبق ذكره ، ص16 .

(3)صالح السنوسي ، العولمة أفق مفتوح وإرث بشير المخاوف ، ط1 (القاهرة ، ميريت للنشر والمعلومات ، 2003) ص165 .

الأمانة الديمقراطية والقوة والسلطة والمدى ، بالإضافة إلى ذلك شك كبير بخصوص الهيمنة الأمريكية التي تواجه مقاومة كبيرة في الخارج وتتأثر بالتذبذب الأمريكي بين إغراءات السيطرة من جانب والانعزالية من جانب آخر[1].

يستخلص الباحث أن البعد السياسي يقوم على الحرية في صورها المتعددة مثل حرية العقيدة والفكر والتعبير ، وحرية الانضمام إلى التنظيمات السياسية وتأكد حرية الإنسان في التنقل وتجاوز الحدود دون قيود .

3. البعد الاستراتيجي :

إن عملية الاحاطه بظاهرة العولمة ، تحتاج إلى دراسة البعد الاستراتيجي لهذه الظاهرة الساعي لشل حركة وظائف الدول والأمة ، وتفكيك نظمها الإنتاجية ومؤسساتها أي القفز فوق مهام الدولة والأمة والوطن والمواطنة ، وتمكين الشركات المتعددة الجنسية والمؤسسات الاقتصادية الكونية من إدارة وتسيير شئون الاقتصاد العالمي ، لتحل محل الدولة ، لفرض تعميق اختراق اقتصادات الجنوب ، وإلحاقها بالاقتصاد العالمي من موقع متخلف لتؤدي وظائف معينة[2] .

ناهيك عن تنفيذ مصلحة سلطة القرار الاقتصادي العالمي ، عبر إدارة شديدة المركزية من الخارج ، لفرض خلق ما يسمى بالأممية الاقتصادية ، أي بمعنى خلق ما يسمى بأمة العولمة الاقتصادية أي خلق المجال الاقتصادي العالمي ، وهو عبارة عن كيان جديد ووطن جديد لا ينتمي إلى الجغرافية ولا إلى التاريخ .

عندئذ يستثنى فتح الأبواب أمام حركة رؤوس الأموال الدولية ، وطبقاً لهذه الأهداف الاستراتيجية ، فإن العولمة تسعى إلى خلق إطار مؤسس يهيمن على العالم ويستند إلى خلق تجانس في المفاهيم والمؤسسات وآليات عمل الاقتصاد العالمي

---

(1)كرم سعيد ، يةالعولمة قراءات استراتيج ،(إصدارات الأهرام للبحث العلمي ، العدد 2، 2003) ص26 .

(2)عمر حسن أحمد بدران ، الإنسان والعولمة ، مرجع سبق ذكره ، ص37 .

والأسواق العالمية ، بالإضافة إلى تفكيك النظم الإنتاجية والمؤسسية والاقتصادية مع خلق تكامل فيما بين الأنشطة البيئية الاقتصادية الكونية ، وتصغير حجم القطاع العام ونشاط الدولة الاقتصادي[1] ، وتنطوي العولمة طبقاً للبعد الاستراتيجي والمقومات على تبني أيديولوجية عناصرها الأساسية لمحاربة الذاكرة الوطنية والتاريخية والوعي والهوية ، بما يشكل خطراً لا يمكن تجاهله على عالمنا ، إذ يمتاز عالم اليوم بكونه عالم إطلاق العنان للولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها لتفكيك المفاهيم التقليدية لمفهوم السيادة الاقتصادية الوطنية والاستقلال الاقتصادي وإعادة صياغتها بما يؤدي إلى تصغير حجم الدولة إلى مفهوم تقليدي في اللغة الاقتصادية بل ومحاصرة مفيوم التنمية المستقلة كشعار وملاذ لدول العالم الثالث عموماً والعالم الإسلامي خصوصاً في جهادها ضد التخلف و التبعية .

ويشن الغرب بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية هجمة شرسة ضد المفهوم السيادي للدولة في الدول النامية تحت ذرائع مختلفة كعدم الكفاءة الاقتصادية وسوء توزيع الموارد وعدم تدوير الدواليب الاقتصادية .

وكأن مصير التنمية في هذه الدول يرتبط ارتباطاً مصيرياً بإزالة المفهوم السيادي، إن الركون إلى التحليل الاستراتيجي للعولمة الذي تسعى الإدارة الأمريكية للترويج له ينطوي على اختلال ومغالطة بشأن أهمية دور الدولة في التنمية ، فضلاً عما ينطوي عليه من أهداف تتعلق بما يسمى بالعولمة الاقتصادية التي تحمل عنوان اقتصاديات السوق ، والدعوة المعاصرة للرأسمالية الطليقة ، وعالمية الاقتصاد ، فالولايات المتحدة الأمريكية تحاول بناء هيمنتها الاقتصادية ونفوذها الاقتصادي على اقتصاد القرن الواحد والعشرين وإدارته إدارة اقتصادية شديدة المركزية[2].

---

(1)المرجع السابق نفس الصفحة .

(2)المرجع السابق ، ص38 .

4. البعد الإيديولوجي :

العولمة كأيديولوجيا Idcology وتعني أن العولمة طرح مذهبي يقوم على فكرة انتصار الحضارة الغربية التي تؤسس لحضارة إنسانية جديدة أو حضارة تكنولوجية تقود العالم[1] .

فالعولمة تعبر بصورة مباشرة عن إرادة الهيمنة على العالم ، وتبرز الولايات المتحدة الأمريكية هنا كقوة هيمنة عالمية من خلال لجوئها إلى[2]:

- السوق العالمية واستعمالها كأداة للاحتلال في الدول القومية ، في نظمها وبرامجها الخاصة بالحماية .
- اللجوء إلى الإعلام لإحداث التغيرات المطلوبة .
- وأن قوة الهيمنة العالمية تسعى باطراد لمنع ظهور أية قوة إقليمية وذلك بسعيها إلى :
- إضعاف قوى الهيمنة الإقليمية الساعية إلى تحقيق استقلالية تامة لسياستها الخارجية .
- ممارسة الضغوط على اللاعبين الإقليميين الذين يسعون لتحقيق سياسة خارجية مستقلة برغم افتقادهم للقوة التي تؤهلهم للتحول إلى قوة هيمنة إقليمية .
- السيطرة على قوى الهيمنة الإقليمية الغنية بالمواد الطبيعية الحيوية بالنسبة لمصالح القوى العالمية .
- العمل على التخفيف من سلوكيا المعادي لقوى الهيمنة الإقليمية حين تنجح قوة الهيمنة العالمية إلى تبديل السلوك الاستقلالي لأي قوة هيمنة إقليمية والعكس صحيح .
- خلق قوة هيمنة إقليمية تكون حليفة أو تابعة لها.

---

(1)محمد حسين أبوالعلا ، ديكتاتورية العولمة ، مرجع سبق ذكره ، ص24 .

(2)محمد الهاشمي ، العولمة الدبلوماسية والنظام العالمي الجديد ، مرجع سبق ذكره ، ص182 .

إن مسيرة العولمة تعني في الواقع أمركة العالم ، أي بسط الحكم الأمريكي على مستوى كوكب الأرض ، والأمريكي لا يشعر بأي تناقض مع العولمة ، لأن هوية المجتمع الأمريكي تتمثل في كونه مجتمع (هجرة) ، لذلك فإن العولمة ، تتوافق مع هويته ولا تتعارض معها ، فالأمريكي لا يحتاج في ظل العولمة إلى هوية ثانية تبعده عن هويته القديمة ، ولا يحتاج النموذج الأمريكي لأن يغير من طبيعته ، فالعولمة والأمركة بالنسبة للأمريكي مسيرة واحدة ، وهذا يسمح للأمركة أن تصبح صورة لعالم لا يقترن فيه الانتماء القومي ، بالمصلحة القومية فالعالم حين يكون على صورة الولايات المتحدة الأمريكية تصبح السياسة الخارجية للولايات المتحدة امتدادا لسياستها الداخلية ، حيث الأسطورة وحدها تجمع الشتات المجزأ للبلدان [1].

وهنا لابد من الإشارة إلى أن (*صموئيل هنتنغتون*) يكاد يقترب من رؤية جان ماري كنو ، حيث يرى أن العولمة تشكل صدمة عنيفة لجميع المجتمعات البشرية التي تكون فيها الذاكرة التاريخية عنصراً أساسياً في تكون هويتها وانصهارها الاجتماعي ، وهذا يعني أن أمريكا معولمه بفعل ضعف وتشتت ذاكرتها التاريخية.

ويفصح *مايكل جي غينوي* ، أستاذ القانون في جامعة كاليفورنيا ، عن الموقف الأمريكي الهادف إلى فرض رؤيته على العالم قائلاً :

(أن الفكرة القديمة القائلة بالمساواة في السيادة بين جميع البلدان كبيرها وصغيرها ، مفهوم أجوف ، وأن جميع الدول ليست متساوية في الواقع بقوتها أو ثروتها أو التزامها بحقوق الإنسان والسلام ، وأن النظام الجديد يقر بشيء مختلف يغفل عنه ميثاق الأمم المتحدة ، وهو أن التهديدات الكبرى للاستقرار والرفاه تتأتى الآن من العنف الداخلي بشكل مواز أو أكثر مما يأتي من القتال عبر الحدود)، وهو يرى أن تجاوز القوانين الدولية التي تنتسب إلى مرحلة الثنائية القطبية ينبغي أن لا يلقى من يأسف عليها ، وأن إخفاق النظام السابق كانت فاجعة[2].

---

(1)المرجع السابق ، ص183 .

(2)نفس المرجع السابق ، ص184 .

ولذلك يقول : إننا لن نخسر شيئاً في مسعانا لصياغة نظام جديد ، فالسياسة الأمريكية هنا يصفها عالم الاجتماع الأمريكي *فكتور بالريدج* بالقول : ..إن ما يسود العالم الآن هو أسلوب حياة ونظام تكون على أسس معطيات الرأسمالية في ذروة تطورها ، الذي تمثله أمريكا ، ويرى أن فرض القيم الأمريكية على العالم يأتي في سياق إمبريالية حضارية، إن النظام الدولي الجديد الذي أعلنته الولايات المتحدة الأمريكية للأنفراد بالعالم والهيمنة عليه ، يهدف إلى تحقيق جملة من الأهداف ليا يمكن ذكرها على النحو الآتي[1] :

1. الضمان الأساسي للنفط في المنطقة العربية على مدى زمني قادم .
2. الضمان الأساسي لدول المنطقة الصغيرة والعمل على احتواء الدول الثقيلة المؤثر فيها .
3. الحصول على مكاسب جيو اقتصادية على حساب غرب أوروبا واليابان .
4. التدخل في الشؤون الداخلية واختراق السيادات الإقليمية .
5. ترتيب قضايا التسوية بين العرب والكيان الصهيوني .

ولما كانت العولمة في بعدها الإيديولوجي تقوم على التوسع والهيمنة فإن مرحلة التسعينات تكشف لنا بوضوح وجلاء كلي عن المخططات لإعادة سياسة التسلط والهيمنة السياسية والاقتصادية والحضارية ، وللتقسيم والتجزئة والتفتيت لتعطيل مشاريع التنمية القومية والتطور الاجتماعي ، والتآمر على وعي الأجيال لقضاياها الوطنية والقومية والإنسانية، لتحقق من خلال ذلك عالم من دون دولة ومن دون وطن ومن دون أمة ، إنه عالم المؤسسات والشبكات العالمية الذي يجعل من الفضاء والمعلوماتية الذي تضعه شبكات الاتصال وطناً له يسيطر ويوجه الاقتصاد والسياسة والثقافة .

---

(1)سعد عابد الجابري ، عشر أطروحات ، مجلة المستقبل العربي ، العدد 228 ، 1998م

5. البعد التكنولوجي :

يعتبر التطور والتقدم التكنولوجي أهم عوامل العولمة لأنها مؤثرة على أسلوب وطرق تسويق العولمة والتكنولوجيا تعتبر الأداة الرئيسية والذراع التنفيذي للعولمة .

إن الأدوات التكنولوجية هذه ليست مرغوبا بها فقط وإنما هي تطور تاريخي حتمي ، ندعو إلى انتهال علومه حتى الإدمان ومعرفة أدواته وأسراره ومواكبتها ، لكن هذه الوسائل هي عربة العولمة والمشكلة تكمن في الأنظمة والحضارة التي تم تركيبها داخل هذه العربة فيمكن أن تكون وسيلة خير أو وسيلة شر وذلك يعود لطريقة استعمالها ومن يقودها .

إن أهم ما يميز عصرنا الحاضر هو هذا الكم الهائل من التطور والتقدم في مجال صناعة التكنولوجيا الاتصالية والتي بدورها تقسم إلى مجالين متلازمين هما :

- الثورة العلمية والتكنولوجية التي ترتب عليها انفجار معرفي ومعلوماتي هائل .
- الدور الحاسم للحاسبات الإلكترونية كسمة مميزة لثورة المعلومات الهائلة.

ويرى البعض أن التقنية التكنولوجية تعتبر من أهم عوامل العولمة لأنها تؤثر على طرق الإنتاج واقتصادياته وعلى تدفق الموارد والمعلومات وهي المتحكمة بإيصال هذا الكم الهائل من تدفق المعلومات والسيطرة على مجريات الأمور الاقتصادية والإعلامية هذا وقد تميزت الثورة الالكترونية بسمات هي[1] :

1. ساعدت هذه الثورة إلى حد بعيد في اختصار المدى الزمني الذي يفصل بين كل ثورة صناعية وأخرى حيث أصبحت الاختراعات والاكتشافات العلمية الصناعية متقاربة في الزمن وبعضها يصل إلى أسابيع بينما في الماضي كانت تفصل بينها قرون وعقود .

2. تعتمد الثورة الصناعية الجديدة في مجال الالكترونيات على نتائج العقل البشري وعلى حصيلة الخبرة والمعرفة التقنية وطرق استخدامها واستغلالها الأمثل من الناحية

---

(1)حسن عبدالله العابد ، أثر العولمة في الثقافة العربية ، مرجع سبق ذكره ، ص10 .

العلمية الداعية إلى التفكير بوسائل أكثر تقدما مما تحصل عليه من أدوات الكترونية متخصصة .

3. ترتب على ذلك مواكبة حتمية مفروضة على من يريد أن يواكب التطور التكنولوجي الجديد الحاصل في طبيعة العمليات الإنتاجية كاستثمار رئيسي في نوعيات معينة في مجالات محددة كالبرمجيات والتعامل مع الاستخدام العلمي للحاسبات في مجالات الاتصال والاقتصاد وغيرها من خلال تنمية المهارات البشرية وإعداد الكوادر المتخصصة .

4. متابعة مجالات محددة من أجل إيجاد الحلول للمشكلات الاقتصادية والاجتماعية والبيئية والإفادة من الحلول البديلة لمشكلات الحاضر والعمل على تفاديها في المستقبل .

5. التركيز على أهمية المعلومات لأن السمة الرئيسية للثورة التكنولوجية هي الاعتماد على المعلومات وقد أصبحت المعلومات عنصراً هاما وحيويا في حياتنا وكذلك أصبحت بسبب هذا التقدم التكنولوجي قابلة للإضافة والتجديد والتقدم والتطور والتحرك والتغير كلما ثبت جديد يثبت صحته قد يلغي أو يحل محل القديم منها .

6. وكنتيجة لثورة تكنولوجيا المعلومات فقد أدت إلى تصغير المنتجات مما أدى إلى انتشارها بصورة سريعة وخصوصا بعد انخفاض تكاليفها وأصبحت في متناول شرائح واسعة من المجتمعات في جميع أنحاء المعمورة [1] .

7. وكذلك الثورة الهائلة في تكنولوجيا الاتصالات ، ويعتبر هذا من أهم التحولات في الثورة الصناعية الحديثة فقد تحول العالم إلى شبكة اتصالات عنكبوتية كونية متشابكة متلاحمة عبر الأقمار الصناعية والألياف الضوئية وأجهزة الاتصال المتقدمة حيث أصبح العالم شاشة حواسيب (كمبيوتر) كوني .

---

(1)المرجع السابق ، ص41 .

وهناك من لا يرى في العولمة إلا اتجاهاً متزايـدا نحـو تقسيم العمـل وانتشـار التكنولوجيا الحديثة من مراكز العالم المتقدم اقتصاديا إلى أقصى أطراف الأرض[1] .

وتخصص الدول الصناعية الكبرى في صناعات التكنولوجيا المتقدمة مثل صـناعات الكمبيوتر وبرامج الكمبيوتر المتطورة ، وكذلك الخدمات ذات الطابع التجاري وأهمها الخدمات المالية وخدمات النقل ، والاتصـالات السـلكية واللاسـلكية ، والخـدمات الاستشارية والمقاولات ، والإنشاء والتعمير ، والسياحة بأشكالها المختلفة ، والخدمات المهنية (تعليم ، طب ، استشارات محاماة ، محاسبة) ، وهي خدمات تحقـق قيمـة مضافة عالية أي أن عائدها مرتفع ، وهذا العائد المرتفـع يتـيح الفرصـة للتمتـع بالرفاهية وجنى ثمار الرخاء ، وتحرص الدول الكبرى على توفيرها لشعوبها عنوانـاً لتميزها وتقدمها ، وهذا التخصص الجديد ينهض على تكثيف اسـتغلال رأس المـال والتركيز على توظيف التكنولوجيا المتطورة على طريق تحقيق الميـزة التنافسـية . إن ثورة التكنولوجيا المتطورة أفضت إلى ظهور حضارة جديدة ذات نظـام إنتـاجي متميز وليا آثارها الأخلاقية والاجتماعية التي أسفرت عن تغيير جذري فـي شـكل الحياة ، فالإنتاج في الدول الكبرى يتميز بالمعرفة الكثيفة وقلة العمالة[2].

وعلى هذا النحو سيكون علينا أن نشهد ازدياد الدول المتقدمة تقدماً والـدول الناميـة تخلفا مما يؤكد حلول حالة من عدم التكافؤ بين الدول الناميـة والـدول المتقدمـة ، وبالتالي سيتم الحصار أكثر عبر العنف الثقافي الأمريكي على تلك الدول التي تسـعى للخروج من أسر النظام العالمي الجديد أو العولمة الجديدة[3].

حيث ترتب على إضفاء الحماية على طريقه الإنتاج أن أصبحت قيمة السـلعة تكمن أساساً في محتواها العلمي والتكنولوجي على حسـاب قيمـة عوامـل الإنتـاج الأخرى وبخاصة المادة الخام ورأس المال والعمالة ، وقد نجم عن هذا الأثر عدة

---

(1)المامون على جبر عمار الحداد ، أخلاقة العولمة بالسلوك التطرفي ، (القاهرة ، مكتبة الآداب ، 2002) ص16

(2)عاطف السيد ، العولمة في ميزان الفكر ، دراسة تحليلية ، (القاهرة ، المنتج للطباعة ، 2002 ف) ص89 .

(3)وداد يوسف كمال حسين ، العولمة بين الماضي والحاضر ، (الإسكندرية ، المكتبة المصرية للطباعة والنشر و التوزيـع ، 2004) ص318 .

نتائج أهمها زيادة درجة اعتماد الدول النامية على الدول المتقدمة[1] والخلاصة أن التغيرات التكنولوجية أحد محركات العولمة ، وأدى التقدم التكنولوجي في المواصلات والاتصالات إلى تسارع عمليات العولمة .

وفي خلال العقود الثلاثة ، الأخيرة أدى تلاقي ثورة المعلومات والاتصالات من ناحية والحاجة إلى غزو الأسواق من ناحية أخرى إلى ثورة مالية لا تقل خطورة عن أهمية الثورة الصناعية ، والتي بدورها أدت إلى تقريب أجزاء المعمورة فضلا على الحدود السياسية وتجاوز المكان واختصار الزمن.

رابعاً : أهداف العولمة :

إن العولمة حقيقة واقعة ، وهي حقيقة تعني ذاتها ، وتعرف جيداً ملامح ومعالم هذه الذات ، وهي أيضاً تحيط بمضمون حقيقتها الموضوعية [2].

حيث يتم التعامل مع عالم تتلاشى فيه تأثير الحدود الجغرافية والسياسية ، فأمامنا رأسمال يتحرك بغير قيود وبشر ينتقلون بغير حدود ، ومعلومات تتدفق بغير عوائق ، وهذه ثقافات تداخلت وأسواق تقاربت أو اندمجت ، وهذه دول تكتلت فأزالت حدودها الاقتصادية والجغرافية ، وشركات تحالفت فتبادلت الأسواق والمعلومات والاستثمارات عبر الحدود ، وهذه منظمات مؤثرة عالمياً مثل البنك الدولي وصندوق النقد الدولي ووكالات متخصصة للأمم المتحدة تؤثر بدرجة أو بأخرى في اقتصادات وعملات الدول ومستوى وظروف معيشة الناس عبر العالم [3].

لقد أصبح ملحوظاً تواجد الجنسيات المختلفة في المشروع العالمي الواحد ، وأصبح ملحوظاً التواجد الانتشاري شديد الاتساع لفروع المشروعات

---

(1)عاطف السيد ، مرجع سبق ذكره ، ص90 .

(2)حميد حمد السعدون ، مرجع سبق ذكره ، ص77 .

(3)أحمد سيد مصطفى ، تحديات العولمة والتخطيط الاستراتيجي ، ط2 (الزقازيق ، كلية التجارة بنها ، 1999) ص11 .

ولمنتجاتها ، ولعلاقاتها التجارية ، ولخدماتها التي تقدمها ، لقد أصبح هذا كله هو التركيبة والمزيج المتعولم الذي يزداد وينمو الإحساس به ، ويسيطر كاتجاه فارض لذاته ولنفسه ، فقد أصبحت العولمة شيء جديد تكشف عن وجود مجموعة من الأهداف المتعمقة والتي يمكن عرض أهمها على النحو التالي [1] :

أولاً : تفكيك وإزالة وإذابة الحدود الفاصلة والحواجز العازلة بين الشعوب بعضيا البعض ، وإنهاء التوجهات الجزئية للدول ، و الاقتصاد المحلي ، والقضاء على حالة الانعزال القومي ، وإيقاف ظاهرة التشرنق والتقوقع الذاتي ، وتفجير كل هذا من الداخل .

ثانياً: بناء هياكل إنتاجية مثلى لإنتاج السلع ، وتقديم خدمات صناعة الأفكار علي مستوى الحجم الاقتصادي الكبير الذي يأخذ في معطياته السوق الكوني الجديد والذي يفرض على الأطراف المختلفة الاعتراف به ، ليس باعتباره واقعا جديداً فقط ولكن باعتباره الأفضل و الأرقى و الأحسن ، وباعتباره متمتعاً بمزايا تنافسيه فائقة وفارقة ، ومتميزة عن الآخرين [2].

ثالثاً : إعطاء الفرصة كاملة لقوى الابتكار والخلق والإبداع والتحسين والتطوير والتنمية والانتماء لتتفاعل مواهبها وملكاتها بشكل كامل ومتكامل .

رابعا: الانطلاق إلي آفاق شاسعة ، والي نطاقات واسعة ، والي مجالات غير مسبوقة تضفي قدرا كبيرا من التقدم ، والرقي ، والتنمية المتواصلة المستدامة ، والتحول بها لصالح الإنسانية ، وتحالف البشرية في إطار الكون الفسيح المتعاظم.

إن هذه الأهداف كحقيقة مترابطة متصلة بالعولمة ، ما هي إلا توصيف للواقع الحي الذي نحياه و نعيشه بالفعل .فالعولمة هي مجرد هجرة من التاريخ وبالتاريخ إلي

---

(1)محسن أحمد الخضيري ،مرجع سبق ذكره ، ص ص146-147 .

(2)المرجع السابق ، ص148 .

الجغرافيا ، وهي انتقال من تفاعلات الزمان إلى تفعيل المكان ، ومن ثم فان مجموعة الأهداف الحيوية للعولمة يمكن توصيفيا بإيجاز علي النحو التالي [1] :-

الهدف الأول:- الوصول إلى سوق عالمي واحد مفتوح بدون حواجز أو فواصل جمركية أو إدارية أو قيود مادية أو معازل عرقية أو جنسية ، أو معنوية عاطفية بل إقامة سوق متسع ممتد يشمل العالم كله ، ويشمل كافة قطاعاته ، ومؤسساته ، وأفراده أي الوصول بالعالم كله إلي إن يصبح كتلة واحدة متكاملة ومتفاعلة ، وفي نطاق هذا الهدف يتم احتكاك مباشر وغير مباشر بين كافة الأجناس البشرية ، بموروثهم الحضاري ، وثقافاتهم المتعددة ، واختلافهم الفكري ، وصهر هذا الاختلاف في بوتقة التوحد والائتلاف .

الهدف الثاني : الوصول بالعالم إلى جعله وحدة واحدة مندمجة ومتكتلة سواء من حيث المصالح والمنافع المشتركة والجماعية أو من حيث الإحساس والشعور بالخطر الواحد الذي يهدد البشرية جميعاً ، أو من حيث أهمية تحقيق الأمن الجماعي بأبعاده الكلية وعناصره الجزئية الفاعلة فيه . وأهمية التصدي لأي خطر يهدد الاستقرار والأمن العالمي العام ، والتعامل معه بجهد وعمل مشترك، وتعاون كامل من الجميع ، ويتضمن ذلك القضاء علي بؤر النزاع ، ومصادر التوتر ، وعوامل القلق ويتم ذلك من خلال زيادة مساحة الفكر المشترك ، وإنهاء حالات الصراع ، وزيادة الاعتمادية المتبادلة بين الشعوب ، وخلق الثقة وجني المكاسب المشتركة .

الهدف الثالث : الوصول إلى شكل من أشكال التجانس العالمي ، سواء من خلال تقليل الفوارق في مستويات المعيشة ، أو في الحدود الدنيا لمتطلبات الحياة ، أو في حقوق الإنسان . خاصة وأن هذا التجانس لا يكون بالتماثل ، ولكنه قائم علي التعدد والتنوع و علي التشكيل الدافع والحافز علي الارتقاء والتطور الذي يرتفع

---

(1)المرجع السابق ، ص151 .

بجودة الحياة ، ومن ثم تختفي الأحقاد والمطامع وتزداد المودة والألفة ، ومن ثم يتحول الانتماء والولاء إلى رابطة إنسانية عامة شاملة تشمل كل البشر ، وتتحول قيمة الحياة معها إلي قيم الحرية ، وقيم العدل ، وقيم المساواة .

الهدف الرابع : تنمية الاتجاه نحو إيجاد لغة اصطلاحية واحدة تتحول بالتدريج إلي لغة وحيدة للعالم ، يتم استخدامها وتبادلها سواء بالتخاطب بين البشر أو بين الحاسبات الاليكترونية ، أو مابين مراكز تبادل البيانات وتخليق وصناعة المعلومات ومن تم فإن كثرة الاحتكاك ، والتعامل والتداول سوف يدفع إلى ظهور لغة اشتقاقية ، تزيد من عملية التقارب اللغوى إلى أن يصل العالم إلى التحدث بلغة واحدة .

الهدف الخامس : الوصول إلى وحدة إنسانية جمعاء ، وبمعنى أن يتم تدريجياً تذويب الفوارق ، خاصة فوارق الأجناس والقوميات من خلال تكثيف عمليات الاختلاط والمزج بين عناصر الجنس البشري ، حتى يحدث التقارب ، والانسجام ، والتوافق ويستخدم لتحقيق هذا الهدف قدر متعاظم من الحراك الحضاري لتأكيد الهوية العالمية ، وتنمية الإحساس بوحدة البشر ، ووحدة الحقوق لكل منهم ، سواء ما كان مرتبطاً بحق الحياة ، وحق الوجود ، وحق الاستمرار ، وحق الاستمتاع بخير الدنيا .

الهدف السادس : تعميق الإحساس والشعور العام ، والمضمون الجوهري بالإنسانية البشرية ، وإزاحة كل أشكال التعصب والتمايز العنصري والنوعي وصولاً إلى عالم إنساني بعيداً عن التعصبات والتناقضات الانفراطية ، ومن ثم فإن العولمة تصبح أول واقع إنساني في التاريخ ، وفي الوقت ذاته لن تكون آخر واقع في هذا التاريخ ، فالعولمة تحتدم وتشتعل في عقول البشر ، وفي ضمائرهم وفي وعيهم وإدراكهم بالمصير الإنساني الواحد المحتوم تأكيداً لوحدة اليوية الإنسانية لسكان الأرض .

الهدف السابع : انبعاث ، وبعث رؤية جديدة تكون بمثابة حركة تنوير كبرى واستبصار وتبصر فاعلة كتيار كهربائي يسري ويداعب طموحات البشر باختلاف أجناسهم وشعوبهم ودولهم ويخاطب أحلامهم ، ويوقظ من النوم أحلاماً وأمالاً كانت نائمة ، ويدفع بها دفعاً إلى السطح لتظهر وتعبر عن ذاتها ، ومن ثم تصبح الرؤية فاعلاً في المنظور البشري سواء من حيث الضمير أو من حيث الطموحات .

إن العولمة بذلك لها بيئتها ، ولها مناخها ، ولها عواملها الفاعلة ، ولها قواها المتفاعلة ، وإن أهداف العولمة بشكل عام ، وهي أهداف كل من هذه العناصر بشكل خاص . وإن ما يشمله الخاص لابد وأن يحتويه العام بالكامل ، ومن ثم فإن العولمة كاتجاه وكمرحلة في الحضارة الإنسانية سوف تليها مراحل أخرى[1].

خامساً: نتائج العولمة :

من خلال معايشة واقع العولمة التي اجتاحت الدول والحكومات ومنها الرافض ومنها المرحب ومنها المحذر من تجاهلها باعتبارها أصبحت واقع حتمي من الواجب التعامل معه ، كونها أصبحت ظاهرة تتحرك باستمرار مؤثرة في الجذور العميقة الماضية وظروف الحاضر بمعطياته ومن تطلعاته للمستقبل واحتمالاته .

لقد رفض كثير من الناس والنخب والمفكرين والمحللين العولمة كونها تعتبر ظاهرة "أمركة العالم" وإذلال للشعوب وجعل هذا العالم يعيش في قالب جامد فرض عليه من قوى الإنتاج الأمريكية ،وعليه رأى البعض بأن نتائج العولمة تظهر فيما يلي[2]:

1. تسارع وتيرة التطورات العلمية والتقنية .
2. تقليص الحواجز الجمركية والحماية للمنتجات المحلية .

---

(1)المرجع السابق ، ص ص153-154 .

(2)منذر واصف العصري ، العولمة وتنمية الموارد البشرية ، ط1 (أبوظبي ، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، 2004) ص ص22-23 .

3. الانفتاح الإقتصادي، والتحول إلى اقتصاد السوق الـذي يتميـز بالتنافسـية ودور القطاع الخاص .
4. الخصخصة ، وتحرير الاقتصادات الوطنية من التدخلات الحكوميـة المباشـرة ، وتراجع سلطة الدولة القطرية وقدرتها على رسم السياسات الاقتصادية وتسييرها.
5. تعرض سوق العمل للاهتزازات والصدمات ، ونقص الأمـان للمؤسسـات نتيجـة تحرير التجارة والتنافس وتقليص الحواجز الجمركية .
6. تزايد التوجهات نحو تكوين التجمعات الاقتصادية الإقليمية ، سواء للانـدماج فـي حركة العولمة ، أو للحماية منها ، أو للتعامل الرشيد معها .
7. نمو الاعتماد المتبادل بين الدول ، وبخاصة في المجال الاقتصادي .
8. التوسع في الاتفاقيات والمعاهدات الإقليمية والدولية ، ذات الأبعاد الاقتصادية .
9. انتشار أنماط استهلاكية جديدة لا تنسجم بالضـرورة مـع المتطلبـات والمصـالح والأولويات الاقتصادية والاجتماعية المحلية .
10. ازدياد حرية انتقال العمالة ، مع بقاء القيود مفروضة على الهجرة وعلى الانتقـال الحر للعمالة بين مناطق التكتلات الاقتصادية المختلفة .
11. تطور المعايير والإجراءات في تعاملات البنوك والمؤسسات المالية ' .
12. الإلغاء التام للشخصية الوطنية والإقليمية وصير هذه الشخصـية فـي شخصـية عالمية أي أنها تتصل من الخاص إلى العام ويفقد الفرد مرجعيته متخليا عن انتمائه وولائه ويتخلص من جذوره [1].
13. الإلغاء التام للثقافة والحضارة الوطنية والإقليمية وإيجاد الاغتراب النفسي ما بـين الإنسان وتاريخه والموروث الحضاري المتعلق به الذي ورثه عن آبائه وأجداده مع إيجاد الشكل الجديد من الثقافة المصنوعة من البشر جميعا وليس الخاصة بأشخاص بذاتهم وبمناطق جغرافية بذاتها ، وهو ما تؤديه الآن وسائل الإعلام المختلفة وذلك

---

(1)علاء الدين ناطورية ، مرجع سبق ذكره ، ص44 .

من خلال البث المباشر للعالم بأسره من خلال الأقمار اللاقطة ، والشركات المتعددة الجنسيات ومن شركات التواصل الفضائي التي تبث إرسالها إلى كافة دول العالم .

14. الإلغاء التام للمصالح والمنافع الوطنية ، وخاصة عند تعارضها مع مصالح العولمة وتياراتها المندفعة في جميع المجالات ونزوع العولمة إلى الانفتاح الواسع ومحاربتها لأية قيود تحول بينها وبين ما تسعى إلى البلوغ إليه ، خاصة عندما يكون الخصم عاجزاً عن الدفاع عن مصالحه وحتى عن حماية مكاسبه .

15. تحويل الكيان المحلي إلى كيان ضعيف وهش وغير متماسك وخاصة عندما يكون هذا المحلي ضعيف التطور .

16. كون العولمة ذات مصدر أجنبي فإنها تعتبر ذات وصاية على اعتبار أن الأجنبي هو الأقوى ومن ثم إذلال كل ما هو محلي وممارسة التعسف عليه في شكل موجات متتالية ومتلاحقة من أجل الاستسلام في وجه العولمة والرضوخ لمطالبها .

17. تقوم العولمة بإفساد النظم الداخلية والمحلية وهي هادفة ليذه النظم وذلك من أجل إيجاد معارضة داخل هذه النظم لها[1].

18. الدول المتقدمة ستكون هي صانعة القرارات وموزع الأدوار على الدول النامية ، تحت رغبة الاقتصادات المتقدمة التأثير اقتصاديا وتكنولوجياً وسياسياً ، وأياً كانت الدوافع فإن العولمة وما تعنيه من السوق الموحدة أو شبه الموحدة تحمل في مضمونها الصراع الاقتصادي أي المنافسة [2].

19. سيطرة القوى الفوقية سيطرة كاملة على الأسواق المحلية وتمارس بكل ما أوتيت من قوة للنفوذ والوصول إلى الكيانات الضعيفة ويتم سحقها وتحولها إلى مؤسسات تبعية [3] .

---

(1)المرجع السابق ، ص43 .

(2)بثينة حسنين عمارة ،العولمة وتحديات العصر وانعكاساتها على المجتمع المصري ، ط1(القاهرة دار الأمين للطباعة 2000)ص25 .

(3)علاء الدين ناطورية ، مرجع سبق ذكره ، ص44 .

20. تزايد دور المؤسسات المالية الدولية بشكل مباشر وبخاصة في تصميم برامج الإصلاح الاقتصادي وسياسات التثبيت والتكيف الهيكلي في الدول النامية .

21. تعاظم دور المعلوماتية ، والإدارة ، والمراقبة من إدارة نظم المعلومات .

22. تطور وسائل الإعلام وتأثيرها على طبيعة البشر وتطلعاتهم وسلوكهم ، وأثر ذلك على اختلاط الحضارات والثقافات .

23. بروز ظاهرة القرية العالمية ، وتقليص المسافات نتيجة لتطور وسائل النقل والمواصلات وزيادة الاحتكاك بين الشعوب.

24. تعاظم دور الثورة التقنية وتأثيرها على النطاق العالمي[1] .

25. تنامي دور الشركات متعددة الجنسية وتزايد أرباحيا واتساع أسواقها وتعاظم نفوذها في التجارة الدولية ، فهي تتحكم بثلاثة أرباع الأنشطة الاقتصادية على الصعيد العالمي وتشير الإحصاءات إلى أن دخل خمسين من هذه الشركات يفوق دخل ثلثي أقطار العالم ، وتعتبر الشركات متعددة الجنسيات محرك العولمة ، والتي تسهم في تدفق الاستثمار الأجنبي المباشر ، حيث يبلغ عدد الشركات المتعددة الجنسيات 44000 شركة لها 280000 فرعاً أجنبياً ، ويبلغ عدد الشركات المتعددة الجنسيات التابعة للدول النامية 7900 شركة لها حوالي 129000 فرعاً أجنبياً وتعتبر الشركات متعددة الجنسيات مصدراً لنقل المعرفة الفنية والإدارية والتنظيمية وذلك من خلال التدريب وتوفير العمالة المتخصصة ، الأمر الذي يسهم في تضييق الفجوة التكنولوجية والتنظيمية بين الدول النامية والدول المتقدمة [2].

---

(1) عمر حسن أحمد مدوان ، مرجع سابق ذكره ، ص ص26-27.

(2) د.عمر صقر ، العولمة قضايا اقتصادية معاصرة (الدار الجامعية للنشر ، جامعة حلوان ، 2001) ص29 .

سادساً : مستقبل العولمة (أفاق العولمة) :

حينما يتأمل المرء في حركة الأحداث التي تمر بها البشرية اليوم ، يكتشف سرعة وتيرة التحولات الكبرى التي تجرى في العالم اليوم ، وعلى مختلف الصعد والمستويات وهذه التحولات لا تختص بحقل دون آخر ، بل هي تحولات وتطورات تمس العالم كله ومتوزعه على كل جوانب وحقول الحياة ، لهذا لا يتمكن الإنسان الفرد من ملاحقة كل هذه التطورات وإدراك أبعادها وتداعياتها المختلفة ، لهذا من الضروري أن يتسلح المثقف ، لكي يدرك هذه التطورات العالمية أولاً ، ومن ثم لكي يشارك في صنع الايجابي منها ، والتحيلولة دون وقوع السلبي ، من الضروري له التسلح بالرؤية المستقبلية التي تؤهله نفسياً ومعرفياً لامتلاك ناصية الأمور ، والتعرف على جوهر الأحداث واتجاهاتها المختلفة .

كما أن الرؤية المستقبلية مكانة ومرحلة يبلغها الفرد من جراء جهود متعددة ومتكاملة توصل المثقف وتؤهله لاستشراف المستقبل المنظور والبعيد [1].

وفي هذا الإطار فإن من باب أولى أن نستخدم معايير علم المستقبل في اختبار نوعية مستقبل العولمة ذاتها ، تجنباً للرؤية الضبابية أو المغرضة في عالم أصبح وجوده على صفحات الصحف وشاشات التلفزيون والشبكات الفضائية هو الوجود الحقيقي والفعلي .

وأصدق شهادة علمية يمكن أن نرصدها في هذا المجال ، هي تلك الشهادة الصادرة عن مفكرين وأساتذة أكاديميين كبار ينتمون إلى الدول القوية الغنيه التي ترفع ألوية العولمة وأعلامها ، وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية ، وهي شهادة زاخرة بالحيرة والتردد والقلق والتوجس ، مما يدل على أن مستقبل العولمة ليس مشرقاً بالصورة الوردية[2]،التي يرسمها لها أنصارها ، من هؤلاء المفكرين السياسي الأمريكي الكبير(*سيفيد كاليو*) مدير برنامج الدراسات الأوروبية في جامعة جونزهوبكنز

---

(1) محمد محفوظ ، الحضور والمثاقفة – المثقف العربي وتحديات العولمة، ط1 (الدار البيضاء ، المركز الثقافي العربي ،2000) ص101

(2) نبيل راغب ، أزمة العولمة المعاصرة (القاهرة ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، 2001) ، ص457 .

الأمريكية العريقة الذي وصف الوضع الدولي الراهن للولايات المتحدة قائلاً في سلسلة محاضرات ألقاها في مايو 2000 .

إن الولايات المتحدة تواجه خياراً بين التمسك بنظام عالمي يظل تحت هيمنتها ، أو محاولة التكيف مع العصر ، والدخول مع غيرها في صياغة نظام عالمي يقوم على المشاركة في إدارة النظام العالمي الجديد .

ويرى (ديفيد كاليو) أن مستقبل العولمة ليس بالوضوح الذي يتصوره بعض المؤمنين بها ، خاصة أن التصور السياسي الأمريكي نفسه لم يرتفع إلى مستوى مرحلة التحول المصيري ، التي يمر بها العالم في أعقاب الحرب الباردة وسقوط نظام القطبية الثنائية ، بل هذا التصور لم يستطيع حتى الآن أن يستوعب الآليات الحقيقية لما يسمى بالنظام العالمي الجديد الذي يتشكل ببطء على محاور عديدة ، وإن كان المحور الأمريكي هو المحور الرئيسي ، ومع ذلك فإن التصور الأمريكي للعولمة يصر على اعتبار الولايات المتحدة القوة العظمى الوحيدة في عالم يدور في فلكها وليس عالم التعددية والتنوع الذي تتفرع فيه المشاركة في النفوذ والقوة والتأثير ولا شك أن هذا التصور الأحادي المنظور يخلق فجوة تزداد عمقاً واتساعاً وخطراً بينه وبين تصورات أخرى يعتز بها أصحابها وإن كانوا لا يملكون قوة تأثير الإعلام الأمريكي ، مثل التصور الأوروبي ، والتصور الياباني ، والتصور الصيني ، وربما التصور الروسي فيما بعد وهذه التصورات ليست مجرد أوهام أو أحلام فهي تنهض على حقائق واقعية ومادية وعلمية ملموسة ، منها تاريخ الإمبراطوريات والممالك والدول ، الذي يؤكد أن القوة ليست حكراً على إمبراطورية أو مملكة أو دولة بعينها ، مهما كان جبروتها وسطوتها[1] ، وإلاّ لما اندثرت إمبراطوريات وزالت دول لتحل محلها أخرى عبر التاريخ. كذلك فإن هذه التجمعات الأوروبية أو اليابانية أو الصينية تتبع المناهج العلمية والعملية التي تؤهلها لكي تصبح مراكز ثقل محورية في السياسة

---

(1) المرجع السابق ، ص158 .

العالمية ، فضلاً عن أنها لا تسعى للانفراد بقيادة العالم بل تريد فقط أن تشارك في هذه القيادة الجماعية ، والتعددية ، والمتنوعة التي أثبت الواقع الراهن أنها حتمية لا مفر منها[1].

وهو ما سيضع الولايات المتحدة في موقف يتعارض مع مصالح الدول الأخرى في العالم .

والواقع أن عدداً من الكتاب الغربيين تنبأ منذ عدة سنوات بالاتجاهات الايجابية المتولدة عن ذيوع عصر المعلومات بفعل التغييرات التكنولوجية بعيدة المدى في مجال الكمبيوتر واستخدام الفضاء لأغراض الاتصالات والتصوير والبث التلفزيوني ، ومثال ذلك (ويليوم ثرام) الذي تنبأ بستة اتجاهات جديدة بخصوص مستقبل عصر المعلومات وهي[2] :

1. المزيد من المعلومات التي ستقود إلى زيادة الإمكانيات المعرفية وفرص زيادة الأعمال المعلوماتية .
2. التسارع في الحصول على المعلومات ، مما يتطلب المزيد من الكفاءة في أعمال التحري الدقيق والتصنيف والمؤسسات والآليات الخاصة بمعالجة المعلومات .
3. المزيد من عمليات الاتصال عبر المسافات الطويلة مما يحسن من فرص الاتصال بين الثقافات المختلفة .
4. قيام أجيزة الكمبيوتر بمهمات كانت قاصرة على الناس .
5. تنامي فرص الاتصالات من نقطة إلى نقطة أكثر من الاتصال من نقطة إلى اتصال جماهيري ، مما يمكن من إنتاج رسائل أرخص وأسهل وأكثر ملائمة لمتطلبات المستهلكين .
6. ازدياد نفوذ وقوة العاملين في ميادين جمع وتخزين واسترجاع ومعالجة المعلومات بكفاءة .

---

(1) المرجع السابق ، نفسه .

(2) محمد القطاطشة ، العولمة ، ط1(عمان ، [د.ن] ، 2001) ص27 .

بيد أن هذه الايجابيات الواعدة والمأمولة تصطدم بعقبات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية وتكنولوجية ، إذ أن دولاً غربية محدودة واحتكارات قليلة العدد في الإعلام والاتصال والبث الفضائي تمتلك الإمكانيات الهائلة لصناعة وتطوير إدارة عصر المعلومات ، والأهم من ذلك القدرة على صياغة وإعادة تشكيل السياسات الخاصة بالتدفق الإعلامي وتشكيل الصور والرموز ، وذلك في ضوء افتقار البلدان النامية لمثل هذه الإمكانيات الضخمة ، وكذلك في ظل غلبة نظم سلطوية تصر على خصخصة معظم الأنشطة الاقتصادية والثقافية في حين تصر على استثناء مجال الثقافة و الإعلام حتى تتحكم في تدفق المعلومات والمواد الإعلامية[1].

وعلية نستنتج إن العولمة آمال استهدفتها الطموحات السياسية ولازالت ، واستهدفتها الرسالات السماوية ولازالت ، واستهدفتها الإيديولوجيات الفكرية ولازالت وبما أنها آمال والبشر مختلفون بخصوصياتهم فإنها ستظل مشروعا يتجدد عبر التاريخ ومطلبا لمن يمتلك القوة الاجتماعية أو الدينية أو العسكرية أو الاقتصادية ، وستظل مرفوضة بالضرورة من قبل من لا يمتلك القوة أو من قبل الذي لا يعترف له بخصوصيته التي تميزه عن غيره كما يتميز هو الآخر عن غيره بخصوصيته . وعليه لا يمكن أن تتحقق العولمة بالقوة ، فلا عولمة إلا و الدين واحد ، ولا عولمة إلا والعرف واحد ، ولا عولمة إلا و الفكر واحد . وبما أن هذه مواضيع خلاف بين البشر ولا اتفاق عليها ، فكيف يمكن لنا التصديق بسلامة العولمة من الانحراف ؟ ولأن بالطبيعة الاجتماعية الدين ليس واحداً والعرف كذلك ، فهل يمكن أن تنجح العولمة ونحن نغض النظر عن هذين المصدرين الأساسيين للتشريع الاجتماعي .

العولمة سيكتب لها النجاح عندما يستوعب الأنا الآخر ، وعندما تكون المنافع بين البشر شراكة ، وعندما تتشكل وحدات إقليمية ذات علاقة تاريخية أو دينية أو جغرافية متماثلة في القوة والمكانة و الإرادة ، وعندما تمارس الحرية بأسلوب

---

(1) المرجع السابق ، ص29 .

ديمقراطي ، وعندما يفك القيد السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي يظهر قواعد الاستغلال بين البشر .

وتتحقق العولمة بوسائل علمية ومنطقية وليس بالقوة ولا بالتأييد أو الرفض عن الجهل الذي يؤدي بالضرورة إلى ردود أفعال لاحقة وخسائر جسيمة لغير العارفين لذا فان العولمة خير عندما تكون بإرادة ، وشر عندما تكون بغيرها .

المبحث الثاني

مفهوم الثقافة

تمهيد

شغلت قضية الثقافة فكر واهتمام العديد من الباحثين في مختلف مجالات العلوم الاجتماعية ، ففي منتصف القرن العشرين أحصى "ألفرد كروبر" مئة وأربعة وستين تعريفاً للثقافة ، وبالإضافة إلى العديد من التعليقات والتفريعات التي تبلورت فيما بعد. وقد تنوعت هذه التعريفات وشهدت تداخلاً في بعض الأحيان وتعارضاً فيما بينها في أحيان أخرى وتراوحت بين التأكيد على القيم والمثل والعادات ، وبين التأكيد على علاقات الإنتاج والأسس المادية للمجتمع ، أي ركزت على جوانب معنوية وأخرى مادية في مفهوم الثقافة وسوف يتم التأصيل لمفهوم الثقافة وذلك من خلال دراسة أولاً: تعريف الثقافة ، ثانياً : كيف تتشكل الثقافة ، ثالثاً : تطور الثقافة ، رابعاً : مكونات الثقافة ، خامساً : العلاقة بين الثقافات .

أولاً : تعاريف الثقافة :

يصعب علينا أن نجد تعريفا جامعا مانعا يستوعب مفهوم الثقافة المعقد .. وغاية ما نستطيع أن نصل إليه هو أن نحدد تعريفا أو مجموعة من التعاريف النسبية نضمنيا مجموعة من الشروحات أو الهوامش تساعد على تقريب الصورة وتعين على بلورة ما يغمض أو يصعب فهمه فيها ، وأكثر ما يكون مفهوم الثقافة غموضاً حين يخلط الكاتب فيه بين القيمة الجوهرية الثابتة للثقافة – نسبيا – والقيم الحضارية والمدنية المتغيرة لأجل ذلك رأيت أن أبدأ حديثي بوضع تعريف أتخذه مقدمة لما أتطرق إليه .

أن ابسط تعريفاً يمكن أن نتخذه لمفهوم الثقافة هو أنها مجموع القيم والمفاهيم التي تحكم سلوك الأفراد أو المجتمعات في حقبة معينة من التاريخ – قد تطول أو تقصر وفي ضوء هذا التعريف ندرك ما أشرنا إليه من أن مفهوم الثقافة نسبي[1].

---

(1) يوسف نور عوض ، المقومات الإسلامية للثقافة العربية (بيروت ، دار القلم ، ب.ت) ص5 .

وهذه النسبية حتمتها ضرورة تغير القيم والمفاهيم بحسب ظروف الزمـان والمكـان وفي هذا الإطار نشير إلى بعض التعريفات بشكل عام[1] :

1. الثقافة بالمعنى التقليدي تعني النتاج الأدبي والفكري والفني .
2. الثقافة بالمعنى الأنتروبولوجي الموسع تعني أنماط السلوك المادية والمعنوية السائدة في مجتمع من المجتمعات والتي تميزه من سواه .
3. الثقافة اليوم ، اتسع معنى الثقافة في العقود الأخيرة ، فأصبحت تعني جملة النشاطات والمشروعات والقيم المشتركة التي تكون أساس الرغبة في الحياة المشتركة لدى أمة من الأمم والتي ينبثق منها تراث مشترك من الصلات المادية والروحية يغتني عبر الزمان ويغدو في الذاكرة الفردية والجماعية إرثاً ثقافياً بالمعنى الواسع لهذه الكلمة هو الذي تبنى على أساسه مشاعر الانتماء والتضامن والمصير الواحد.

وتعرف الثقافة بأنها ذلك المركب المتجانس من الذكريات والتصورات والقيم والرموز والتغيرات والإبداعات والتطلعات التي تحتفظ جماعة بشرية ، مثل أمة أو ما في معناها ، بهويتها الحضارية في إطار ما تعرفه من تطورات بفعل ديناميتها وقابليتها للتواصل والأخذ والعطاء[2] .

كما تعرف الثقافة بأنها تكوين مفاهيمي مركب يدل على ما اكتسبه الإنسان العاقل تراكمياً من أساليب سلوك مادية ومعنوية متطورة باستمرار ويستخدمها في اتصاله بالواقع الاجتماعي الذي يعيش به[3] .

وهناك مفهوم آخر أكثر شمولاً يحاول أن يربط الثقافة بكل النشاطات الذهنية والحيوية التي تخلق لدى جماعة معينة طريقة متميزة في السلوك والحياة وفي ضوء هذا المفهوم الضيق للثقافة نجد أن البعض يعرفها على أنهـا الاستنارة العقلية واسعة

---

(1) شبكة المعلومات الدولية ، www.google.com

(2) مجلة الثقافة العربية ، شهرية تصدر عن مجلس تنمية الإبداع الثقافي بالجماهيرية العددان 262-263 ، بنغازي ، 2005 ، ص43

(3) حسن عبدالله العائد ، أثر العولمة في الثقافة العربية ، مرجع سبق ذكره ، ص22 .

الإطلاع ويطلق على منتجها ومستهلكها المباشر اسم المثقف ، والثقافة بهذه الدلالة هي الصورة المرهفة للوعي الاجتماعي منعكسة عن المرايا المصقولة لأدوات التعبير و الإبداع . وهي تستقل بذلك عن مطالب المهنة أو الحرفة التي تتيح الارتزاق منها عن طريق إعداد سابق محدد الخطوات والإجراءات . وفي ضوء المفهوم الشامل للثقافة تعددت التعاريف فقد عرفها مؤتمر السياسات الثقافية في أوروبا الذي عقد في هلسنكي عام 1972 بأنها تعني كل المظاهر الروحية والمادية في المجتمع من حيث أنها تصدر عن القدرات الإبداعية للإنسان أو تقوم على هذه القدرات والتي يمكن تلخيصها بأنها أسلوب الحياة في المجتمع بكل ما يتضمنه هذا التعبير من سلوك ومعرفة وقيم . وبمعنى آخر أنها كل ما يدخل من قيم الحضارة في عقل الإنسان ووجدانه وسلوكه وينعكس على حياته الاجتماعية والفكرية والثقافية والعلمية ،وما يتصل من تطبيقات في الحياة العامة والخاصة و كذلك تعرف بأنها قيم وتقاليد وممارسات ، ثم هي نظام متكامل لا يقبل التحلل ولا يعرف إلا التماسك التصاعدي[1]، فالثقافة بهذا المعنى هي أولا إيمان لأن المتغير الحقيقي الذي يفرض ذلك التفاعل المستمر بين المواطن وقيم الثقافة إن هو إلا شعور داخلي يفرض عليه أن يرى في تلك القيم محدد وجوده ، وثانيا امتياز أنها ملك الطبقة المختارة التي تمثل الاستمرارية الحقيقية وهي ثالثا تضحية على حساب المصلحة الفردية أيضا كما أن الثقافة هي المادة التي منها وبها يتكون الولاء .

وتعرف الثقافة أيضا بأنها تتمثل في مجموعة الظواهر المميزة والرموز التي يختص بها المجتمع وهي تشمل أنماط العيش وطرق الإنتاج ومختلف القيم والعقائد والآراء . فالثقافة تجاوز أبعاد الفنون الجميلة والآداب المتطرفة لتكون محور حيوية هذا المجتمع وأداة دائمة ومتجددة وهي التصور للواقـــع الذي يعيشه الإنسان بعد أن يضفي عليه نظرته الخاصة والعامة ويتخيله حسب أهوائه ومشيئته[2] .

---

(1) باسم علي خريسان ، مرجع سبق ذكره ، ص33 .

(2) المرجع السابق ، ص34 .

والثقافة هي المعبّر الأصيل عن الخصوصية التاريخية لأمة من الأمم ، عن نظرة هذه الأمة إلى الكون والحياة والموت والإنسان ومرامه وقدراته وحدوده ، وما ينبغي أن يعمل وما لا ينبغي أن يعمل[1].

وتتسع المفاهيم والتعريفات والمدلولات التي تشير إلى تعريف الثقافة وتختلف الواحدة عن الأخرى بتعدد الثقافات والحضارات والميول الفكرية لكل باحث ودارس فاليونسكو عرفت الثقافة بأنها هي جميع السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية التي تميز مجتمعاً بعينه أو فئة اجتماعية بعينها ، وهي تشمل الفنون والآداب وطرائق الحياة كما تشمل الحقوق الأساسية للإنسان ونظم القيم والتقاليد والمعتقدات ، وهذا التعريف ينحو إلى أن الثقافة هي ما يميز بين مجتمع وآخر[2].

وتعرف الثقافة بأنها مجموعة الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي يتلقاها الفرد منذ ولادته كرأسمال أولي في الوسط الذي ولد فيه ولتكون هي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته ، والطرائق والأساليب والأشكال التي يبدعها الإنسان من ابتكارات يعزز بها إنسانيته وينظم حياته الاجتماعية والخاصة والفكرية والروحية الجمالية، وتشمل الثقافة مجموعة النشاط الفكري والفني وتنظيم جميع السمات المميزة للأمة من مادية وروحية وفكرية وفنية ووجدانية وتشمل مجموع المعارف والقيم والالتزامات الأخلاقية المستقرة فيها وطرائق التفكير والإبداع الجمالي والفني والمعرفي والتقني وسير السلوك والتصرف والتعبير وطرز الحياة كما تشمل تطلعات الإنسان للمثل العليا[3] .

فثقافة أمة تمثل مجمل التصرفات اليومية المنبثقة عن منظومة القيم والمعتقدات التي تبنى الأمة عليها المعايير والمؤشرات الدالة على رقي وتقدم الأمة ولكنها تتأثر

---

(1)المرجع السابق نفسه .

(2)انظر ، حسن عباس العايد ، أثر العولمة في الثقافة العربية ، مرجع سبق ذكره ، ص22 .

(3)المرجع السابق ، ص23 .

من حقبة إلـــى حقبة بسبب العوامل المؤثرة فـــي نمط العلاقات الثقافية والحضارية للأمم الأخرى[1]

وتعرف الثقافة بأنها هي مجموع جوانب الفضاء التواصلي البشري ،أي إدراك البشر لواقعهم والدلالة التي يسندونها له ، والمشاريع التي يتبنونها لتغييره وتحريره بالإضافة إلى أنماط العلاقات التي يقيمونها في ما بينهم. فيدخل في هذا التحديد كل ما يمس الجوانب العقائدية والمعرفية والسلوكية ، ودون تمييز أو حصر[2].

والثقافة تعرف بأنها جملة الأنماط السلوكية المشتركة بين أفراد المجموعة والمتوارثة عن طريق التعلم ، وقسمت هذه الأنماط إلى أنماط مثالية ، وهي النموذج الذي يجب أن يرعاه الإنسان في سلوكه حتى ينال رضى القوم والأنماط الواقعية ، وهي ما يصدر عن الأفراد بالفعل من سلوك ، ويقصد بالسلوك في هذا الصدد كل ما يبادر به الإنسان من أفعال ومواقف وآراء وأفكار وعواطف ، وكل ما يقوم به من قيم ومبادئ وهي كلها نابعة من الثقافة التي درب عليها[3].

وتعرف الثقافة بأنها هي النسق الرمزي لجماعة بشرية بما فيه من عمليات انتقال هذا النسق وإعادة إنتاجه والذي يشمل مجموعة القيم التي تحدد تصورات الجماعة لذاتها ولعلاقاتها بالآخرين وبالعالم الطبيعي[4] .

الخلاصة مما سبق يمكن القول بأن الثقافة هي نتاج مجموعة من العوامل المادية والمعنوية ، وهي عملية متغيرة لا تعرف الثبات ، كما أن القول بوجود ثقافة معينة في المجتمع لا يعني بتماثل عناصرها لسائر أفراد المجتمع ، وأن هناك باستمرار هوامش للأختلاف الثقافي تفرضه عناصر معينة كالأصل والديانة والمستوى الاقتصادي والاجتماعي وغيرها ، وعلى الرغم من ذلك ستبقى لكل أمة ثقافة خاصة بها ، لها مذاق يعبر عنها ، وخصائص عامة تميزها عن غيرها من الثقافات .

---

(1)حسن عبدالله العايد ، المتغيرات الدولية وسيناريوهات الثقافة العربية ، مرجع سبق ذكره ، ص19 .

(2)السيد ولد أباه ، اتجاهات العولمة ، ط1 (الدار البيضاء ، الناشر المركز الثقافي العربي ، 2001) ص86 .

(3)سعدون حمادي وآخرون ، اللغة العربية والوعي القومي ، ط2 (بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، 1986) ص161 .

(4)جيهان سليم وآخرون ، الثقافة العربية ، ط1 (بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، 2003) ص214 .

ثانياً : كيف تتشكل الثقافة :

كثيراً ما ينتج عن استخدام هذه العبارة فوضى في التفكير وذلك لما يحدث من انزلاق في معناها عند المتكلم أو عند المستمع ، نستخدم كلمة ثقافة في الأدبيات الاجتماعية والسياسية للدلالة على معنيين متميزين ومترابطين في آن واحد والاستخدام الأول يرتبط بالمعنى العام للثقافة بوصفها مجموعة المفاهيم والقيم والخبرات المشتركة للمجتمع الإنساني ، والتي تتجلى عملياً من خلال المؤسسات والقوانين وقواعد السلوك وأساليب التنظيم والإنتاج ، كما تتشكل الثقافة من استخدام خاص لوصف الخصائص المحددة لجماعة سكانية معينة ، فنميز حينئذ بين ثقافة وأخرى ولأن الثقافة ترتبط بالبعد النفسي والفكري لأفراد المجتمع فإن الخصائص الثقافية للجماعات السكانية تتغير بتغير أحوالها المعيشية أو بتغير أفكارها وقيمها السائدة[1].

وينظر إلى الثقافة على أنها الإطار الذي أنتجه الإنسان بناء على فهمه واستيعابه لعقيدته وتراثه الديني ولتفاعلاته المتعددة داخل بيئته الاجتماعية والطبيعية في كل مرحلة تاريخية ، سواء على المستوى الفردي أو الجماعي .

فالثقافة تتشكل من حركة الفعل الإنساني في هذا الكون[2]،المنطلقة من قيم الأمم والشعوب الفكرية والمادية ، العائدة إليها بما تحمله من إضافات جديدة تشير لمجمل النتائج في ميادين الأدب والفكر والفن، حيث لكل ثقافة مسارها ،ولا يوجد مسار واحد لجميع الثقافات ، الثقافة تعبر عن مرحلة تاريخية بعينها ، وتتشكل في إطار الوعي التاريخي لأمة ومن خلاله [3].

---

(1)أحمد موصللي ولؤي صافي ، جذور أزمة المثقف في الوطن العربي ، ط1 (دمشق ، دار الفكر ، 2002) ص ص99 -100.

(2)حسن عباس المالح ، أثر العولمة في الثقافة العربية ، مرجع سبق ذكره ، ص20 .

(3)المرجع السابق ، ص21 .

فالقيم هي الجانب المعنوي في السلوك الإنساني وهي تشكل السجل العصبي للسلوك الوجداني والثقافي والاجتماعي عند الإنسان، وبذلك يمكن القول بأن القيم تشكل مضمون الثقافة ومحتواها،والثقافة هي التعبير الحي عن القيم ، وتشكل العناصر الثقافية مثل الاتجاهات والعادات والسلوك والعقائد ، وهي طبقات الوجود الثقافي[1].

فالثقافة إذا هي الثقافة من حيث هي سلوك ومن حيث هي محتوى لهذا السلوك، ونعني بمحتوى السلوك ما يكتسب مواقف الإنسان وأرائه وعواطفه وأفكاره وكل حركاته وسكناته معناها ، ويجعليا تقوم على مبدأ الوحدة والانسجام ، وهذا المحتوى يختلف من مجموعة بشرية إلى أخرى لاختلاف الأنماط الثقافية التي تضفي طابعاً خاصاً على كل جوانب الحياة[2].

والثقافة كغيرها من المفاهيم في العلوم الاجتماعية تقدم لنا أكثر من معنى حيث لا يوجد تحديد واضح لمفيوميا ، وهذا يرجع في الأصل لما تمثله الثقافة من أتساع وشمول يمس مختلف جوانب الحياة ، لذا وجدنا من يتكلم عن ثقافة سياسية وثقافة اقتصادية واجتماعية وغيرها هذا من جانب ، ومن جانب آخر نجد هنالك تداخلاً بين مفيوم الثقافة والحضارة ، ولما كان البحث العلمي في أي موضوع كان ، يتطلب قبل كل شيء تحديد الموضوع تحديداً تاماً ، لا يترك مجالاً للالتباس والإبهام ،أرى لزاماً عليَّ أن أتساءل ماذا يقصد من تعبيري ثقافة وحضارة وتوضيح الفرق بين المفهومين الحضارة اشتقت من كلمة تعني المدنية ، واستعملت في بادئ الأمر للدلالة على عكس "البربرية واليمجية"وكان يفيم منيا في الدرجة الأولى الخصال المتولدة عن المعيشة في المدينة ، وكأن يظن أن هذه الخصال هي من حيث الأساس الرقة واللطف في المعاملة والمعاشرة غير أن المعنى المفهوم من هذه الكلمة أخذ بعد ذلك يتوسع ويتطور شيئا فشيئاً ، كلما توسعت وتطورت الأبحاث والمعلومات المتعلقة بحياة الأقوام، وصار يفيم منيا تقدم البشر مـــن الوجوه الخلقية والفكرية والاجتماعية بوجه

---

(1)جيهان سليم وأخرون ، مرجع سبق ذكره ، ص26 .

(2)سعدون حمادي وأخرون ، مرجع سبق ذكره ، ص162 .

عام ثم رأى المفكرون من الضروري تجريد المعنى من فكرة التقدم النسبية عملا بمقتضيات النزعة العلمية وصاروا يستعملون الكلمة المذكورة للدلالة على الحالة الاجتماعية بأوسع معانيها ، وأصبحوا الآن يقصدون منها مجموع الخصائص التي تنجم عن الحياة الاجتماعية فيشمل مفهوم الحضارة بهذا الاعتبار جميع مآثر الحياة المادية والفكرية والخلقية عند الأقوام ، من علوم وصناعات وعادات وتشكيلات .

وأما كلمة الثقافة فهي أقدم استعمالا وأطول حياة من الكلمة الأنفة الذكر إنها تدل في حد ذاتها على زراعة النباتات ، كما تعلمون ولكنها صارت تستعمل مجازاً للدلالة على ما يجري لتنمية الأفكار وترقية الآداب أيضاً ، فهذه الكلمة تدل الآن على أساليب التفكير والعمل من جهة ، وعلى الأعمال التي تضمن إصلاح وترقية هذه الأساليب من جهة أخرى[1].

ونلاحظ من هذه التفاصيل : أن مفهوم الحضارة يتصل بمفهوم الثقافة اتصالاً وثيقاً غير أنه يكون بطبيعته أوسع نطاقاً منه وأكثر شمولاً ، لأن الثقافة تنحصر بالأمور الذهنية والمعنوية وحدها ، في حين أن الحضارة تشمل الأمور المادية والوسائل المادية أيضاً .

هذا والحضارة تتمثل بأحسن الصور وأجلاها في العلوم والصنائع بوجه عام ، وأما الثقافة فتظهر بأجلى مظاهرها في اللغات والآداب بوجه خاص ، ولهذا السبب نجد أن الحضارة تكون بطبيعتها قابلة للانتقال من أمة إلى أخرى بسهولة ، وقابلة للانتشار بين الأمم بسرعة ، وأما الثقافة ، فتبقى خاصة بكل أمة على حدة ، وإن أثرت ثقافات الأمم المختلفة بعضها في بعض قليلا وكثيراً[2] .

ومن الطبيعي أن تختلف ثقافات الأمم وتتشكل باختلاف لغاتها وآدابها في الدرجة الأولى .

---

(1)أبوخلدون ساطع الحصري ، آراء وأحاديث في العلم والأخلاق والثقافة ، ط2(بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1985) ص41

(2)المرجع السابق ، ص42 .

في الواقع أن الثقافة في أمة من الأمم لا تبقى منعزلة عن غيرها انعزالاً تاما ، كما أنها لا تستقل عن تأثير الحضارة استقلالاً مطلقاً، بل إنها تتأثر من الثقافات الأخرى كما تتأثر من تطورات الحضارة ،غير أن ذلك لا يكون عن طريق الانتقال المباشر بل يكون طريق التأثير في النفوس تأثيراً باطنياً يؤدي إلى شيء من التغير في أساليب التفكير، فالأمم تتميز بعضها عن بعض بثقافات خاصة ، وتشترك بعضها مع بعض بحضارات عامة .

فالثقافة تكون في حد ذاتها قومية والحضارة تكون بطبيعتها أممية ، فالثقافات تكون خاصة بكل أمة على حدة ، وأما الحضارات فتكون شاملة لمجموعة من الأمم ومجموعات الأمم التي تشترك في حضارة من الحضارات قد تكون كبيرة وقد تكون صغيرة[1]، وفي ضوء ذلك ندرك ما أشرنا إليه من أن مفهوم الثقافة نسبي وهذه النسبية حتمتها ضرورة تغير القيم والمفاهيم بحسب ظروف الزمان والمكان ، أما الخلط بين القيم الثقافية من جهة والقيم الحضارية والمدنية من جهة أخرى فناتج في تصور الكثيرين ، أن الثقافة هي مجموعة من المعارف النظرية والعملية يحصلها الإنسان من مصادر مختلفة ويكنزها لعقله وفكره ويتخذ منها وسائل تعينه في التغلب على مشكلات حياته ، والحقيقة هي أن الصلة وثيقة بين الحضارة والثقافة ، إلا أن ذلك لا ينبغي وجود خطوات فاصلة بين هذه المفاهيم ، فالقيمة الحضارية هي نوع من الإبداع العقلي يكشف عن حقيقة جوهرية كانت غائبة عن الإنسان أولم تكن معروفة عنده وهي بالضرورة ذات طبيعة تقدمية لأنها تنقل الإنسان من وضع هو كائن فيه إلى وضع أفضل[2].

ومن المفيد هنا أن نورد ما يميز مصطلح الثقافة عن مصطلح الحضارة بعدة خصائص عديدة للثقافة منها [3] :

---

(1) نفس المرجع السابق ، ص44 .

(2) يوسف نور عوض ، مرجع سبق ذكره ،ص ص5-6 .

(3) حسن عبدالله العايد ، أثر العولمة في الثقافة العربية ، مرجع سبق ذكره ، ص30 .

1. أن الثقافة ظاهرة إنسانية أي أنها فاصل نوعي بين الإنسان وسائر المخلوقات لأنها تعبر عن إنسانيته كما هي وسيلته المثلى للالتقاء مع الآخرين .
2. أنها تحدد ذات الإنسان وعلاقاته مع نظرائه ومع الطبيعة ومع ما وراء الطبيعة من خلال تفاعله معها وعلاقاته بها ، في مختلف مجالات الحياة .
3. أنها قوام الحياة الاجتماعية وظيفة وحركة فليست عملاً اجتماعياً أو فنياً جمالياً أو فكرياً يتم إنسانيا خارج دائرتها ، وهي التي تيسر للإنسان سبل التفاعل مع محيطه مادة وبشرا ومؤسسات .
4. إنها عملية إبداعية متجددة بنوع الجديد والمستقبلي من خلال القرائح التي تتمثلها وتعبر عنها ، فالتفاعل مع الواقع تكيفا أو تجاوزا نحو المستقبل من الوظائف الحيوية نيا .
5. أنها إنجاز تراكمي متنام مستمر تاريخيا ، فهي بقدر ما تضيف من الجيد تحافظ على التراث السابق تجدد من قيمه الروحية والفكرية والمعنوية وتتوحد معه روحاً ومساراً ومثلاً وهذا هو أحد محركات الثقافة الأساسية كما أنه يعد أساساً من أبعادها .

ثانياً : تطور الثقافة :

شغلت قضية الثقافة فكر واهتمام العديد من الباحثين في مختلف مجالات العلوم الاجتماعية ، ونتيجة لتطور مفهوم الثقافة تطور دورها ، فبالإضافة إلى دورها في تحديد الهويات القومية ، تطور دورها في التنمية الاقتصادية وفي التنمية الشاملة[1].
فالثقافات في حالة تدفق مستمر ، وهي تتغير وتتطور بشكل تدريجي غالباً ، وأحياناً على شكل قفزات ايضاً ، وما يطبعها بعلاماتها الفارقة هو إمكان فهمها بصفتها بنية وبصفتها عملية[2].

(1)مجلة المستقبل العربي ، يصدرها مركز دراسات الوحدة العربية ، العدد 222 ، 1997 ، ص26 .
(2)هارلند مولر . ترجمة ابراهيم الموشمش ، تعايش الثقافات مشروع مضاد لهنتنتون ، ط1 (بيروت ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، 2005) ص57 .

وسيتم التأصيل لتطور الثقافة من خلال دراسة :

(أ) : بداية الكلمة .

(ب) : مفهوم الانثروبولجي للثقافة .

(ج) : المفهوم الحالي للثقافة .

(أ) : بداية الكلمة :

كانت كلمة ثقافة الفرنسية Culture تعني في القرون الوسطى الطقوس الدينية ، وأصبحت تعبر عن فلاحة الأرض في القرن السابع عشر ، وفي القرن الثامن عشر كانت تعبر عن التكوين الفكري عموماً وعن التقدم الفكري للشخص خاصة ، وعما يتطلبه ذلك من عمل وعما ينتج عنه من تطبيقات ، وهذا هو المعنى الموجود في المعاجم الكلاسيكية[1].

ولما كان البحث العلمي في أي موضوع كان ، يتطلب قبل كل شيء تحديد الموضوع تحديداً تاماً ، لا يترك مجالا للالتباس والإبهام ، أرى أن أتساءل أولاً ماذا يقصد من تعبيري ثقافة وحضارة فلنحدد إذن المعنى المقصود من الكلمتين المذكورتين .

إن كلمة الثقافة تستعمل الآن مقابل لكلمة Culture باللغة الفرنسية ، وأما كلمة حضارة ، فهي تستعمل عادة مقابل Civilisation في اللغة المذكورة .

فلنبحث إذن : ما هو المعنى المقصود من الثقافة والحضارة ، على رأي المفكرين الفرنسيين ؟

كان "مركز الأبحاث التركيبية" المؤسس في باريس ، تحت إدارة المؤرخ المفكر المشهور "هانري بر" قد خصص خلال سنة 1930 أسبوعا لدرس موضوع "الحضارة والثقافة" وقد عرض خلال هذا الأسبوع ، خمسة من كبار الأساتذة آراءهم وأبحاثهم بتفصيلات وافيه، وبعد ذلك ناقش العلماء الحاضرون هذه المعروضات مناقشة شاملة.

---

(1) أمين سعيد عبدالغني ، الثقافة العربية والقضائيات ، (القاهرة ، ايتراك للنشر والتوزيع ، 2003) ص16 .

إن كلمة Civilisation الفرنسية ، استحدثت خلال النصف الأخير من القرن الثامن عشر : أول كتاب استعملها كان قد طبع سنة 1766 ، وأول قاموس احتواها كان قد نشر سنة 1798 ، يظهر من ذلك أن عمر هذه الكلمة لم يبلغ القرنين بعد[1] .

وقد سبق الإشارة إلى المقصود من كلمة ثقافة وحضارة .

ويقول الأستاذ "مارسيل موسى" وهو من أعاظم علماء الاجتماع من مدرسة "دور كيايم" الشهيرة في فرنسا ، إن الصفة الأصلية التي تميز الحضارة ، هي قابليتها للانتقال والانتشار بين الأمم .

وأما الثقافة فبعكس ذلك ، تختص بكل أمة على حدة ، وترتبط قبل كل شيء وأكثر من كل شيء ، بلغة الأمة وآدابها ، لأن اللغة ، واسطة التفكير فضلا عن كونها واسطة لنقل الآراء والأفكار ولتبليغ الأحاسيس والانفعالات وقد عبر العلماء عن عمل اللغة في تفكير الإنسان ، بقولهم : "التفكير بمثابة التكلم سراً ، والتكلم بمثابة التفكير جهراً " .

ومن الطبيعي والحالة هذه ، أن تختلف ثقافات الأمم ، باختلاف لغاتها وآدابها في الدرجة الأولى .

في الواقع أن الثقافة في أمة من الأمم لا تبقى منعزلة عن غيرها انعزالا تاماً كما أنها لا تستقل عن تأثير الحضارة استقلالا مطلقاً ، بل أنها تتأثر من الثقافات الأخرى ، كما تتأثر من تطورات الحضارة ، غير أن ذلك لا يكون عن طريق الانتقال المباشر ، بل يكون التأثير في النفوس تأثيراً باطنيا يؤدي إلى شيء من التغير في أساليب التفكير.

فالأمم تتميز بعضها عن بعض بثقافات خاصة، وتشترك بعضها مع بعض بحضارات عامة [2].

---

(1)أبو خلدون ساطع الحصري ، مرجع سبق ذكره ، ص41 .

(2)أنظر ، المرجع السابق ، ص44 .

فالثقافة تكون في حد ذاتها قومية ، والحضارة تكون بطبيعتها أممية ، فالثقافات تكون خاصة بكل أمة على حدة ، وأما الحضارات فتكون شاملة لمجموعة من الأمم ، ومجموعات الأمم تشترك في حضارة من الحضارات قد تكون كبيرة وقد تكون صغيرة كما أشرنا سابقاً .

أما في اللغة الألمانية فقد سار تطور الكلمة في سياق مختلف عن اللغتين الفرنسية والإنجليزية فالتعبير المستخدم للمعنى الذي يدل عليه لفظ ثقافة هو Kultur وتبعاً لقاموس Adelung2 edition 1793 اكتسبت الكلمة دلالتين : الأولى تعني تحرير النفس وتستخدم لتحديد تمايز وترقية الوسائل ، أما الدلالة الثانية فتأتي تعبيراً عن الوضع الاجتماعي المواجه لبربرية الشعوب البدائية ، والذي يتسم بتطور الأدوات والآلات وبتقدم الوضع المادي وبوجود التنظيم السياسي ، وهو الوضع الاجتماعي الذي أقترح في ذلك الوقت تحديده المصطلح Entbarbarung .

ومع ذيوع المفهوم في النصف الثاني من القرن الثامن عشر اكتسب لأول مرة مضموناً جماعياً ، واستخدم للدلالة على التقدم الفكري الذي يحققه الفرد أو الجماعات أو الإنسانية بمعزل عن الأفكار المسبقة وذلك في إطار تصور عام لتاريخ البشرية تعد فيه درجات هذا التقدم الفكري معياراً أساسياً للتميز بين مراحل تطوره ، فحين استخدمت اللغة الألمانية مصطلح الحضارة للدلالة على الجانب المادي من حياة الأفراد والمجتمعات [1].

ولقد وجد مصطلح Kultur بدلالاته السابقة أصداء له في كتابات مفكري وكتاب العصر الرومانسي من أمثال جوته ، وشيلر ، وهيردر ، ومع بعض التمايزات والاختلافات وإن التقوا جميعا حول ما تتضمنه كلمة Kultur من دلالة على التقدم المادي والفكري والمعنوي الذي يتحقق بواسطة البشرية ككل دون تمييز ، حيث لم يقترن المصطلح لدى أياً منهم بفكرة تفوق شعب على آخر .

---

(1) الطاهر لبيب ، سوسيولوجيا الثقافة ، ط2 (الدار البيضاء ، دار قرطبة للطباعة والنشر ، 1986) ص6 .

وإذا كانت البدايات الأولى لظهور مصطلح Kultur قد حملت مظاهر العمومية ونأت عن التعصب والتمايز فإن القرن التاسع عشر ، بما جاء به من أفكار وما شهده من أحداث وتطورات ، قد صبغ المصطلح بسمة التعصب والعنصرية .

وعلى امتداد القرن ، اتجهت جهود المؤرخين والكتاب والفلاسفة واللغويين وحتى الفنانين والعلماء إلى التأكيد على تفوق الشعب الجرماني وتميزه ثقافياً وحضارياً على ما عداه من الشعوب .

وقد اكتسب مصطلح Kultur دلالات جديدة حيث ارتبط بالمظاهر والأبعاد الفكرية والمعنوية للحياة الاجتماعية واستهدف بشكل خاص الارتباط بمفهوم الأمة ، وأخذت بعض الأفكار الجديدة ، من قبيل المهمة الخاصة الموكولة إلى أمة ما من أجل نشر الثقافة والنهوض بها[1]، تتردد لدى مختلف المفكرين الرومانسيين سواء بشكل مباشر أو كامن وتطورت بشكل خاص ، مع "فيشته" ، في خطاباته إلى الأمة الألمانية وعلى امتداد الحقب التالية ، تأكدت هذه الدلالات وأصبحت الثقافة كمجموعة مكتسبات فكرية ومعنوية تشكل السمة المميزة إن لم تكن المطلقة لأمة ما ، أو لدولة ما ، وهي بالطبع الأمة الألمانية[2] .

وشغل التمييز بين الثقافة والحضارة الاهتمام فترة طويلة من البحث استمرت طوال النصف الأول من القرن التاسع عشر وكانت المقابلات بين مفهومي الثقافة والحضارة تأخذ شكل المقابلات الثلاث التالية [3]:

المقابلة الأولى : تصبح الثقافة جملة الوسائل الجماعية المستعملة في التغلب على الوسط الطبيعي (العمران – التكنولوجيا وتطبيقاتها).

وتصبح الحضارة : جملة الوسائل التي يستعملها الإنسان للسيطرة على ذاته ولتطوير نفسه روحياً وفكرياً .

---

(1)نادية بدر الدين أبوغازي ، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في العلوم السياسية ، جامعة القاهرة ، 1993 ،ص5 .

(2)المرجع السابق ، ص6 .

(3) أمين سعيد عبدالغني ، مرجع سبق ذكره ، ص16 .

المقابلة الثانية : تجعل الثقافة جزءاً من الحضارة أعم جغرافيا تحصر الثقافة في مجتمع معين ، ويجعل الحضارة جملة الثقافات التي توجد بينها روابط معينة .

المقابلة الثالثة : وتطغي عليها النزعة التطورية فتخصص الحضارة لمرحلة متقدمة من وجيات مختلفة وتقدما لا تضمنه كلمة ثقافة .

واستخدمت الثقافة الأوروبية العديد من الاستراتيجيات الثقافية لتفكر في ما اعتقدته التفوق الأوروبي ، وتغريب العالم ، أي السيطرة الأوروبية على الحضارات الأخرى كما طرحت طرق متعددة أريد لها أن تبرر كونية وتعميم الممارسات والقيم الأوروبية، كان بناء النظريات التي يطلق عليها أسم "النظريات التطورية" إحدى الطرق التي حاولت أوروبا بواسطتها أن تفهم التنوع الثقافي في العالم الذي اعترفت به إبان التوسع الاستعماري، كما كانت جزءاً من عامل التوحيد الثقافي الذي تأتي مباشرة عن هذا التوسع في إطار مقاربة كهذه ، يمكن ترتيب المجموعات البشرية تبعاً لخط زمني طويل يمثل في الوقت نفسه سلماً للتقدم ، بحيث يظهر هذا الخط الإنساني وقد انتقل ببطء من حالة التوحش إلى البربرية ثم إلى المرحلة المتحضره. وتحتل أوروبا وبشكل طبيعي كليا موقعا يجعلها رأس الحضارة ، إنها الحضارة بامتياز أما الحضارات الأخرى ، الإسلام ، الهند ، الصين ، فقد كانت أكثر تأخراً ، أما في النهاية فإننا نصادف مجتمعات متوحشة أو بدائية لاحق لها بأن يطلق عليها صفة المتحضرة ، وتالياً فإنه لابد لها أن تكتفي بموقع صاحبة "ثقافات" ، والتطورية نظرية ليا زمن ثقافي طويل ، زاعمة أن بامكانيا تصنيف جملة المجتمعات الإنسانية وبشكل خاص الحضارات الصغرى المعزولة الثقافات ، وذلك تبعا لسلم يسمح بصعود منحدر ناعم نحو الكمال الاجتماعي والثقافي ممثلا بالحضارة ، أي الحداثة الأوروبية[1].

ومع بداية النصف الثاني للقرن التاسع عشر انتقل استعمال لفظتي ثقافة وحضارة من المفرد إلـــى الجمع وأعتبر ذلك تجاوزاً للمفهوم المثالي لثقافة غربـــية

---

(1)جيرار ليكارك ، ترجمة جورج كتورة . العولمة الثقافية الحضارات على المحك ط1 (بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2004) ص ص33-34 .

وسبيلاً للاعتراف بتواجد ثقافات تختلف من مجتمع إلى آخر وفي المجتمع الواحد أيضاً .

ومع منتصف القرن التاسع عشر خفت حدة التميزات السابقة بين كلمة ثقافة وحضارة ومع انتقال كلمة ثقافة إلى إنجلترا في ذلك الوقت وجدت نفسها ترادف كلمة حضارة كما ظهر ذلك عند "تايلور" ولقد صادف هذا الترادف ميلاد المفهوم الانثربولوجي للثقافة [1].

(ب) المفهوم الانثربولوجي للثقافة :

من المتفق عليه أن أول تعريف انثربولوجي للثقافة هو ذلك الذي اقترحه الإنجليزي (تايلور،1832 – 1917) في كتابه الثقافة البدائية الصادر سنة 1871 والذي عرّف فيه الثقافة بأنها : ذلك المركب الذي يشمل المعارف والمعتقدات والفن والقانون والأخلاق والعرف وغيرها من القدرات التي يكتسبها الإنسان بصفته عضواً في مجتمع ما ، وبعد تعريف تايلور وطول الفترة التي شملت نهايات القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين ساد المفهوم الانثربولوجي للثقافة وتعددت الاجتهادات في قيمة في إطار تعدد مدارس الدراسات الانثربولوجية نفسها وكثرت التعريفات كثرة بالغة [2] .

وارتبط مفهوم الثقافة إلى فروع المعرفة الأخرى في مجال العلوم الاجتماعية بظهور كتاب المفكر الإنجليزي (تايلور) عن الثقافة البدائية في سنة 1871 ، والذي عكس تأثر تيلور بالفكر الألماني وبنتائج بحوث علم السلالات ، وقام علماء الاجتماع والانثولوجيون في القرن التاسع عشر (لاسيما مورغان ، تايلور ، سبنسر وسواهم) بمعارضة كل شيء ضمن ثويولوجيا ثنائية تجعل المجتمعات البدائية في مواجهة مع الحضارة ، تفترض التطورية .

---

(1)أمين سعيد عبدالغني ، مرجع سبق ذكره ، ص16 .

(2) المرجع السابق ، ص17 .

إن الاختلافات بين الثقافات أو بين الحضارات هي اختلافات ناجمة أساساً عن الموقف المتقدم نسبياً على طريق التقدم التقني الوحيد، من هنا كانت عبارة "الخط الوحيد " عبارة تقترن بهذه المقاربة في أغلب الأحيان ، تقوم أوروبا بقيادة مباراة الحضارات ، حيث ظهر التقدم التقني الحديث في أوروبا أول الأمر ، ثم انتشر في أمريكا الشمالية وهو آخذ الآن طريقه إلى التعميم على مدى السلم العالمي ، ثم إن مجمل المجتمعات آخذه الآن في التقدم عن طريق الحضارة الوحيد ، علماً أن التوسع الاستعماري الأوروبي قد أسهم في تعجيل هذه المسيرة ، انطلقت النظريات التطورية من ملاحظة الثقافات البدائية غير المكتوبة التي تتصف بتقاليد شفوية أكثر مما انطلقت من الحضارات الشرقية التي تعتمد تقاليد قديمة غنية ومكتوبة[1].

ويتحدث تايلور عن أنماط الثقافة والحضارة كالثقافة البدائية والثقافة الوحشية والحضارة البربرية والحضارة المبكرة ، وقد تميز هذا المفهوم الجديد عن الاستخدام التقليدي لمصطلح ثقافة من زوايا عدة فتحول المفهوم من مفهوم معياري إلى مفهوم وصفي من جانب ، ومن مفهوم فردي إلى مفهوم جماعي من جانب آخر .

وقد فرض مصطلح الثقافة في معناه الجديد نفسه على اللغة الانثربولوجيين وحقق انتشاراً سريعاً في الولايات المتحدة الأمريكية ، في حين صادف بعض المقاومة في بريطانيا . وتبعاً لهذا التعريف الوصفي ارتبطت الثقافة بمجموعة الأفعال التي يمكن ملاحظتها مباشرة في لحظة محددة والتي يمكن تتبع تطورها .

وقد وجه هذا التعريف الوصفي العديد من الكتابات ، كما أوحى بتعاريف متنوعة اتسمت جميعها بالأخذ بمفهوم موسع للثقافة يتضمن مجالات ومعارف عدة ، ومن أبرز تلك التعاريف أن الثقافة هي مجموعة مترابطة من أساليب التفكير والإحساس والعمل التي تكتسبها ، وتشترك فيها مجموعة من الأشخاص تمثل جماعة خاصة متميزة، وقد تأثر هذا التعريف بتعريف (تايلور) كذلك تأثر بتعبير "اميل دوركهايم" أساليب التفكير والإحساس والعمل حيث تضمن أبرز خصائص الظاهرة

---

(1)انظر جيرار ليكلرك ، مرجع سبق ذكره ، ص ص34-35 .

الثقافية من وجهة انثروبولوجية .

ومع اختلاف زوايا التركيز في كل من تلك الدراسات إلا أنه بالأمكان استخلاص عدد من الخصائص تعد جوهر التعريف الانثروبولوجي تتمثل في[1] :

1. التعامل مع الثقافة باعتبارها مجموعة من المعطيات الفكرية والعاطفية والمادية التي تختلف مناهج الباحثين في طريقة تحديدها ، ولكنها تحافظ على كلية تترابط فيها هذه المعطيات ترابطاً يكسبها دلالتها ولا تفسر خارجه .
2. قابلية الثقافة للتشكل في قوالب ، وهي قابلية تختلف قوة ومرونة حسب الحالات ، فالقانون مثلاً يأخذ شكلاً أكثر صلابة من الأساليب الفنية أو أساليب المعاملات اليومية بين الأشخاص .
3. التعلم باعتبار أن ما هو ثقافي لا يورث بيولوجيا وإنما يستقى عن طريق الاستيعاب الاجتماعي ، ومن هذا المنطلق تعد الثقافة هي ما يتعلمه الفرد للعيش في مجتمع خاص وتدخل في مجال عملية التنشئة الاجتماعية .
4. المشاركة : وهي سمة نزعت بها الأنثروبولوجيا عن الثقافة تلك الاعتبارات الفردية باعتبار أن المعيار الأساسي للظواهر الثقافية ، هو اشتراك مجموعة ، من الأفراد في تلك الظواهر بغض النظر عن عددهم ، فقد تشمل المجموعة فئة محددة أو فئة اجتماعية أو طبقة اجتماعية ، أو قد تكون أوسع من ذلك ويرجع كروبير وكلوكهون بداية الظهور الحقيقي للمفهوم العلمي للثقافة إلى بدايات القرن العشرين، وفي هذه الفترة بالتحديد بدأ استخدامه بين علماء الاجتماع الأمريكيين بنفس دلالته في الانثروبولوجيا وقد ظهر كذلك تيار آخر في علم الاجتماع الأمريكي وأخذ – مرة أخرى – بتمييز الألماني بين ثقافة وحضارة ولم يقدر لهذا التيار الاستمرار كما أنه لم يشكل مدرسة مستقلة وأحتفظ علماء الاجتماع الانجلوساكسون في مجملهم باستخدام الرواد أي بالاستخدام الانثروبولوجي دون مواجهة الثقافة بالحضارة وهو الاستخـــدام

(1)هادية بدر الدين أبوغازي ، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة في العلوم السياسية ، مرجع سبق ذكره ، ص7 .

الذي شاع اليوم ويعكس حجم المواد المخصصة لمادة (ثقافة) في قواميس العلوم الاجتماعية الأمريكية والبريطانية الأهمية التي اكتسبها المصطلح في لغة علماء الاجتماع .

وقد شاع استخدام الثقافة في العلوم الإنسانية وأضحت مصطلحا دارجاً في اللغة العلمية الأمريكية ، أما في بريطانيا ، فقد اكتسب مصطلح "الثقافة " في معناه الانثروبولوجي نجاحاً أقل منه في الولايات المتحدة الأمريكية ولكن المفهوم الجديد أصبح مألوفاً ومتداولاً [1] .

أما مصطلح الحضارة فقد ظل استخدامه وفياً لمفاهيمه ودلالاته الأصلية ، سواء في بريطانيا أو في الولايات المتحدة الأمريكية ، واستخدم على نحو أوسع في إطار تطوري للدلالة على الحركة أو عمليات التطور الاجتماعي ، فقد قدمت دائرة المعارف البريطانية في طبعة 1959 تعريفاً للحضارة يجعل منها هذا الشكل من الثقافة الذي يتضمن كلاً من استخدام الكتابة ، و وجود المدن أو المؤسسات السياسية كما يتضمن التنمية وتقسيم العمل إلى جانب هذا الحد الأدنى من الاتفاق حول خصائص التعريف الانثروبولوجي للثقافة نجد ، تعريفات عدة صنفت وفقاً لمعايير مختلفة تبعاً للاهتمامات والمناهج [2].

فقد صنف (كروبير وكلوكهون) التعريفات إلى ستة أنماط : الوصفيه ، والتاريخية ، والتقييمية ، والسيكولوجية ، والوراثية ، والبنيوية .

وقد أختصر التصنيف تبعا لمحاور الاهتمام في ثلاثة اتجاهات [3] :

أما الاتجاه الأول فإنه يرى الثقافة من رؤية التاريخ وهو اتجاه رسمه (بواس) الذي أهتم بخصوصية كل ثقافة وحاول إيجاد صلات تاريخية جغرافية بين الثقافات المختلفة .

---

(1)المرجع السابق ، ص8.

(2)المرجع السابق نفسه.

(3)نفس المرجع ، ص9 .

أما الاتجاه الثاني: فينظر إلى الثقافة في علاقتها بالشخصية وقد تبنى هذا الاتجاه "سابير" وهو من المشتغلين بعلوم اللغة ، وقد أهتم بإبراز العلاقة العضوية بين الظواهر الثقافية والظواهر اللغوية ممهداً بذلك لانثروبولوجيا لغوية كان لها تأثيراتها في الانثروبولوجيا البنيوية في فترة لاحقة وينطلق "سابير" من افتراض وجود علاقة أساسية بين الثقافة والشخصية ، فمختلف أنماط الشخصية تؤثر بلا شك تأثيراً عميقاً في تفكير الجماعة وعملها ، ومن جانب آخر ، تترسخ بعض أشكال السلوك الاجتماعي ، حتى في حالة عدم تلاؤم الفرد معها نسبياً في بعض الأنماط الشخصية .

أما الاتجاه الثالث : فينظر إلى الثقافة بالرجوع إلى نظريات الاتصال الحديثة منطلقا أساساً من النموذج اللغوي ويجد أفضل تعبير عنه في أعمال "ليفي شتراوس" الذي اعتبر أن كلاً من الظواهر الاجتماعية له لغته وأسلوبه ، وسعى إلى تحليل المجتمعات كأساليب واضعاً في خلفيته أن هناك بنية متغيرة مع الزمان والمكان ، وهو ما يطلق عليه البنيوية في الانثروبولوجيا .

على أن الاهتمام بالبنية كبناء منظم وخفي للعناصر الثقافية يسمح بإضافة اتجاه رابع وظيفي بالمعنى الذي يحدده رائده " مالينوفسكي " الذي تعني فيه الوظيفة تلبية حاجة من الحاجات ، ويكون فيه التحليل الوظيفي هو ذلك الذي يسمح بتحديد العلاقة بين العمل الثقافي وبين الحاجة عند الإنسان سواء كانت هذه الحاجة أولية أو فرعية . كما اقترن مفهوما البنية والوظيفة – عضويا – بإتجاه آخر بنيوي وظيفي يمثله "رادكليف براون" ومفاده التصور الوظيفي للبنية عن طريق وحدة وظيفية تعرف على أنها الشرط الذي به يتعامل كل أجزاء النظام بطريقة فيها انسجام وتماسك كافيان لأن يحولا دون ظهور تنازع لا يمكن حله .

فوظيفة المجتمع هي ضمان استمرارية بنائه المعرف كمجموع العلاقات بين الأفراد والجماعات والمؤسسات .

وبالإضافة إلى الاقترابات السابقة ينبغي الإشارة إلى اقتراب إلى التحليل النفسي الذي تزعمه (فرويد) والذي يتبنى رؤية مفادها أن الأحاسيس والانفعالات تخضع لنوع من التسامي بمعنى أنها تتحول من هدفيا الجنسي وتتوجه نحو أهداف أكثر رقياً من الناحية الاجتماعية من قبيل الثقافة مثلاً [1].

الخلاصة أن في المقابلة بين ثقافة وحضارة حافظت التعاريف الانثروبولوجية المتعددة على مقابلة بين الطبيعة والثقافة ، تدعمها المقاربات بين الحيواني والإنساني وبين ما هـو بيولوجي أو فطري ، وبالتالي فهو مشترك بين كـل الناس باعتبارهم ملتمين إلى جنس واحد ، وبين ما هو مكتسب من الوجود الاجتماعي وبالتالي فهو مختلف تبعاً لخبرات البشر ومهاراتهم .

وهناك اتفاق إجمالي على أنه – خلافا للغرائز – لا تكون الثقافة إلا اكتساباً في الوسط الطبيعي والاجتماعي ، كما أن الثقافة هي ما يصنعه الإنسان في البيئة ..

(ج) المفهوم الحالي للثقافة :

تطور مفهوم الثقافة ومعناها ، فالثقافة في الماضي لم يكن شأنها يتجاوز إعداد الشبيبة وإمتاع الكبار ، ولم يكن ثمة بحث عما قد يتضمنه النتاج الأدبي والفكري والفني من تجسيد للهوية القومية العميقة والراسخة .

أما الآن فقد تغير كل شيء ، وأصبحت الثقافات منطلقات لإثبات الذات الجماعية والبحث عن الهويات الخاصة كما غدت موضوعات كبيرة للصراع .

وهكذا حملت الثقافة في المجتمعات الحديثة معنى جديداً ، إذ غدت تعني مجموعة من النشاطات والمشروعات والقيم المشتركة التي تكون الأساس المكين للرغبة في الحياة المشتركة لدى أمة من الأمم ، والتي ينبثق منها تراث مشترك من الصلات المادية

---

(1)المرجع السابق ، ص11 .

والروحية يغتني عبر الزمان ، ويغدو في الذاكرة الفردية والجماعية إرثاً ثقافياً بالمعنى الواسع لهذه الكلمة هو الذي تبنى على أساسه مشاعر الانتماء والتضامن والمصير الواحد[1].

إذا ارتبط بمفيوم الثقافة مفيوم الحضارة فقد تداخل المفهومان في مختلف اللغات والمجتمعات .

ففي اللغة العربية تشتق كلمة حضارة من حضر وهو خلاف البدو ، فحضارة تعني الإقامة في المدن والريف والمناطق الحضرية ، وقد تناول ابن خلدون في مقدمته هذا المعنى بإفاضة .

وتشير المعاجم اللغوية الحديثة إلى الحضارة على أنها ضد البداوة وهي مرحلة سامية من مراحل التطور الإنساني ، ومظاهر الرقي العلمي والفني والأدبي والاجتماعي في الحضر .

والثقافة والحضارة تجتمعان في دلالتهما حيناً ، وتفترقان حيناً آخر فهما تختلفان في أن الثقافة تكون غالباً ذات طابع فردي معنوي ، بينما تكون الحضارة ذات طابع اجتماعي مادي ، وهما تتفقان في فكرة الارتقاء بالمعارف، ومصطلح Civilisation في اللغات الأوروبية فقد جاء ظهوره وانتشاره لاحقاً مباشرة لظيور مصطلح ثقافة حيث تعود البدايات الأولى لظهور المفهوم وتداوله لصورته المتعارف عليها إلى النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، أما قبل ذلك فقد كان المصطلح يستخدم كمصطلح إجرائي للدلالة على حكم يجعل الدعوى أو القضية الجنائية مدنية .

أما الميلاد الحقيقي لمصطلح "حضارة" في معناه الحديث فيرجع تحديداً إلى سنة 1757 حيث استخدم في فرنسا للدلالة على تنقية العادات وتنمية الآداب واللباقة وتلطيف الطبائع والأخلاق والعادات ، فالحضارة كان يقصد بها فعل يستهدف جعل الفرد والمجتمع أكثر تمدنا وتحضراً ، ولكن سرعان ما تطور معنى المصطلح وذاع واكتسب أبعاداً جديدة، فبالإضافة إلى متغير الحركة أي الاتجاه نحو إصلاح أو تهذيب

(1)مجلة المستقبل العربي يصدرها مركز دراسات الوحدة العربية ، العدد222 ،1997 ، ص26 .

مجتمع ما ، تضمن كذلك متغير النتيجة الذي يتضمن تميز بعض المجتمعات ، هي المجتمعات الاستعمارية في القرنيين الثامن عشر والتاسع عشر على سواها من المستعمرات في نفس الفترة ، والمفهوم بشقيه يندرج تحت الرؤية المتفائلة التي تستخلص دلالة تطوريه لحركة البشرية .

هذا ويثير لفظ حضارة من القرنين الثامن عشر والتاسع عشر أي في عصر التوسع الاستعماري الأوروبي قضية هامة تتعلق بنظرة الغرب إلى المستعمرات باعتبار أن أوروبا هي الحضارة والمستعمرات تمثل التخلف والبربرية والهمجية ، وأن مهمة أوروبا هي تحضير وتمدين المستعمرات .

وقد تردد استخدام مصطلح حضارة بكثرة في القرن التاسع عشر ، وأشارت الموسوعات والقواميس الصادرة في تلك الفترة إلى اتساع نطاق المفهوم وشيوعه وخصصت دوائر المعارف العديد من المواد لهذا المصطلح ، كما وجد هذا المصطلح أصداءً له في أدب الفترة نفسها[1].

ويتصل مفهوم حضارة اتصالاً وثيقاً بمفهوم ثقافة في الفكر الفرنسي ، إلا أن مفهوم الحضارة يتسم باتساع النطاق والشمول ، فالثقافة تنحصر في الأمور الذهنية والمعنوية مثل اللغات والآداب بينما تشتمل الحضارة على جميع مآثر الحياة المادية والفكرية والخلقية عند الأقوام من علوم وصناعات وعادات ، لذا تكون الحضارة بطبيعتها قابلة للانتقال من أمة إلى أخرى والانتشار بين المجتمعات ، أما الثقافة فتتسم بالخصوصية ، وإن أثرت ثقافات الأمم المختلفة في بعضها البعض بدرجات متفاوتة . وتبدو هذه الصورة بوضوح عند مقارنة العلوم بالآداب[2].

فكل أمة تتميز عن غيرها بثقافتها الخاصة ، وتلتقي مع الأمم الأخرى في حضارات عامة فالثقافة تكون قومية ، والحضارة تكون بطبيعتها أممية [3].

---

(1)نادية بدر الدين أبوغازي ، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في العلوم السياسية ، مرجع سبق ذكره ، ص20 .

(2)أنظر ابوخلدون ساطع الحصري ، مرجع سبق ذكره ، ص42 .

(3)نادية بدر الدين أبوغازي ، مرجع سبق ذكره ، ص21 .

وإذا كان الاستخدام الفرنسي لكلمة حضارة يشمل مختلف أبعاد التقدم من فكرية ومادية ، فإن التصور الألماني إجمالاً طغت عليه نزعة واضحة إلى التمييز بين الثقافة بمعناها الروحي والفكري والعقلي ، وبين الحضارة بمعناها المادي وقد لازم هذا التمييز الفكر الألماني متمشياً مع ما ألفه مضمون هذا الفكر من فصل بين الروح والطبيعة .

بجانب هذا المقابلة الأكثر استخداماً بين الثقافة والحضارة ، نجد مقابلات أخرى فرعية ، منها ما يسبغ على الثقافة مضمون الحضارة لتغدو بذلك جملة الوسائل الجماعية المستعملة في التغلب على الوسط الطبيعي (العمران والتكنولوجيا وتطبيقاتها) وتصبح الحضارة جملة الوسائل التي يستعملها الإنسان للسيطرة على ذاته ولتطوير نفسه روحياً وفكرياً [1].

ومنها ما يجعل من الثقافة جزءاً من حضارة أعم جغرافياً ، فيحصر الثقافة في مجتمع محدد ، ويجعل من الحضارة جملة الثقافات التي توجد بينها روابط معينة وانطلاقاً من هذا التمييز تكون هناك على سبيل المثال ثقافة تونسية أو سورية أو مصرية تصب جميعها في الحضارة العربية .

هذا وقد شهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر تطوراً في دلالة مصطلحي الثقافة والحضارة حيث انتقل لفظا ثقافة وحضارة من صيغة المفرد إلى صيغة الجمع و واكب ذلك التوسع الاستعماري وعُدّ انتصاراً للخاص على العام لما فيه من تجاوز للمفهوم المثالي لثقافة غربية يعتقد أن العالم يتوق – أو يجب أن يتوق لها – نحو الاعتراف بوجود ثقافات تختلف من مجتمع لآخر وفي داخل المجتمع الواحد ، ويتم التوصل إلى نسبية خففت من حدة التمييزات السابقة وإن ظلت هذه التمييزات قائمة لدى البعض[2].

---

(1)الطاهر لبيب ، مرجع سبق ذكره ، ص ص7-8.

(2)المرجع السابق ، ص9 .

إن المتابع لأحوال العالم في الفترة الأخيرة يجد أنه قد حدثت تغيرات كثيرة وهذه التغيرات العالمية الكبرى التي حدثت في العالم منذ بداية العقد الأخير من القرن العشرين ، وانتقال الإنسانية عبر عملية معقدة ومركبة صوب صياغة مجتمع عالمي جديد في ظل تطورات كبرى في مجال المعرفة والاتصال والانتقال من مجتمع الصناعة إلى مجتمع المعلومات ، وظهور مقولات مثل صراع الثقافات وصدام الحضارات هذه التحولات أحدثت أمرين في غاية الأهمية بالنسبة لموضوع الثقافة هذان الأمران هما [1]:

1. وضعت الثقافة على رأس قائمة الموضوعات ذات الأهمية على المستوى السياسي والاقتصادي والاجتماعي ليس في الدول المتقدمة فقط ولكن في أغلب دول العالم تقريبا .
2. أنتجت مجموعة من البحوث والدراسات ذات المستوى المرتفع حول مفهوم الثقافة وعمليات التحليل الثقافي ومداخله المنهجية مما أدى إلى ظهور نظرية جديدة للثقافة تجعل من فهم الثقافة مقدمة ضرورية لفهم الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والاختيارات الشخصية للإنسان في أي مجتمع من المجتمعات.

وتتجه الدراسات الحديثة حول مفهوم الثقافة في اتجاهين متوازيين هما اتجاه الكونية أو العولمة الذي يعني بالبحث في طبيعة التقدم الإنساني في مجالات المعرفة وكيف سيؤدي ذلك إلى خلق ثقافة عالمية موحدة والدليل على ذلك أن الباحث الأمريكي الشهير "صمويل هانتجتون" هو أحد رموز الكونية الثقافية عاد ليكتب في مجلة شئون خارجية مقالا علمياً تحت عنوان "الغرب متفرداً وليس عالمياً" .

ويقول: أن شعوب العالم غير الغربية لا يمكن لها أن تدخل في النسيج الحضاري للغرب حتى وإن استهلكت البضائع الغربية وشاهدت الأفلام الأمـــــريكية

---

(1) أمين سعيد عبدالغني ، مرجع سبق ذكره ، ص24 .

وسمعت إلى الموسيقى الغربية ، لأن روح أي حضارة هي اللغة والدين والقيم والعادات والتقاليد[1] .

وحضارة الغرب تتميز بأنها وريثة الحضارات اليونانية والرومانية والمسيحية الغربية والأصول اللاتينية للغات شعوبها والفصل بين الدين والدولة وسيادة القانون والتعددية في ظل المجتمع المدني والهياكل النيابية والحرية الفردية[2] .

الخلاصة أن المفهوم الحالي للثقافة يشمل الاستخدام الأوسع الذي يشمل المعارف العلمية إلى جانب المعارف الفنية والأدبية فالثقافة اليوم ليست قاصرة على الأدب دون العلم ، وإنما يدخل فيها العلم مع الفن والدين والفلسفة وتكون الثقافة أساساً مجرد المفاهيم والتصورات للعالم التي تحدد رؤية الناس وليست مجرد الممارسات العملية والأعمال الأدبية والفنية .

فالثقافة تعني ذلك النسق من المعرفة العامة والمتخصصة ، والمثقف هو ذلك الشخص الذي نال قدراً من هذه المعرفة وأهتم بأمورها في مجالات الفكر والعلم والأدب.

رابعاً : مكونات الثقافة :

الثقافة هي مصطلح يسيطر على أدبيات العلاقة بين الدول المختلفة فالعديد من الكتب والمقالات تشير إلى الثقافة على أنها القوة الأساسية لدعم الأمم والدول إلى سباق التحضر ، وهي تدعو إلى أهمية نمو هذه الثقافات ، وبالتالي فإنه من الصعب تحديد مكونات الثقافة لعدة أسباب منها أن الثقافة كفكرة لها تاريخ ، وخاصة في العالم الغربي حيث الأصول المجتمعية والحضارية على قدر كبير من الامتداد الذي يبدأ من فلاسفة اليونان القدامى ، فتؤثر الثقافة في السلوك الإنساني ، لأن المهارات وأنماط السلوك الإنساني هي أنماط قديمة قدم التاريخ الإنساني .

---

(1)المرجع السابق ، ص29 .

(2)المرجع السابق نفسه .

ومن هنا يمكن اعتبار الثقافة مركباً متجانساً من مجموعة من الذكريات والتصورات والقيم والعادات والتقاليد التي تحتفظ بها مجموعة من البشر والتي تشكل أمة أو شعباً بطريقة تعبر عن نظرة هذه الأمة إلى الكون والحياة والموت وقدرات البشر ، والثقافة أيضاً تعبر عن قدرة الشعوب على التعلم ونقل المعارف من جيل إلى جيل من خلال استخدام الأدوات واللغة والأنساق الفكرية المجردة ، فالإنسان ليس فقط مستخدماً للرمز ،ولكنه أيضاً صانع له ، وقد استطاع من خلال ذلك إيجاد بعد جديد لخبراته التي منحته سيطرة متزايدة على البيئة التي يحيا فيها[1].

كما يشير مفهوم الثقافة بشكل عام ، فهي تعني ذلك الكل المعقد الذي يشمل المعرفة والعقيدة والفن والأخلاق والقانون والعادات ، وأية قدرات يكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع ، وهي بالتالي تتكون من ثلاث دوائر مترابطة ومتماسكة[2] :

أولهـــا : القيم والمبادئ والمعتقدات .

وثانيها : أنماط سلوكية .

وثالثها : جزاءات جماعية للممارسة والتعامل .

وتأخذ الثقافة مجموعة من الأبعاد منها : بعد إدراكي عن الواقع الإجتماعي الذي نعيش فيه ، وبعد معياري يقوم على تحديد هرمي للقيم والتمييز بين الخير والشر ، وبعد إرادي يتمحور حول الخطوات الواجب إتباعها [3] .

ومن خلال هذا التعريف تظهر لنا الثقافة كحلقة وصل بين الدين والقيم الروحية من جهة ، والحضارة التي تمثل ناتج الثقافة في الزمان والمكان من جهة أخرى .

---

(1)جيهان سليم وآخرون ، مرجع سبق ذكره ، ص228 .

(2)حامد ربيع ، الثقافة العربية بين الغزو الصهيوني وإرادة التكامل القومي (القاهرة ، دار الموقف العربي ، 1982) ص35 .

(3)جيهان سليم وآخرون ، مرجع سبق ذكره ، ص157 .

وفي ظل هذا المفهوم للثقافة ، ينظر إلى الثقافة على أنها الإطار الذي أنتجه الإنسان بناء على قيمة واستيعابه لعقيدته وتراثه الديني وتفاعلاته المتعددة داخل بنيته الاجتماعية والطبيعية في كل مرحلة تاريخية ، سواء على المستوى الفردي أو الجماعي ويشمل هذا الإطار أبعاداً وعناصر روحية ومعرفية وأدوات فنية وموجهات قيم ، تقاليد ، معايير للسلوك وطرائق للحياة لضمان البقاء للفرد وللجماعة .

من ذلك يمكن القول بأن مكون الثقافة هو نتاج مجموعة من العوامل المادية والمعنوية ، وهي عملية متغيرة لا تعرف الثبات ، كما أن القول بوجود ثقافة معينة في المجتمع لا يعني بتماثل عناصرها لسائر أفراد المجتمع ، وأن هناك باستمرار هوامش للاختلاف الثقافي تفرضه عناصر معينة كالأصل والديانة والمستوى الاقتصادي والاجتماعي وغيرها ، وعلى الرغم من ذلك تبقى لكل أمة ثقافة خاصة لها ، بها مذاق معين يعبر عنها ، وخصائص عامة تميزها عن غيرها من الثقافات ، وتشكل المركب العقلي والنفسي للجماعة[1] .

ويضطرب مفهوم الثقافة في العالم اضطراباً كبيراً فلم يعد المثقف هو الإنسان المهذب ، ويعود سبب ذلك إلى التغير الحادث في النظرة إلى الفرد ودوره في الحياة ودور المجتمع ومؤسساته ، فقد توالت إلى العالم الثورات التقنية والأحداث وفترات التقلبات القومية والوطنية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والتعليمية عبر القرون [2].

والثقافة بدورها لم تكن بمعزل عن هذه التفاعلات، لذلك فالثقافة أمام تحد كبير، وهدف الثقافة الذي نبتغيه هو تذويب سبب الخلق في الإنسان أي جعل سبب خلقه في ذاتيته ومناجزة الحضارات ، والإعداد لحضارة تقوم مقاميا ، والتطوير الثقافي والحضاري لكامل الأمة وتراثها أمة تحمل رسالة وتنشئ حضارة وتصنع تاريخاً .

---

(1)المرجع السابق ، ص158 .

(2)أحمد عصام الصفدي ، الثقافة ، الأهرام ، العدد 9627 ، 2005 ،ص10 .

وعليه فالثقافة بهذا المفهوم هي جميع المعارف غير المادية التي تختص بها أمة من الأمم ، ولكل أمة ثقافة تتميز بها وتحدد هويتها ، وهي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته ، وبمعنى آخر الثقافة هي أسلوب الحياة الفكرية في المجتمع فهي طابع الأمة الأصيل .

ومن هنا فالحضارة أعم من الثقافة ومن أجل ذلك تستخدم العلوم الاجتماعية في العصر الحديث مصطلح حضارة لتعني به كل الأشياء غير المادية والمادية المصنعة في حياة الإنسان وينتشر في العالم فيم مشوش للحضارة والثقافة استقى من اللفظ الإنجليزي Culture ، ومن مصطلح المدنية والتحضر Civilization ، والحق أن الحضارة في إطلاقها العام هي قصة الإنسان في كل ما أنجزه على اختلاف العصور وتقلب الأزمان وما صورت به علائقه بالكون وما وراءه وهي حين تخصيصيا بجماعة من الناس أو أمة من الأمم تعني تراث تلك الأمة أو الجماعة على وجه الخصوص [1].

وركز أصحاب نظرية الثقافة على اتجاهين أساسيين في تعريف الثقافة الأول : ينظر للثقافة على أنها تتكون من القيم والمعتقدات والمعايير والتفسيرات العقلية والرموز والايديولوجات وما شاكلها من المنتجات العقلية ، والثاني : يرى الثقافة على أنها تشير إلى النمط الكلي لحياة شعب ما والعلاقات الشخصية بين أفراده وكذلك توجهاتهم [2] .

ولم يتوقف أصحاب نظرية الثقافة كثيراً أمام التعريف ولكنهم انطلقوا منه لتحديد مكونات الثقافة بشكل مباشر وهذه المكونات في رأيهم هي [3] :

1. التحيزات الثقافية التي تشير إلى القيم والمعتقدات المشتركة .
2. العلاقات الاجتماعية والتي تعرف بأنها العلاقات الشخصية بين الأفراد .

---

(1)المرجع السابق ، نفسه .

(2)أمين سعيد عبدالغني ، مرجع سبق ذكره ، ص 27 .

(3)المرجع السابق ، نفسه .

3. أنماط وأساليب الحياة وترمز إلى تركيبة حية من التحيزات الثقافية والعلاقات الاجتماعية .

أو تركيبة حية من القيم والمعتقدات المشتركة والعلاقات الشخصية بين الأفراد والواضح من مكونات الثقافة كما يراها أصحاب نظرية الثقافة أنها عناصر مرتبطة بعضها بالبعض في الكل المركب للثقافة ، فالتحيزات الثقافية تشمل القيم والمعتقدات المشتركة بين الناس والعلاقات الاجتماعية تشمل العلاقات الشخصية التي تربط الناس بعضهم بالبعض الآخر أما نمط الحياة فهو الناتج الكلي المركب من التجهيزات الثقافية والعلاقات الاجتماعية .

نخلص من ذلك إلى أن الثقافة تعني مجمل أساليب حياة أي مجتمع مكوناً أساسياً من :

1. ذكريات .	2. تصورات .	3. قيم .
4. رموز .	5. تغيرات .	6. إبداعات .
7. تطلعات .	8. التواصل .	9. الأخذ والعطاء

وتعتبر الثقافة هي "الإرث الاجتماعي" ومحصلة النشاط المعنوي والمادي للمجتمع ويتكون الشق المعنوي من حصيلة النتاج الذهني والروحي والفكري والفني والأدبي و القيمي، ويتجسد في الرموز والأفكار والمفاهيم والنظم وسلم القيم والحس الجمالي أما الشق الثاني وهو هنا المادي فيتكون من مجمل النتاج الاقتصادي والتقني (الأدوات والآلات) والبيوت وأماكن العمل أما الإطار الاجتماعي للثقافة فهو الذي يتحقق من خلال هذا الإرث المستمر والمتطور من جيل إلى جيل ، فهو المؤسسات والطقوس والجماعات وأنماط التنظيم الاجتماعي الأخرى وتكون الثقافة

الشخصية الحضارية كذلك الثقافة مقوم أساسي للشخصية القومية ومن هنا تستهدف الإمبريالية والدول المستعمرة اقتلاع الإنسان المستعمر من جذوره الثقافية لاستلابه استلابا كاملا إلى درجة سلبه لغته ، كما حصل في الجزائر وتونس والمغرب وغيرها.
ولقد اكتسبت الثقافة أهمية كبيرة خاصة ، لتداخلها مع مختلف أوجه الحياة وأصبحت مؤثرة بسبب تطور تقنية الاتصالات والمعلومات وهذا ما يطلق عليه بالعولمة وأثرها على الهوية الثقافية.
وإذا أردنا أن نصف إحدى الثقافات بشكل كامل فيتوجب علينا أن نتناول الأمور التالية : مستوى تطور التقنية ، وأسلوب الاقتصاد ، ونظام السلطة ، والعناصر الاجتماعية ، والنظام القانوني ، ونظام القيم ، وتعتبر التربية والتكيف الاجتماعي مكونان لا غنى عنهما لأية ثقافة .

خامساً : العلاقات بين الثقافات :

إن كثيراً ممن تكلموا عن التلاقي الثقافي نجدهم ينطلقون من مبدأ عدم تكافؤ عملية التبادل الثقافي ، وأن عملية الاتصال الثقافي بين المجتمعات الغربية المتقدمة والمجتمعات الأقل تطوراً ، تنبع من تصور محدد يفترض أن على المجتمعات المتخلفة الاحتكاك والتواصل والأخذ من الثقافة الأكثر تطوراً ، وذلك لتحقيق التقدم البشري إتباعاً لسنن التطور التاريخي ، حيث لم يوجد هناك مجتمع يقوم بنفسه بإتقان كل خطوة من خطوات الاختراعات والتقدم ، وبما أن الثقافة الغربية هي الآن على قمة التطور البشري ، فمـــا على الثقافات الأخرى إلا الأخـــذ والتفاعل معهـــا لتلحق بالركب الحضاري[1].

إن العالم أضحى قرية صغيرة ، كما يوصف اليوم ، من خلال القدرة على انتشار الثقافات وتبادل المعرفة ، ولكن في الوقت نفسه يجب التسليم بأن هذه القرية هي قرية متعددة الحضارات تساهم فيها كل الثقافات الحية بدورها .

---

(1)جيهان سليم وآخرون ، مرجع سبق ذكره ، ص159 .

فحتى المجتمعات الغربية على الرغم من تقدمها عجزت عن حل مشاكل الإنسان حتى داخليا ، وهي ستبقى فقيرة في المجال الثقافي ، وبحاجة إلى دور الثقافات الأخرى ، والانتشار الثقافي الواسع الذي نلحظه في عالمنا المعاصر يقيم الدليل على استعداد الثقافات للترحيب بالتأثير الخارجي ، فهو يوضح كما في حالة الاكتشاف والاختراع اتجاه الميل الثقافي إلى التغير ، مع ملاحظة أنه مهما يكن الأمر فإن تقبل العناصر الثقافية الخارجية لا يكون أبداً كلياً أو شاملاً ، وهناك دائماً أتجاه إلى تعديلها وإعطائها تفسيرات جديدة .. وهذا يبين اتجاه كل مجموعة من العادات المتوافقة إلى التمسك بنمطها ، أي كلما توثق التلاقي والاتصال بين شعبين خفت مقاومتهما للاقتباس ، وأن الثقافات المتقاربة تتلاقى في الأغلب في عناصر مشتركة أكثر من تلك التي تتلاقى فيها الثقافات المتباعدة[1].

إن مثل هذا التفاعل بين الثقافات العالمية ينبغي أن يؤدي في النهاية إلى تقارب عملي قوامه وضع مجموعة من الثوابت العالمية الثقافية التي ينبغي أن تعمل الثقافات جميعها على احترامها وتعميق جذورها وتوكيد مثل هذه الثوابت وقبولها أمر ممكن إذا هو تم عن طريق الحوار الحقيقي[2]، وحل محل فرض ثوابت ثقافية معينة أو بلد معين على العالم كله ، والادعاء بأنها هي وحدها الثوابت العالمية .

(أ) الغزو الثقافي :

كان الغزو في الماضي يتم بأدوات بدائية بالسيف والرمح والفرس، ومن ثم تطور إلى أدوات أحدث حيث استعملت المنجنيقات وقاذفات اللهب المحترقة، ومن ثم تطور بعد اختراع البارود وأصبح يتم من خلال البنادق والمدافع، ومن ثم تقدمت وسائل وأساليب الغزو حيث أصبحت تتم عبر الطائرات والسفن والغواصات وإلى الأمس القريب تمت عبر الأقمار الصناعية والكمبيوترات والصواريخ الموجهة عبر القارات وهذا ما حصل في حرب الخليج الثانية حيث استعملت جميع الأدوات التكنولوجـــــية

---

(1)مجلة المستقبل العربي ، يصدرها مركز دراسات الوحدة العربية ، العدد 16 ، يوليو 1980 ، ص53 .

(2)انظر جيهلان سليم وآخرون ، مرجع سبق ذكره ، ص181 .

واستغلت الوسائل الإعلامية للدلالة على تأسيس النظام العالمي الجديد الذي أعلن عنه الرئيس الأمريكي جورج بوش حيث اعتبرت الحرب تلفزيونية إعلامية، ولكن هناك القليل أعتبر ذلك على أنه تسويق قوة أمريكا لإخضاع العالم أجمع لسلطانها وأمرها فأصبحت القوة الوحيدة في العالم بعد انهيار الاتحاد السوفيتي .

أما اليوم ونحن نقف على اعتاب قرن جديد فإن الغزو اختلفت أدواته فمن قبل كانت أدواته ملموسة تحتاج إلى دبابات وطائرات وسفن وغواصات أما اليوم فقد أصبحت غير ملموسة أذ تحول الغزو إلى غزو ثقافي للقيم يحاول أن يزرع منظومة قيم خاصة به [1].

لذا نجد أن الأساليب التي وظفت من قبل الطرف المعتدي كانت تتضمن الأساليب العسكرية وغير العسكرية أي المادية وغير المادية ، وإحدى تلك الأساليب غير المادية كان الأسلوب الثقافي والمتمثل في الغزو الثقافي [2].

وبالرغم من ارتباط المفهوم الأخير بفترة السيطرة الأوروبية على العالم لكنه من حيث الدلالة قديم ، فالشعوب في القدم غزا بعضها البعض ، وكان هذا الغزو لا يمس الجوانب المادية فقط وإنما الجوانب الفكرية أيضاً إدراكاً من الطرف المعتدي لما تمثله الرموز الثقافية من عوامل دعم وقوة للطرف الأخر ، ولنا في الغزو الروماني لمصر خير دليل على ذلك فعندما انتهت العلاقة العاطفية بين قيصر وكيلوباترا وبدأت تترسب مفاهيم علاقة تبعية بين وادي النيل وإمبراطورية روما ، وخرجت وفود حاكم الإمبراطورية الكبرى وتعاليمها واضحة وصريحة هدم جميع المعابد الفرعونية وأحالتها إلى أنقاض ، هذه المعابد . كانت رمز الحضارة الفرعونية رمز القوة المعنوية وموضع العلم والثقافة فيها ، وبها تتحدد جميع مظاهر التقدم والارتقاء الفرعوني ، فمعبد الكرنك لم يكن مجرد مكان للقاء الإله ولكنه كان جامعة حقيقية حيث العلم يستأثر به الكهنوت وحيث جميع مظاهر التقدم الفكري من تشريح وكيمياء وصناعة الذهب وما في حكمها

---

(1)حسن عبدالله العايد ، في العولمة في الثقافة العربية ، مرجع سبق ذكره ، ص95 .

(2)علي باسم خريسان ، مرجع سبق ذكره ، ص38 .

تتركز داخل المعبد ، وتحطيم هذا المعبد يعني تحطيماً لرمز الحركة الفرعونية وقضاءً على الثقة أما ما هو مفهوم الغزو الثقافي والذي اقترن بفترة الهيمنة الأوروبية عـــلى العالم ليعبر عن محاولة من مجتمع ما لفرض قيمه على مجتمع آخر بالقوة وهذا المصطلح قد تحدد مضمونه في ضوء إنجازات العلوم الإنسانية ودخل القاموس السياسي حديثاً معبراً بذلك عن الوعي السياسي للشعوب المتحررة وإيمانها بدور الثقافة دعامة لبناء اجتماعي حيوي أصيل ومتجدد .

وأيضاً لا بد من الإشارة إلى أن هذا المصطلح هو مصطلح تقريبي ليعطي معناه المحدد والمطلوب ، رغم أنه ليس هنالك في الواقع غزو فكري تام ، بالمعنى المعروف لكلمة غزو والذي يعني الهجوم الاكتساحي ، وفي أغلب الأحوال يتم الغزو الفكري بصورة اختراق أو تسلل ، ويعتبر الغزو الثقافي الفكري وليداً غير شرعي للغزو العسكري ، إلا أنه يختلف عنه تماماً ، بأن الغزو العسكري يضر بالغزاة أكثر مما يحقق أهدافهم فهو يحرك في الشعوب المغزوة عاطفة الولاء للدين والدفاع عن ثرى الوطن ويثير فيهم حسن العمل الجاد للاستقلال من التبعية للأعداء ، أما الغزو الثقافي فهو لا يعتمد المواجهة المسلحة أو استخدام القوة إلا أنه أفضل للغزاة فوسائل الغزو الثقافي ناعمة وخادعة ومحفوفة بالشهوات لذا فإن الاستجابة إليها أسرع وأكثر خلافا لوسائل الغزو العسكري [1] .

كما أن رجال الغزو العسكري معرضون للقتل لأنهم مكشوفون ، بينما أرباب الغزو الثقافي يختفون في الغالب عن مسرح العمليات ويعملون من خلال عملائهم من أبناء البلاد المغزوة في وضح النهار وتحت سمع القانون .

إن الغزو الثقافي قليل التكلفة مقارنة بالغزو العسكري ، ونتائجه أبعد وتبقى أجيالاً متأثرة به إلى زمن طويل ، لأن الغزو العسكري تنتهي آثاره بانسحاب قوات الاحتلال في حين يبقى أثر الغزو الثقافي قائماً في عقول وقلوب الناس وأن الناظر اليوم إلى حال الدول التي كانت قد تعرضت للغزو الثقافي في السابق نتيجة

---

(1)المرجع السابق ، ص ص38-39 .

للسيطرة الأوروبية يجدها تعيش في أزمة ثقافية ، فلا يزال منهجها في الحياة منسوخاً على المنهج الغربي[1].

ولا تزال عقول مثقفيها لا تدرك إلا النمط الثقافي الغربي وإن دل هذا على شيء فإنه يدل على أن الغزو الثقافي حقيقة وليس وهماً ، بل أن ما جرى في الماضي يمكن أن يكون أقل مما يجري في عالم اليوم ، حيث يزداد الغزو الثقافي نتيجة لثورة الاتصالات والمعلومات ليصل إلى الأعماق والبيئات المختلفة عارضاً أنماطاً شديدة التباين للحياة .

ويتمثل هذا المفهوم في الدور الذي قامت به القوى الاستعمارية التقليدية مثل بريطانيا وفرنسا وايطاليا في تحطيم الثقافة العربية ، ومحاولة إلغاء الثقافة العربية ومقاومتها والقضاء على مؤسساتها من أجل إكمال السيطرة العسكرية على المنطقة العربية وضمان استمرار الوجود الاستعماري فيها [2].

حيث عبر هذا المفهوم عن بداية الاتصال التاريخي بين الحضارة الغربية والحضارة العربية في العصور الحديثة ، والتي تمثلت في السيطرة الاستعمارية الغربية على الوطن العربي من خلال الغزو والاحتلال العسكري .

ويشير مفهوم الغزو إلى الطابع الحركي الذي يظير استمرار الآليات التي تحقق السيطرة وامتداد فاعليتها ، وكذلك قوة التغلغل الثقافي وكثافته مع فقدان المجتمع المغزو للقدرة على استيعاب الغزو والسيطرة عليه ، نتيجة ما أصاب هذا المجتمع من تدمير لحضارته واستلاب لثقافته ، بحيث وقف جامداً ومستسلماً للتغيرات التي تحدث في داخله[3].

الخلاصة أن الغزو الثقافي يأتي بمظاهر عديدة ذات الخطر الداهم ومن بين تلك المظاهر :

---

(1)المرجع السابق ، ص40 .

(2)أنظر المرجع السابق ، ص41 .

(3)نظام محمود بركات ، التبادل اللاستكافئ بين الثقافتين العربية والغربية ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، تصدر عن جامعة الكويت ، مجلس النشر العلمي ، ص144 .

1. محاولة إلغاء التراث التاريخي العربي كله في المنطقة .
2. تدمير الأسس التي تقوم عليها الثقافة العربية ، أو شل فعاليتها ، إيصالها إلى الحياد السلبي واللاجدوى (من لغة ، وأدب ، وتراث ، وصحافة ، ونشاط فني ، وتعطيل وسائل الثقافة نفسها من مدارس ، وجامعات ومساجد ومراكز ثقافية ، أو النزول بفاعليتها ونشاطاتها إلى الحد الأدنى) .
3. قطع اتصال الجماعات بتاريخها من جهة ، وبالمجتمعات العربية المجاورة من جهة أخرى ، وذلك من خلال تشويه صورة التاريخ العربي ، وذلك من خلال عرض فترات الهزائم وصور الانحطاط والهزأ بالدين .

(ب) الاختراق الثقافي :

في البدء لابد من القول بأن ليس هنالك فرق كبير بين الغزو الثقافي والاختراق الثقافي فكلاهما يسعى إلى تحقيق نفس الهدف ، وإن كانا يختلفان في الوسيلة ، فإذا كان مفهوم الغزو الثقافي قد أقترن بمرحلة السيطرة الأوروبية المباشرة على العالم ، فإن مفهوم الاختراق الثقافي قد أقترن بالتطور الثقافي في مجال الاتصالات والمعلومات حيث وجدت الدولة المالكة للثقافة نفسها اليوم أكثر قدرة على التأثير ثقافياً على الدول الأخرى وبالتالي إخضاعها من دون الحاجة إلى استخدام القوه العسكرية .

أي أن تخوض حروبها من بعيد دون أن تتعرض قواتها للخطر وأتاحت لها أن تنشر وتعمم نظام القيم لديها ، ومشروعها الحضاري من دون أن تحشد جيوش الاحتلال البلد المستهدف ، وبالتالي المغامر يدفع كلفة تحقيق ذلك الهدف ، فيرى ذلك بواسطة الثقافة وبأسلوب الاختراق الثقافي[1] .

---

(1) باسم علي خريسان ، مرجع سبق ذكره ، ص41 .

ويعرف الاختراق الثقافي كمفهوم علمي هو حركة انتقال الأفكار والعقائديات والقيم والعادات الغربية ، بشكل مكثف وغير مسيطر عليه إلى المجتمعات الأخرى والاختراق الثقافي كسياسة استراتيجية تنتهجها بعض الدول هو : التدخل في شؤون الغير بقصد التأثير في ثقافتهم وسلوكهم ومعتقداتهم ، تدخلاً كلياً أو جزئيا بمختلف الوسائل ، أما الاختراق الثقافي من حيث أساليبه وأدواته فهو مجموعة الأنشطة الثقافية والإعلامية والفكرية التي توجهها جهة أو عدة جهات نحو مجتمعات وشعوب معينة ، بهدف تكوين أنساق من الاتجاهات السلوكية والقيميه أو أنماط وأساليب من التفكير والرؤية والميل لدى تلك المجتمعات والشعوب ، بما يخدم مصالح وأهداف الجهة أو الجهات التي تمارس عملية الاختراق[1] .

وبما أن أجهزة الاستقبال والتقاط البث الإذاعي والتلفزيوني الفضائي قد استطاعت في الأونة الأخيرة الدخول إلى مجمل المنازل والبيوت ، بسبب انتشارها وكثافة تسويقها العالمي ورخصها كذلك ، فإن المادة الإعلامية الغربية والأمريكية بدأت فعلاً تصل إلى المتلقي في العالمين العربي والإسلامي دون حواجز تذكر ، بل بسهولة ويسر ، وهذا ما جعل الحديث عن الاختراق الثقافي يحل محل الحديث السابق عن الغزو الثقافي ، لأن وسائل مقاومة الغزو كانت متيسرة وأكثر فاعلية ، بحيث كان بمقدور المؤسسات الحكومية والأهلية أن تقاوم هذا الغزو أو تقف في وجهه أو على الأقل تخفف من آثاره السلبية ، كما كان بإمكانها في بعض المجالات أن تصد هذا الغزو [2].

إلا أن الوضع الآن قد أختلف كثيراً . فلم يعد بإمكان المؤسسات الحكومية أو الأهلية أن تقوم بالدور نفسه . ومما يزيد الوضع خطورة ، ارتباط هذا الاختراق أو العولمة الثقافية بتبني الخيارات الاقتصادية والسياسية الغربية . ومما لاشك فيه أن وسائل الإعلام الغربية والأمريكية تؤكد على ترابط هذه الخيارات في المجالين الاقتصـــادي

---

(1)المرجع السابق ، ص43 .

(2)ـــــــــ ، العولمة ، إصدارات الأهرام للبحث العلمي ، 9-3-2004 ،ص26 .

والسياسي مع ما تروج له من قيم ثقافية وسلوكات وأنماط عيش غربية ، وأذواق في الملبس والمأكل وصولاً إلى صياغة تفاصيل الحياة اليومية وكل ما يتعلق بها من شؤون تخص الفرد أو الأسرة أو المجتمع [1].

وهنا تكمن الخطورة فعلا ، لأن وسائل الإعلام وخصوصا الإنتاج السينمائي الهوليودي يسعى بجد وقوة لنشر وترويج قيم المنافسة وتمجيد القوة ، والتأكيد على الفردانية ، ونشر ثقافة الاستهلاك ، والدعوة إلى تحرير الرغبة الإنسانية من كل القيود وإبعاد كل ما هو غيبي عن حياة الإنسان .

وبالتالي تقدم للإنسان أهدافا جديدة تتمحور حول السعي الحثيث لتحقيق الرغبات الشخصية دون اعتبار لقيم الحق أو العدل كما بشرت بها الأديان .

وبما أن هذه المادة الإعلامية بدأت تطرق باب الإنسان وتشاركه خلواته دون رقابة أو تمحيص، فإن آثارها المدمرة قد بدأت تظهر وتنتشر داخل الأوساط الاجتماعية فعلا فظواهر التفسخ الأخلاقي والتفكك الأسري ، وظهور جرائم لم يكن المجتمع العربي والإسلامي يعرفها وغيرها من الظواهر الغربية، دليل على أن هذا الاختراق بدأ يؤتي أكله [2].

- ويتضمن مفهوم الاختراق الثقافي أياً كانت وجهة النظر إليه الأبعاد والعناصر التالية [3]:

1. تبعية ثقافة الدول المستقبلة لثقافة الدول الباثة ، واعتمادها عليها اعتماداً بنيوياً في إنتاج القيم والمعاني والأفكار والمعارف التي تحتاج إليها مجتمعات هذه الدول المستقبلة سواء كان ذلك بسبب تفوق الثقافات (المخترقة) في مقدرتها على مثل هذا الإنتاج ، أو بسبب انعدام الثقة بالنفس لدى الثقافات المستقبلة .

---

(1)المرجع السابق ، ص27.

(2)المرجع السابق ، نفسه .

(3)نسم على خويسان ، مرجع سبق ذكره ، ص43 .

2. سيادة الشعور بالتفوق والاستعلاء لدى الدول البائة ، والنقص والدونية لدى الدول المستقبلة .

3. تشجيع نمط عالمي موحد للسلوك الاستهلاكي ، فتحت شعار الجديد دائماً يتم استيراد أخر التقليعات الأمريكية وفي كل يوم يرمى القديم في المزبلة ليحل محله الجديد المربح تجارياً للدول الغازية .

4. وضع العقبات أمام الجهود التي تبذلها الدول النامية لتثبيت دعائم استقلالها السياسي والثقافي ، ولضمان سيادتها .

5. تعطيل الإرادة الوطنية للدول التابعة ثقافياً وفقدانها السيطرة على إعادة تكوين ذاتها أو تجددها.

وبما أن الإجراءات لوقف هذا الاختراق أو مواجهته ، أكثر صعوبة وأشد تعقيدا ، فإن المادة الإعلامية والثقافية الغربية لا تجد إلى الآن صعوبة للوصول إلى عقل المتلقي خاصة في العالمين العربي والإسلامي وقد بدأت فعلاً صياغة الأذواق والاهتمامات والأهداف ، وبالتالي فنحن أمام عولمة أو أمركة حقيقية في طريقها للتوسع والتغلغل والانتشار ، ولا أحد يعرف إلى أين ستصل ، وما هو الحجم الحقيقي الذي ستأخذه تداعياتها السلبية على الهوية الحضارية للأمة العربية والإسلامية [1].

(ج) الهيمنة الثقافية :

تعرف الهيمنة بشكل عام بأنها علاقة اقتصادية سياسية عسكرية معقدة تخضع من خلالها أقطار متخلفة لأقطار متقدمة ، وهي بالتالي تعني ممارسة نفوذ دول كبرى على دول صغرى ، ويتم أنصار هذا المفهوم في المقام الأول بالثقافة المسيطرة وأهمية العوامل الخارجية ، وهي الفاعل وتكون العلاقة عبارة عن هيمنة تمارسها ثقافة متقدمة ومسيطرة على ثقافة متخلفة وتابعة ، بحيث تحتل الثقافة المهيمنة مواقع أساسية

(1) ـــــــ ، العولمة ، إصدارات الأهرام للبحث العلمي ، 9-3-2004ص27 .

في الثقافة المتخلفة من خلال فرض قيمها وأنماطها السلوكية على الآخرين[1].
وتعرف الهيمنة الثقافية بأنها هي جميع العمليات التي تستخدم لإدخال مجتمع ما إلى النظام العالمي الحديث واستمالة الطبقة المهيمنة فيه والضغط عليها وإجبارها ورشوتها أحيانا كي تشكل المؤسسات الاجتماعية في اتساق مع قيم المركز المهيمن في النظام وبنائه أو حتى الترويج لها .

ويعد أنصار هذا المفهوم عملية تصدير العادات والقيم الأمريكية الاستهلاكية إلى الدول الأوروبية والعالم الثالث من خلال استخدام وسائل الترغيب والإغراء ، وتقديم هذه الأنماط السلوكية من خلال وسائل الإعلام ، كنمط من أنماط الإمبريالية الثقافية التي تمارسها أمريكا على هذه المجتمعات وغيرها ، وأن انتشار الثقافة الأمريكية هو تعبير عن تطور ميزان القوى السياسي والاقتصادي لصالحها ، وأن انتشار الثقافة لا يمكن اعتباره مقياساً لمدى صلاحية هذه القيم وتقدمها الأخلاقي والمعنوي ، وإنما هو نتيجة للقدرة الأمريكية الاقتصادية والسياسية التي تسمح لها بتسويق ثقافتها من خلال وسائل الإعلام .

وتأتي مرحلة الهيمنة في مرحلة وصلت فيها تكنولوجيا الاتصال إلى درجة كبيرة من التطور ممثلة في البث المباشر في فترة يكثر فيها الحديث عن نظام عالمي جديد تقوده الولايات المتحدة الأمريكية والتي يعتبرها الكتاب المخطط والمستفيد الرئيسي من الهيمنة الثقافية [2].

إن تكنولوجيا الاتصال المتقدمة كانت هي البديل الذي لجأت إليه الولايات المتحدة لضمان إستمرار سيطرتها على الشئون الدولية الثقافية والاقتصادية بعد أن بدأ فرض القيود على حرية تدفق المعلومات .

---

(1)نظام محمود بركات ، مرجع سبق ذكره ، ص145 .

(2) مختار التهامي ، السياسة الدولية ، العدد116 ،1994 ، ص301 .

وبهذا فإن التكنولوجيا ليست فقط أداة لتحقيق الهيمنة الثقافية ، وإنما تجسيد لها نظرا لتأثيرها على أسلوب العمل والحياة في المجتمعات مما يجعل الدول النامية المستوردة لتكنولوجيا من الدول الرأسمالية لا تستورد تكنولوجيا فحسب ، وإنما نمطا للحياة أيضاً.

إن العلاقة الترابطية بين النظام الرأسمالي العالمي المعاصر وبين الهيمنة الثقافية جعل الهيمنة الثقافية وليدة هذا النظام وفي الوقت نفسه وسيلة لتدعيمه وضمان استقراره[1].

وقد استخدمت الدول المهيمنة في هذه المرحلة مجموعة من الآليات التي وظفتها لضمان استمرارية هيمنة الثقافة الغربية على الثقافات الأخرى نذكر منها[2] :-

- احتكار التقنية وتشغيلها والسعي لزرع أنماط مفروضة على الثقافات الأخرى وهي ليست مسألة تقانه فحسب ، وإنما ترتبط أيضاً بفلسفة معينة وقيم ومعرفة ومصالح .
- توجيه الفكر والعلم التنموي لتأكيد تفوق الحضارة الغربية ، وأنها النموذج الذي يحتذي مع التشكيك بالذات وجعله سبب التخلف للثقافات الأخرى ، والقيام بدراسات نظرية لإعطاء الشرعية اللازمة للثقافة الغربية .

وفي هذا الإطار يربط (شيلر) بين النظام الرأسمالي العالمي المعاصر ، الذي تعتبر الشركات متعددة الجنسيات وحدته التنظيمية الأساسية وبين الهيمنة الثقافية حيث يرى أن سعي هذه الشركات الدائم وراء الربح له تأثير اجتماعي على المناطق التي يصل إليها نشاطها لأن الربح يتطلب تحقيق إزالة كافة القيود القانونية التي تفرضها الدول الوطنية مما يستلزم تحقيق تأثير ثقافي معين على هذه المجتمعات [3] .

---

(1) أنظر المرجع السابق ، ص302 .

(2) نظام محمود بركات ، مرجع سبق ذكره ، ص148 .

(3)مختار التهامي ، السياسة الدولية ،العدد 116 ، 1994 ، مرجع سبق ذكره ، ص301 .

ويعدد (شيلر) الوسائل ، والأساليب المستخدمة لفرض الهيمنة الثقافية ويأتي على رأسها :

- وسائل الإعلام ذات الطابع التجاري والتي تبث المواد المنتجة في المراكز الرئيسية وما يحاكيها من مواد منتجة محليا .
- يعتبر تنظيم المدارس والمعاهد في بلدان العالم الثالث وفقاً للنمط الأمريكي من أهم مهام وكالة التنمية الدولية "الأمريكية" وتعاونها في ذلك الجامعات الأمريكية .
- تنظيم البحث العلمي على مستوى العالم ، حيث يتم تحديد مجالات البحث العلمي وفقاً لاحتياجات واهتمامات مراكز القوى في الدول المتقدمة .

إن التزامن التاريخي بين ظهور الدعوة إلى إزالة القيود أمام تدفق المعلومات بين الشعوب وبين صعود القوة الأمريكية في نهاية الحرب العالمية الثانية ، ثم بروز الولايات المتحدة اليوم بإعلان النظام العالمي الجديد محتلة مجال القطب الواحد الذي فرضت من خلاله هيمنتها على العالم ، ظهرت الهيمنة الثقافية الذي وصل إلى حد التدخل في تغيير المناهج التعليمية التي لا تتوافق والثقافة الأمريكية لضمان الهيمنة الثقافية على الدول الصغيرة وكذلك العمل على احتواء الدول الثقيلة والمؤثرة فيها [1].

وفي هذا الإطار يؤكد الباحث على أهمية حفاظ الدول العربية على سيادتها الثقافية باعتبارها الطريق الوحيد لتحقيق الاستقلال الحقيقي والفكاك من الهيمنة الثقافية ويتحقق ذلك عن طريق الاعتماد على الذات وذلك من خلال توحيد الجهود العربية والتمسك بثقافتها الأصيلة .

---

(1)المرجع السابق ، نفسه .

(د) الصراع الثقافي :

إن تعبير الصراع الثقافي يستعمل كتعبير التفكك الاجتماعي للإشارة إلى القواعد والظروف الاجتماعية التي تتصف بالتناقض وعدم الانسجام في أنواع الضغوط الاجتماعية التي تواجه الفرد في الجماعة ، وللصراع الثقافي صورتان هما صورة الصراع الداخلي والذي يكمن في المجتمع نفسه نتيجة لتعدد الثقافات والاتجاهات وغالباً ما يكون ذلك الصراع بين الثقافة الأصلية العامة لمجتمع معين وبين الثقافات الجزئية.

أما الصورة الثانية ، فهو الصراع الثقافي الخارجي ، وهو تعارض بين ثقافة مجتمعين بسبب توافر ظروف ساعدت على ذلك ومنها السيطرة الاستعمارية على الشعوب الأخرى واختلاف ثقافة البلد المستعمر عن ثقافة البلد الذي استعمره ، كما حدث للجزائر عندما خضعت للسيطرة الفرنسية ، وكذلك يحدث هذا الصراع في عمليات الهجرة حيث تتعارض الثقافات[1].

ويظهر الصراع الثقافي في حالة التعارض الكامل بين الثقافات المتفاعلة ، وحين تتعلق الأمور بمقومات الثقافة الأساسية ، بحيث يسعى كل طرف للقضاء على ثقافة الطرف الآخر ، وحينها يكون أي نجاح لطرف خسارة مباشرة للطرف الآخر وتؤدي هذه العلاقة إلى شعور بالكراهية والمرارة بين الطرفين ، وغالباً ما تأخذ صورة العلاقة بينهما طبيعة عنيفة ، يحاول فيها كل طرف استخدام القوة لفرض ثقافته وقيمه على الطرف الآخر ، ويحاول استنهاض الرموز القتالية في ثقافته لحشد القوى ، ويعبر عن هذا المفهوم في الكتابات الغربية المعاصرة ما نشره صموئيل هانتينغتون عن صراع الحضارات وإمكانية وجود تحد للحضارة الغربية[2].

---

(1)الجديد للعلوم الإنسانية ، مجلة علمية محكمة تصدر عن شعبة الترجمة والنشر بالمركز القومي للبحوث والدراسات العلمية ، عدد ممتاز 1+2 ، 1997 ، الجماهيرية ، ص108 .

(2)جيهان سليم وآخرون ، مرجع سبق ذكره ، ص170 .

الصراع الثقافي زاد تعقداً بعد سقوط الاتحاد السوفيتي سابقاً ، وبعد التبشير بولادة نظام عالمي جديد ، إذ سادت العولمة بمعناها الضيق الوحش بدلاً من النزعة العالمية للإنسانية وطغت على شتى جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وسارت في طريق يعرض مصير الثقافات الإنسانية لمخاطر الذوبان أو الإمحاء أو التآكل[1].

(هـ) الحوار الثقافي :

يضم الوعاء المعرفي للمنطق قواعد للتفكير الصحيح والاستدلال السليم من قضايا ومقدمات صحيحة ،ينجم عنها تشكيل نظريات صائبة وقضايا هامة ، أو تشكيل حوار صحيح بناء وفكر متحضر ناضج واع يتفق مع العقل السليم، والحوار نوعان أحدهما سلبي والآخر ايجابي ، أما السلبي فهو حديث مقتول صامت وصادر على فشله لأنه غير مثمر ، حيث لا يتفق طرفاه على رأي صحيح أم خاطئ ، وقد يجرى موضوعه خارج نطاق حاجة المتحاورين جميعهم أو قد يفوق قدرات المتحاورين وعندئذ لا يعيره أحد اهتماما ولا يفهم له نتيجة ويظل معلقاً مستعصياً على المناقشة والحوار أو الفهم أو التداول بين الثقافات ومن ثم لا ينتج عنه نصح أو استشارة أو استفادة فيؤدي إلى الجهل الشامل والغموض التام والشرود والبعد عن الحقائق وزيف المعلومات والتفكير المنغلق [2].

وسيكون الحوار السلبي قائماً على الاختلاف الشديد في الرؤى ووجهات النظر فيؤدي إلى طريق مسدود في الحوار ناتج عن سوء التصرف وعدم التنظيم والوعي باختلاف الثقافات فيؤدي كل ذلك إلى ما يسمى بالمعرفة السلبية في الحوار والخروج منه بعدم معرفة وسوء تفاهم وكثرة الجدل والفشل في بناء مفهوم أو تأسيس فكرة على الأقل منطقية منظمة للحوار .

---

(1)مجلة المستقبل العربي ، مرجع سبق ذكره ، ص26 .

(2)نصر محمد مرسي ، الدور المنطقي للحوار في بناء المفاهيم والأفكار ، مجلة المحاق ، تصدر عن جامعة عمر المختار ، البيضاء ، العدد الخامس ، 2005 ، ص72 .

أما النوع الثاني من الحوار فهو الحوار الايجابي وينعكس فيه دحض سلبيات النوع الأول وبسبب تناقضاته ، وهذا يعني أنه يقبل الموضوع المطروح للمناقشة بصفة مبدئية وإجراء حوار عقلاني موضوعي قائم على طرح المشكلة من وجهات نظر متعددة مختلفة وبحث مفاهيم متنوعة والتعرف على أنواع وأشكال متعددة متشعبة من المعلومات فيتناول كل طرف ما يتفق مع الزاوية التي يراها مناسبة ويترك الحوار مفتوحاً لأفكار جديدة تتصل بمضمون ومفهوم الموضوع المطروح للتداول بين الثقافات ومن ثم تكون المحصلة معرفة جديدة ومفاهيم متنوعة وأفكاراً ورؤى بنائية فاعلة كثيرة ومتعددة وحلولاً متناسبة تتناسب مع الثقافات ، وهذا يعني أن للحوار دوراً أساسياً للمعرفة وبناء الأفكار وتنظيم التصورات الذهنية وتنشيط ملكة الفهم وتعقل الأمور ، وذلك لأن الحوار المنطقي وسيلة هامة للاتصال والتفاهم بين البشر أنفسهم وفيما بينهم وبين الأخر[1] .

لقد كانت الثقافة العربية في تاريخنا الأطول ، ثقافة حوار وتعاون وكانت بحكم الموقع الجغرافي للبلاد العربية منطقة لقاء الثقافات وامتزاجها كما كانت بحكم طبيعة العرب المنفتحة أخذاً وعطاءً بين بحري الحضارات القديمة الأساسيين : البحر الأبيض المتوسط والمحيط الهندي ثقافة تعاون وتفاهم بين الشعوب ، ومع التطور الفائق السرعة الذي حققته التقنية في مجال الاتصال بين الأمم والشعوب لم يعد الحوار والتعاون ممكنين فحسب ولكنه جعليما لزاميين أيضا يضاف إلى هذا أن الثقافة تنمو وتزدهر كقيمة في الحضارة الإنسانية بقدر تفاعلها مع الثقافات الأخرى وبما تقدمه لتفاهم الشعوب وتعاونها من إسهام إغناء الحضارة .

ونحن إذ نرى اليوم وأكثر من أي وقت مضى الحوارات العلمية والدينية والثقافية بين مثقفين وأكاديميين وعلماء دين وساسة من الشرق والغرب يطرحون أفكاراً ويتحاورون في كيفية حماية الخصوصية الوطنية والقومية والثقافية والانفتاح العالمي على الحوار بين الحضارات والشعوب والأمم المختلفة ومع نبذ الريبة

---

(1) المرجع السابق نفسه .

والتشكيكية حيال الآخر وإهمال فكرة الصراع والتحول إلى فكرة الحوار[1] .

فقد نرى جماعات تعيش على أرض واحدة وكان التأثر والتأثير متبادلاً ، فإما أن يأخذ واحد اللغة ولا يأخذ الدين ، أو يأخذ بعض العادات ويترك أخرى ، وتبقى هذه الثقافات متمايزة على الرغم من مرور مئات السنين على الاحتكاك[2].

ومع تداخل الإحداث التاريخية العالمية وتسارعها في التطور التكنولوجي في ثورة الاتصال وانتهاء الحرب الباردة وخفض حدة التوتر الدولي بين الاتحاد السوفيتي "سابقاً" والولايات المتحدة و الغرب بشكل عام ظهر هانتنغتون بنظريته عن صدام الحضارات المحتوم وأن هذا المفهوم الذي طرحه والنظرية التي تحدث بها هانتنغتون عن صدام الحضارات قد زاد أوهام الخوف إلى حد جعل من المصطلح الجديد واحداً من مفردات السياسة العالمية ، ولما كانت الثقافة العالمية المسيطرة في الظروف الراهنة هي إحدى ثقافات الغرب نتيجة شعورها بالقوة ونتيجة استقلالها السياسي وتوافر وسائل الهيمنة لديها على ثقافات الغرب الأخرى فإن من المصلحة الثقافية توجيه حوارها وتعاونها الدوليين في الثقافة على نحو يهدف إلى تغيير هذه المفاهيم عالمياً بحيث يؤدي إلى إنشاء نظام عالمي جديد يمكن شعوب العالم كلها من إزالة السيطرة والاحتكار والاستلاب فيقيم العلاقات الثقافية الدولية على قاعدة متينة من المساواة والندية وذلك كله بالتعاون والحوار والتفاهم بين ثقافات العالم المختلفة . وبما أن الثقافة العربية مرتبطة بجذورها العربية المستمدة من الدين الإسلامي الحنيف والموروث التراثي العريق وأن أصل الثقافات قد تشكل من المعتقدات الدينية وكما أن إثارة صدام الحضارات جاءت من منطلق ثقافي ديني حضاري فالدين الإسلامي دين يدعو إلى التسامح والتعايش والمساواة وهو معتدل ولا يسعى لطمس الآخر وإنما التعايش معه في جو من الحوار والتعاون البناء في خدمة البشريةوتقدمها وتطورها[3]

---

(1)حسن عبدالله العايد ، أثر العولمة في الثقافة العربية ، مرجع سبق ذكره ، ص90 .

(2)كميل امبارك ، العولمة من الناحية الثقافية ، المصدر الحياة ، الاهرام 2004 ، رقم العدد 14571 ، 2003 ، ص136 .

(3)حسن عبدالله العايد ، أثر العولمة في الثقافة العربية ، مرجع سبق ذكره ، ص ص90-92 .

ولكن مع الكم الهائل والتدفق الذي يعرض بشكل لا يخلو من نشر أخبار أو ربط أحداث سلبية بصورة أو بأخرى بالإسلام والملامح العربية فارتباط هذه الملامح بالثقافة العربية بشكل عام يعزز صورة العرب والمسلمين السلبية لدى الآخر ويكمن سر وجود الصراع الثقافي في طبيعة الدولة المهيمنة على العالم وهي الولايات المتحدة الأمريكية التي تتحكم في مصادر القوة الاقتصادية والعسكرية في العالم وفي الوقت نفسه تخلو من البعد الحضاري الإنساني مما يمنع انتشار ثقافتها ويزيل فرص الحوار معها ولا يبقى أمامها إلا فرض ثقافتها بالقوة لتغيير أنماط حياة الشعوب ودفع العالم نحو قانون البقاء للأقوى وليس للأصلح[1] .

والخلاصة فإن ما ورد يدل بشكل واضح بأن الحضارات والثقافات الأخرى الموجودة في العالم وكما تم طرحه آنفاً بالنسبة للحضارة العربية الإسلامية تسعى للحوار مع الثقافة والحضارة المسيطرة على أدوات العولمة من أجل إيجاد أرضية مشتركة تحترم فيها كل ثقافة الأخرى وتحاول الاستفادة من الايجابيات الموجودة لدى الثقافات الأخرى من أجل تدعيم وتوثيق لمسرى التعاون البناء بين الحضارات ، فهل تسمح ثقافة العولمة بالعمل على حوار مع الثقافات الأخرى ؟

(و) التبادل الثقافي :

يؤدي الاحتكاك بين ثقافتين إلى تبادل ثقافي ، وذلك يعني أن كل ثقافة تنقل بعض السمات الثقافية إلى الكيان الثقافي الآخر ، وتقوم في الوقت نفسه بعملية استيراد ثقافي ، وفي كل الحالات الثقافية الضعيفة قد تتعرض جزئياً أو كلياً لعملية تفكك وانهيار ثقافتين[2].

---

(1)المرجع السابق ، ص95 .

(2)جيهان سليم وآخرون ، مرجع سبق ذكره ، ص42 .

ويقصد بالتبادل الثقافي ذلك النشاط الذي يعبر عن تفاعل الحضارات والثقافات بما فيها من تأثر وتأثير طبيعي وضروري بين الثقافات البشرية ، ويقوم التبادل الثقافي بين الأمم على أساس الحوار المبني على الاعتراف بأن لدى الآخرين ما نتعلمه منهم وأن لدينا ما نعلمه للآخرين ، ويركز أنصار التبادل الثقافي على أهمية ومساهمة الحضارات والثقافات كافة بغض النظر عن مدى تطورها أو تخلفها في الثقافة الإنسانية .

أن عملية التبادل الثقافي لدى المؤمنين بها تنبع من الإيمان بأهمية التلاقح بين الثقافات وأن هناك منافع متبادلة للجميع انطلاقا من مبدأ عالمية الثقافة ، وأن انتقال الأفكار والقيم والمكتسبات الإنسانية لا يمكن وقفه من خلال الحواجز السياسية والحدود الجغرافية ، وأن هذا الانتقال يسمح بتعميم التطور العلمي والفكري وإخصاب الوعي البشري لدى جميع الشعوب لدفع الحضارة البشرية نحو التقدم [1].

إن العالم أضحى قرية صغيرة ، كما يوصف اليوم ، من خلال القدرة على انتشار الثقافات وتبادل المعرفة ، ولكن في الوقت نفسه يجب التسليم بأن هذه القرية هي قرية متعددة الحضارات تساهم فيها كل الثقافات الحية بدورها ، فالمجتمعات الغربية على رغم تقدمها عجزت عن حل مشاكل الإنسان حتى داخلها ، وهي ستبقى فقيرة في المجال الثقافي ، وبحاجة إلى دور الثقافات الأخرى ، مثل الثقافات الشرقية التي يمكن أن تزودها بالدين والروحانية من الحضارات العربية والإسلامية والهندية وحتى بالعلم من الحضارة اليابانيه [2].

وفي المقابل ، هناك اتجاهات كثيرة تتحفظ على عملية التبادل الثقافي وتشترط مجموعة من الشروط والظروف الملائمة لعملية التبادل الثقافي، ومنها أن عملية التبادل الثقافي يجب أن تتم في ظل حالة من تكافؤ الأطراف التي يتم التبادل الثقافي بينها حتى تكون عملية التأثير متبادلة .

---

(1)نظام محمود بركات ، التبادل اللامتكافئ بين الثقافتين العربية والغربية ، مرجع سبق ذكره ، ص142 .

(2)المرجع السابق ، ص143 .

وفي الحالة العربية ، يحبذ كثير من المفكرين أن يتم تبادل التأثيرات الثقافية مع الثقافات غير الاستعمارية ، مثل الثقافة الهندية والصينية واليابانية .

إن عملية التفاعل الثقافي مرهونه أساساً بفهم الذات الثقافية كمقدمة لفهم الآخرين ، فهي عملية تتعلق بالمستقبل والتجدد والقدرة على الإفادة من الآخرين من خلال الدراسة المتأنية لنقاط القوة والضعف في الأطراف التي يتم بينها التفاعل . وأن العملية يجب أن تخضع للانتقائية من الحضارات الأخرى مع الاحتفاظ بخصوصية الثقافة المحلية ، وأن الشرط الأكثر تكراراً واضطراراً في التجارب الناجحة الخاصة بالتبادل الثقافي ناتجة من التقارب والتكامل بين الخصوصية الحضارية والعقل ، وبين السلوك الرشيد والانتماء الحضاري ، أي أنها عملية توفيق بين المشاعر والعواطف القومية من ناحية والإنسانية من ناحية أخرى .

وبالتالي ، فإن كثيراً ممن تكلموا على التبادل الثقافي ينطلقون من مبدأ عدم تكافؤ عملية التبادل الثقافي ، وأن عملية الاتصال الثقافي بين المجتمعات الغربية المتقدمة والمجتمعات الأقل تطوراً ، كالمجتمع العربي ، تنبع من تصور محدد يفترض أن على المجتمعات المتخلفة الاحتكاك والتواصل والأخذ من الثقافة الأكثر تطوراً ، وذلك لتحقيق التقدم البشري إتباعا لسنن التطور التاريخي ، حيث لم يوجد هناك مجتمع يقوم بنفسه بإتقان كل خطوة من خطوات الاختراعات والتقدم ، وبما أن الثقافة الغربية هي الآن على قمة التطور البشري ، فما على الثقافات الأخرى إلا الأخذ والتفاعل معها لتلحق بالركب الحضاري ، وبالتالي فليس هناك داع لتكافؤ الحضارات[1] .

وينطلق آخرون في الاتجاه نفسه من خلال التسليم بأن نجاح الحضارة الغربية إنما يرجع أساساً إلى صحة إيديولوجيتها وثقافتها ، وأن على الآخرين الأخذ بهذه الثقافـــة

---

(1)جيهان سليم وآخرون ، مرجع سبق ذكره ، ص160 .

لضمان نجاحهم ، ولذلك آمن كثير من المفكرين الغربيين بأهمية تصدير ونشر الثقافة (Acculturation) إلى مختلف الأطراف في العالم ، وأن عملية تصدير الثقافة تختلف عن عملية استيعابها من الطرف الآخر في أنها لا تعبر عن مدى صحتها .

وقد حذر نوثروب في بداية الخمسينيات من مغبة الاتجاه الأمريكي نحو فرض الثقافة الأمريكية على المجتمعات غير الغربية ، و في الاتجاه نفسه ظهرت دعوات في الثقافة الغربية نحو التعاون والتحالف مع الثقافات الحرة ، مثل الهندوسية والبوذية والإسلامية في الصراع ضد الإلحاد الذي كان يمثله المعسكر الشيوعي[1] .

(1) المرجع السابق ، ص161 .

المبحث الثالث

الجانب الثقافي للعولمة

تمهيد

تتمثل مظاهر العولمة على الصعيد الاجتماعي والثقافي في تزايد انتشار بعض أنماط القيم الثقافية والسلوكية الاجتماعية الغربية المرتبطة بالملبس والمأكل والتسلية والفن ، وقد أسهم التقدم في مجال الإعلام والاتصال في نشر هذه الأنماط وبغض النظر عن مدى قبول أو رفض هذه القيم من قبل الأفراد والجماعات في المجتمعات غير الغربية ، إلا أن بعضها بدأ يأخذ طريقاً عالمياً يتجاوز حدود الدائرة الجغرافية والحضارية التي أفرزته ، فقد أفرزت العولمة عالماً وصل فيه الاغتراب عن القيم إلى حد أدى إلى نشوب بعض الصراعات الثقافية ؛ وسوف يتناول الباحث الجانب الثقافي للعولمة وفق التالي :

أولاً تعريف البعد الثقافي للعولمة :

تمثل العولمة تحديا ثقافيا غير مسبوق ، تحدي ذو طابع ارتقائي خاص قائم على الاجتياح الثقافي ، اجتياح لفرض ثقافة العولمة وهي ثقافة أنتجها الإنسان واستهلكها الإنسان ، وأثمرت ثقافة عالمية كونية جديدة ، وهي مزاج ونتاج الفكر الإنساني ، متعدد الروافد ، ومختلف المصادر ، إلا أنه مع العولمة بدأ يمتزج ويختلط وينصهر في بوتقة واحدة ، وهي بوتقة العولمة ، وأصبح هذا الفكر وتلك الثقافة قادرة على النفاذ والدخول عبر الأبواب ، واجتياح الحدود والأسوار ، ويتم هذا الاجتياح على ثلاث محاور هي[1]:

المحور الأولى : تفقد الدول الصغيرة خصوصية ثقافتها تحت ضغط الاجتياح الثقافي العالمي ، وتبدأ في التخلي بالتدريج عن خصائصها الثقافية التي تذوب في قوام الثقافة العالمية ، وهي مرحلة دقيقة حيث يتم بناء تيار ثقافة العولمة على قواعد أرتكازية من ثقافة الشعوب ، والتي يذوب ناتجها الثقافي في هذا التيار وفي نطاق آلية تعمل على استلاب الثقافات المتعددة لصالح الثقافة العالمية الواحدة ويتم عمل آليات ثقافية لجعل الموروث الثقافي لهذه الدول مجرد تراث حضاري

---

(1) محسن أحمد الخضيري ، مرجع سبق ذكره ، ص44 .

له خاصية النبراس المضيء الذي يضيء ويهدي إلى الطريق السليم ، لكنه لا يفرض على العولمة هويته ، بل يستجيب تدريجياً وطوعية لاتجاهاتها .

المحور الثاني : حدوث الانقسام والتفكك والتشرذم الداخلي ، وظهور الشروخ والتصدعات الثقافية والحضارية ، وظهور الثقافة الوطنية في صورة باهته ، عاجزة عن تقديم التصورات ، وعن تقديم الشخصية الراقية ، في الوقت الذي تظهر فيه ثقافة العولمة الارتقائية ، وإن لديها القدرة والمثل والنموذج الأفضل للثقافة الإنسانية.

المحور الثالث : ظهور روابط وجسور وأدوات تحليلية مهمتها الرئيسية إيجاد معايير قيم تعمل كمعابر وجسور يتم العبور عليها إلى الثقافة العالمية والوصول بالفكر الوطني الذي أصبح الفكر الثقافي العالمي إلى أرجاء المعمورة ؛ ومن ثم يحدث نوع من التواجد الثقافي للثقافة الوطنية عبر نوافذ ومنافذ وجسور العولمة ، ويصبح تيار العولمة الثقافي اختياراً من الأفضل إلى الأفضل، بل أبقى عليها وساهم في تحولها من نطاقها المحلي الضيق إلى آفاقها العالمية الواسعة .

إن تأثير العولمة الثقافية غير محدود ، بل أنه أمر قد يكون مغايراً تماماً لما يمليه من توحيد بين عدة حقائق متباينة ؛ وبين عدة اتجاهات مختلفة ، وعلى الجميع أن يقبل دعواها ، وأن يقبل ويوافق على آرائها ، وقبولها كحتمية ، فهي وفقاً لدعاوى العولمة نتاج كل الثقافات.

حيث يعبر هذا البعد عن إيجاد ثقافة كونية تحتوي على منظومة تحتوي على العالم أجمع وتساعد القنوات الفضائية والانترنت في تسويق الثقافة وترويجيا على نطاق العالم بالإضافة إلى زيادة التفاعل الثقافي بين الشعوب والمجتمعات وإلى تنامي ترابطها واتصالاتها [1].

وبالتالي فإن العولمة الثقافية تنطلق من قدرة الثقافات الأقوى تكنولوجيا على الانتشار والسيطرة على الثقافات الأضعف تكنولوجيا ، مهما كان نوع هذه الثقافات حتى وإن كانت مدمرة ، لأن التكنولوجيا تلعب دوراً بارزاً ليس على نطاق محلي فحسب وإنما على نطاق عالمي أيضاً ، والعولمة الثقافية بصورة أكثر

---

[1] فاروق السيد عثمان ، سيكولوجية العولمة ، ط1 (القاهرة ، دار الأمين للنشر والتوزيع ، 2003) ص44 .

توضيحاً هي: محاولة دولة ما أو مجتمع ما تعميم نموذجه الثقافي لدى المجتمعات الأخرى من خلال التأثير على المفاهيم الحضارية ، والقيم الثقافية والأنماط السلوكية لأفراد هذه المجتمعات بوسائل سياسية واقتصادية وثقافية وتقنية متعددة [1]، بهدف إيجاد ثقافة عالمية تحتوي منظومة من القيم والمعايير لفرضها على العالم أجمع [2]

وتعرف العولمة الثقافية بأنها فعل اغتصاب ثقافي وعدوان رمزي على سائر الثقافات ، وبالتالي فهي رديف الاختراق الذي يجري بالعنف المسلح بالتقانة فيهدد سيادة الثقافة في سائر المجتمعات التي تبلغها العولمة ؛ وبالتالي فهي السيطرة الثقافية الغربية وهي التتويج التاريخي لتجربة جديدة من السيطرة ، بدأت منذ انطلاق عمليات الغزو الاستعماري منذ قرون ، وحققت نجاحات كبيرة في إلحاق التصفية بثقافات جنوبية عديدة ، وخاصة في أفريقيا والمنطقة العربية[3].

والعولمة الثقافية هي محاولة مجتمع ما تعميم نموذجه الثقافي على المجتمعات الأخرى، وذلك من خلال التأثير على المفاهيم الحضارية والقيم الثقافية والأنماط السلوكية لأفراد هذه المجتمعات من خلال ديناميه الاختراق الثقافي واستعمار العقول واحتواء الخبراء وربط المثقفين بدائرة محدودة ينشدون إليها بصورة بعيدة عن أعمال العقل التفاعلي للذات وإبقائه في سياق الأداة الوظيفية التيسيرية المحضة[4] .

ويختلف نمط العولمة الثقافية عن غيره من الأنماط العولمية المدعومة بمجموعة من الثوابت المادية على اعتبار أن الثقافة تمثل خاصية أساسية من خصائص المجتمعات على تباين وضعيتها الحضارية ، وترتبط بالعديد من العناصر الحيوية الفاعلة مثل : العادات والتقاليد والأذواق وطرائق التفكير والأساليب الممثلة للطابع المجتمعي العام .

---

(1) انظر محمد عمر الحاجي ، عولمة الإعلام والثقافة ، ط1 (دمشق ، دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع ، 2002) ص107 .
(2) عاطف السيد ، مرجع سبق ذكره ، ص61 .
(3) محمد عمر الحاجي ، مرجع سبق ذكره ، ص145 .
(4) المرجع السابق ، ص107 .

وترتبط دلالات مفهوم العولمة الثقافية بتمدد التداخل الثقافي العالمي بشكل يؤدي إلى نشأة كيان عالمي من التفاعل والتبادل الثقافي المتواصل في إطار سلسلة من التدفقات الثقافية ، أولا : بإفراز تجانس ثقافي وفوضي ثقافية في آن واحد ، وذلك بربط جيوب من الثقافية المتجانسة نسبياً بعد أن كانت منعزلة . وثانياً: بإفراز ثقافات عابرة للقوميات وهو ما يعد ثقافات . ثالثاً: أصيلة تتجه إلى ما وراء الحدود القومية ، بينما ترتبط العولمة الثقافية على مستوى اتجاه آخر بأنها ليست الانتقال من حقبة أو من ظاهرة الثقافات الوطنية والقومية إلى ثقافة عليا جديدة هي الثقافة الكونية [1].

والعولمة الثقافية تؤدي إلى الانقسام والتفكك وإحداث شروخ في الأبنية الثقافية للشعوب فضلاً عن محاولة طمس معالم الثقافة الوطنية أو إظهارها بمظهر العاجز ، حيث تفرض العولمة فكرا يعتمد على ما أنتجته ثورة المعلومات والتكنولوجيا[2].

وبالتالي فهي السيطرة الثقافية الغربية على سائر الثقافات ، بواسطة استثمار مكتسبات العلوم والثقافة في ميدان الاتصالات[3].

وفي رأي الكثيرين أن العولمة الثقافية تعني سيطرة ثقافة الغرب على الثقافات الأخرى من خلال استثمار مكتسبات العلوم الثقافية في ميدان الاتصال ، وليس بخاف عنا أن الثقافة الأمريكية هي المسيطرة على الثقافة الغربية ، وقد أخذت أوروبا وبخاصة فرنسا تنظم المقاومة ضد الثقافة الأمريكية باعتبار أنها خطر استراتيجي يهدد استقلالها السياسي والاقتصادي وهويتها الثقافية ، وترجع قوة النفوذ الأمريكي إلى سيطرة الاقتصاد الأمريكي بالإضافة إلى اعتماد اقتصادات أخرى على الاستهلاك في الولايات المتحدة الأمريكية ، فضلاً عن هيمنة شركات الإعلان الأمريكية على التسويق العالمي مما أدى إلى عالمية أساليب الدعاية والتسويق ، أضف إلى ذلك تفوق الولايات المتحدة في المجالات

---

[1] محمد حسين أبو العلا ، مرجع سبق ذكره ، ص154 .

[2] د. عاطف السيد ، مرجع سبق ذكره ، ص61 .

[3] محمد عمر الحاجي ، مرجع سبق ذكره ، ص145 .

الثقافية الشعبية وبخاصة في صناعتي الأفلام والموسيقى ، وقد استغلت الولايات المتحدة تميزها الكبير في الإنتاج الفني التلفازي وفي الصناعات الترفيهية وشركات الأقمار الصناعية في التأثير على الأفراد و المجتمعات [1].

والخلاصة فقد أصبحت العولمة الثقافية قوة توسعية نافذة إلى داخل كل وطن ، وكل دولة ، وكل شعب ويكفي مجرد حدوث حدث ثقافي معين أن يلقي بتأثيره ويفرض ذاته على الكرة الأرضية ، نعم لقد أصبحت ثقافة العولمة ثقافة طليقة ومتفتحة ، وممتزجة وتأخذ من كل الثقافات الأخرى وتتغذى منها ، وتحصل منها على روافدها ، وتنتقى الأفضل من الأفضل ، حتى يكون في وسعها أن تستمر ، وأن تطور نفسها كلما كان هذا ممكنا، وفي إطار هذه التوجهات المختلفة يرى الباحث أيضاً أن ثقافة العولمة ليا مفرداتها ومرجعياتها التي تحاول من خلالها إيجاد نسق ثقافي عالمي واحد له مجموعة من المعايير والقيم والمدركات المشتركة والمتجاوزة للحدود الوطنية والقومية وهو ما يسمى بالعولمة الثقافية .

ثانياً : هل البعد الثقافي للعولمة يمثل ثقافة ذات طبيعة عالمية تتجاوز الحدود ؟

العولمة وإن بدت آثارها تظهر في الأفق ، إلا أن موضوعها لا يزال صعب التحديد ويصعب وضعه في إطار منهجي محدد ، فالعولمة عملية تاريخية تحاول أطراف مختلفة أن تدفع بها إلى طرق مختلفة ، وإن كانت ترمي في النهاية إلى هدف واحد ، وهي في مفهومها العام كما تدل الصياغة اللغوية ذات مضمون ديناميكي يشير إلى عملية مستمرة من التحول والتغير ، فعندما تقول عولمة ثقافية فإن ذلك يعني التحول الثقافي من الإطار القومي ليندمج ويتكامل مع النظم الأخرى في إطار عالمي ، ولذلك ينظر إلى العولمة في مفهومها العام على أنها اتجاه متنام يصبح معه العالم دائرة اجتماعية وسياسية واقتصادية وثقافية واحدة تتلاشى في داخلها الحدود بين الدول [2].

---

[1] عاطف السيد ، مرجع سبق ذكره ، ص63 .

[2] احمد ثابت وآخرون ، العولمة وتداعياتها على الوطن العربي ، ط2 (بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، 2004) ص159.

وارتبط البعد الثقافي للعولمة بفكرة التنميط أو التوحيد الثقافي للعالم ، على حد التعبيرات التي استخدمتها لجنة اليونسكو العالمية للإعداد لمؤتمر السياسات الثقافية الذي عقد في مدينة استكهولم عام 1998 .

فقد رأت اللجنة أن التنميط الثقافي يتم باستغلال ثورة وشبكة الاتصالات العالمية وهيكلها الاقتصادي الإنتاجي والمتمثل في شبكات نقل المعلومات والسلع وتحريك رؤوس الأموال ، ومن هنا اتخذ المفهوم الثقافي للعولمة بعداً اقتصادياً إعلامياً ، حيث الإعلام هو أداة التوصيل والتأثير بالأفكار الثقافية التي يراد لها الذيوع والانتشار .

فالعولمة الثقافية تسعى إلى طغيان ثقافة عالمية واحدة على الثقافات القومية والمحلية المتعددة ، بما يشكل خطراً على خصوصياتها ، وعلى المدى الطويل قد يؤدي إلى ابتلاعها والحلول محلها[1].

ويرى بعض المفكرين أن انحسار الحدود القومية هو من أهم سمات العولمة ، بمعنى أن الحدود الجغرافية في طريقها إلى التهميش الكامل أمام المد العولمي بعد أن أدت التغيرات العالمية إلى التفاعل المباشر بين الفرد والعالم ، ويعني ذلك تخطي الحدود ، وبانحسار الحدود القومية أصبح حتمياً أن تنحسر أهميتها القومية ، بعد أن أصبحت عاجزة عن إيقاف مد العولمة من خلال ما يسمى "الانسيابات العولمية" ، التي تشمل البشرية و النقدية و التكنولوجية والإعلامية [2].

وحيث أصبح من المستحيل انغلاق الدول في إطارها القومي لوقف هذه الانسيابات بفعل ثقافة العولمة ، ويعني هذا أيضاً كما يقول بعض المفكرين إن إزالة الحدود السياسية تصبح مطلباً ينادي به حتى المواطنون داخل هذه الدول الذين قد تعتمد حياتهم على هذا الانسياب .

وتشير التجارب في بعض الدول في الشرق والغرب إلى أن الدولة مازالت تحتفظ بدورها في محاولة كبح جماح التقلبات الثقافية العالمية ، إذ أن التدخل

---

[1] المرجع السابق ، ص164 .

[2] محمد عبدالقادر حاتم ، العولمة مظاهرها وعلاجها (القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 2005) ص143.

الحكيم من جانب الدولة حتى وإن بدا واهياً ، قد يساعد في تفادي استفحال المشكلة بيد أن ما يستخلص منها أيضاً أن عولمة الثقافة قد أصبحت واقعاً ليس من الحكمة إغفاله وهنا قد يتفق القارئ مع أنصار العولمة الذين يرون أن هذه الظاهرة تمثل إحدى سمات العصر الحديث، إن وظائف جميع المؤسسات الإنسانية في هذا العصر الجديد بدءاً من الأسرة والمجتمع الصغير ثم المجتمع الكبير وانتهاء بالدولة قد تغيرت تماماً وإن معظمها لخدمة مصالح العولمة[1].

وبقدر ما في العولمة الثقافية من سمة التلاقح وتجاوز جميع الحدود للدول[2] ، هناك تجليات ثقافية للعولمة والمشكلة المطروحة هي الاتجاه إلى صياغة ثقافة عالمية ، لها قيمها ومعاييرها ، والغرض منها ضبط سلوك الدول و الشعوب ، والسؤال هنا : هل تؤدي هذه الثقافة العالمية حال قيامها وتأسيسها إلى العدوان على الخصوصيات الثقافية ؟[3]

إن السيادة القومية ممثلة في الحدود السياسية للدولة ، قد تأثرت سلبيا في مجال الانسياب التقني والتكنولوجي نتيجة الانتشار السريع والتطور الفائق المستمر ، وبذلك ينطبق ما سبق الإشارة إليه فيما يختص بعالمية الثقافة فقد أصبحت موضعاً للتنافس الشديد الذي تحركه السوق العالمية[4] .

يضاف إلى ذلك مجال انسياب المعلومات عبر شبكات الانترنت والأقمار الصناعية والبريد الالكتروني مما جعل علماء الاتصال يرون أن انسياب المعلومات هو أهم مظاهر العولمة الثقافية ، حيث تغطي المعلومات جميع أوجه حياة الإنسان وكافة الأحداث في جميع بقاع العالم ، دون اعتبار للحدود ولاشك أن انعكاسات انسياب المعلومات قد تكون إما إيجابية أو سلبية خاصة بالنسبة لثقافة الشعوب وهويتها .

ومن الحقائق المعروفة أن التلفزيون يعد أحد المنافذ الرئيسية لتكوين ثقافة الإنسان في معظم الدول وبالتالي التكوين الثقافي للمجتمع المحلي ، وبما يعني

---

[1] المرجع السابق ، نفسه .

[2] حسن عبدالله العايد ، المتغيرات الدولية وسياسيوهات الثقافة العربية ، مرجع سبق ذكره ، ص61 .

[3] السيد ياسين وآخرون ، مرجع سبق ذكره ، ص33 .

[4] انظر ، محمد عبدالقادر حاتم ، مرجع سبق ذكره ، ص144 .

ارتباط الفرد وتأثره بمثل وطبائع قد يصعب تحديد موقعها الجغرافي ، وهذا هو أحد دعائم نظرية العولمة الثقافية [1].

وإذا كانت مخاطر العولمة الثقافية ليست قاصرة على البلدان الصغيرة ، فحتى دول كبيرة مثل فرنسا تصارع بقوة للحد من آثار العولمة الثقافية للإنتاج السينمائي والتلفزيوني الأمريكي .

لقد وصلت الثقافة الشعبية الأمريكية إلى درجة من سعة التأثير حدت ببلدان عديدة في العالم إلى محاولة ترشيدها ، وتأمل هذه البلدان في كفالة فعالية ودور منتجي المحتوى الداخلي ، من خلال السماح ببث عدد معين فقط من ساعات التلفزيون الخارجي كل أسبوع ، أما في أوروبا فقد قللت البرمجة الفضائية وعبر النقل الكلي من إمكانية التحكم الحكومي ، وسوف يؤدي ظهور طريق المعلومات السريع إلى هدم الحدود وربما إلى بروز ثقافة عالمية أو على الأقل نوع من المشاركة المتبادلة في الأنشطة والقيم الثقافية ، كذلك سيسهل الطريق أن يتواصل أصحاب القضايا الوطنية ، بل والمنفيون أو المغتربون عن أوطانهم ، مع آخرين من ذوي الاهتمامات المماثلة أينما كان موقعهم ، وربما عزز ذلك كله التنوع الثقافي وحد من النزوع نحو ثقافة عالمية منفردة أما إذا انجذب الناس إلى اهتماماتهم الخاصة وحدها وانسحبوا من العالم الواسع ، فسينطوي ذلك على خطر انقراض التجارب والقيم المشتركة ، ويمكن أن ينطوي على أثر يتمثل في تنشيط المجتمعات ، والواقع أننا نشك في حدوث ذلك ، وذلك لأننا نعتقد أن الناس يريدون إحساساً بالانتماء إلى جماعات عديدة ، بما في ذلك الجماعة العالمية ، فعندما نشارك في تجارب مؤقتة ، فإن ذلك يرجع عادة إلى حقيقة أننا نشهد جميعاً أحداثاً في وقت واحد على شاشات التلفزيون سواء تمثل الحدث في انفجار المكوك الفضائي "تشالنجر" إثر الإقلاع ، أو تغطية لحرب الخليج ، فنحن نكون معاً في كل تلك اللحظات[2].

---

[1] المرجع السابق ، نفسه .

[2] د.مي العبدالله سنو ، الاتصال في عصر العولمة ، ط2 (بيروت ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، 2001) ص107 .

الخلاصة نحن لا نعيش في عالم بلا حدود ولكننا نعيش في عالم لم تعد الحدود تمثل فيه حواجز مادية أو فكرية في وجه فيض من التأثيرات العالمية في وجودنا اليومي ولهذا فان العولمة وممارساتها جعلت الحديث عن الحدود ليس له معنى ، والبعد الثقافي للعولمة يذهب إلى خلق علاقة ارتباط بين الفرد والعالم ، ويطرح فكرة الإنسان العالمي ، والذي يبتعد عن فكرة الذات والحدود والوطن والانتماء ، بحيث تصبح الهوية مطلباً مادياً ، يتأثر بشكل ومضمون الجانب الاقتصادي للعولمة ، وأن من شأن هذا التطور أن يسهم في خلق ثقافة كوكبية للعولمة تتجاوز الحدود.

وفي هذا الإطار يرى الباحث أنه ليست هناك ثقافة عالمية واحدة ، وليس من المحتمل أن توجد في يوم من الأيام ، وإنما وجدت وستوجد ثقافات متعددة ومتنوعة تعمل كل منها بصورة تلقائية أو بتدخل إرادي من أهلها ، على الحفاظ على كياناتها ومقوماتها الخاصة .

ثالثاً : علاقة البعد الثقافي للعولمة بالصراع الثقافي :

للعولمة جوانب متعددة ، لكن الذي يجعلنا نناقش موضوع العولمة الثقافية كموضوع مستقل ، ترجع إلى حساسية هذا الموضوع وأهميته ، فالثقافة لم تعد كما كانت في الماضي خاضعة لوسائل تقليدية في النشر والانتشار ، بل أن وجود التكنولوجيا الاتصالية التي جعلت من العالم قرية صغيرة ، استطاعت هذه التكنولوجيا أن تسهل عملية الاختراق الثقافي عن طريق بث ثقافات مختلفة لشعوب مختلفة بوسائل تقنية حديثة تجعل من الصعب التصدي لهذه الثقافات التي تمثل خرقاً لقيم وعادات مجتمعات العالم[1] .

كما أن الثقافة تعتبر عاملاً حاسماً في عصر العولمة ، أكثر من العوامل الاقتصادية والسياسية ، كما يتنبأ الكثيرون بأن الصراعات المستقبلية سوف تشغلها عوامل ثقافية ، أكثر منها اقتصادية أو إيديولوجية ، فالصراع الأشد في عصر

---

[1] محمد القرحاني حصن ، مرجع سبق ذكره ، ص167 .

العولمة سيكون صراعاً ثقافياً أو ما يصفه بعض مثقفي الغرب بالحرب الباردة الحضارية[1]

إن الأمور متداخلة متصلة متشابكة فلا نستطيع الانفراد بمجال دون الخوض بالمجالات الأخرى فتأثيرها يكاد لا يكون بينها تواصل مرئي فالعولمة اتجاه يصبح معه العالم دائرة واحدة تتلاشى في داخلها الحدود بين الدول[2].

وبزوغ الصراعات الثقافية على الرغم من الآمال التي عقدها كثيرون على الحوار بين الثقافات وحول إمكان توليد ثقافة عالمية تغتني بما في داخلها من فوارق ، فإن مثل هذه الثقافة العالمية لم تر النور حتى اليوم وما تزال الصراعات الثقافية قائمة بل لعلها تزداد حدة يوماً بعد يوم ، صحيح أن بعض الشعارات الجديدة طرحت ولاسيما بعد الحرب العالمية الثانية وبعد سقوط النازية ، ومن بين هذه الشعارات تحقيق ديمقراطية الشعوب ، وعالمية الحوار الثقافي المشترك وضرورة إنصات الشعوب بعضها إلى بعض ، ولكن شيئاً من ذلك لم يتحقق، ولا نقع إلا على شعارات فارغة في مجال التواصل بين ثقافات الشعوب وتعقدت المشكلة ، ولبست حللاً جديدة بعد سقوط الاتحاد السوفيتي (سابقاً) ، وبعد التبشير بولادة نظام عالمي جديد ، إذ سادت العولمة بمعناها الضيق والوحشي بدلاً من النزعة العالمية الإنسانية ، وطغت على شتى جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، وسارت في طريق يعرض مصير الثقافات الإنسانية لمخاطر الصراع أو الذوبان أو الإمحاء[3].

إذ أن أهم سمات التأثير الغربي في الثقافة تتلخص في نقل الفكر الغربي المزاحم للثقافة القومية ، مما يسبب نوعاً من الازدواجية في الثقافة بين الموروث والوافد وخلق صراع بين ثقافتين ، أضف إلى ذلك الترويج لفكرة العولمة الثقافية الغربية واعتبارها مرادفة لكل الثقافات المحلية ، وأنه على كل المجتمعات التعامل معها والتأقلم معها والتخلي عن خصوصيتها الثقافية ، والانفصال عن

---

(1) صالح السنوسي ، مرجع سابق ذكره ، ص167 .

(2) حسن عماد مكاوي ، أثر العولمة في الثقافة العربية ، مرجع سابق ذكره ، ص78 .

(3) مجلة المستقبل العربي ، يصدرها مركز دراسات الوحدة العربية ، العدد 222 ، 1997 ، ص27 .

التراث القديم الذي تحول إلى ثقافة شعبية موروثة ، وبالتالي أدى إلى الفرقة التامة[1] .

إن التفاوت الكبير بين الدول المتقدمة والدول المتخلفة يعني عدم وجود أي شكل من أشكال التجانس أو التقارب الثقافي بينهما ، وهو ما يجعل خلق وحدة ثقافية بينهما أمراً صعباً . ويفرض حالة من القلق وانهيار الحياة الآمنة في المجتمع الأقل نمواً ، لكل ذلك فقدت الوظيفة الاجتماعية الثقافية للسلطة الوطنية قدرتها في المحافظة على استقرار المجتمع ، والحيلولة دون تذويبة في مجتمع العولمة ، وهذا سيؤدي بالضرورة إلى حدوث صراع حتمي بين الثقافة الوافدة والثقافة الوطنية ، تختلف نتائجه تبعا لمدى تقبل الأفراد لتلك الثقافة ، وقدرة السلطة الوطنية على الدفاع عن الثقافة الوطنية ودعمها ، لتتمكن من معايشة الثقافة الأخرى ، عن طريق خلق مرتكزات الولاء للوطن ، لأن التطورات التقنية والمعلوماتية الهائلة تساعد على إخضاع السلطة لذلك ، من هنا تبرز الحاجة إلى تحقيق التوازن بين المجتمع ومتطلباته الاجتماعية والثقافية الخصوصية[2].

رابعاً : ما هي العلاقة بين البعد الثقافي للعولمة وحقيقة سيادة الأقوى و الأمثل والأصلح ؟

هناك من يتحدث عن العولمة وكأنها حركة تلقائية وليس وراءها منظم أو قائد ، كما قال بذلك (توماس فريدمان) وغيره ، ولما لم تكن حياة البشر متروكة للمصادفة البحتة ، فإن أي تغيير يطرأ عليها لابد أن يرتبط بقوى تقف وراءه .

صحيح أن ما يميز ظاهرة العولمة الجديدة أنها نشأت وانتشرت دون أن يسبقها في بعض جوانبها تصور متكامل أو بلورة فكرية عميقة الأبعاد ، إلا أن حركة الوقائع تثبت أنها نتاج داخلي للرأسمالية المعاصرة ، وأحد معطيات النظام الغربي الحديث الذي هو بالأساس ومنذ نشأته يسعى إلى البحث عن المواد الأولية والأسواق والسيطرة على مصائر الشعوب الأخرى واحتوائها .

---

[1] حيهان سليم وآخرون ، مرجع سبق ذكره ، ص243 .

[2] وئيسة الحمروني الورفلي ، العولمة والدولة ، مرجع سبق ذكره ، ص134 .

لذلك لا يصح أن تفهم هذه الظاهرة كمجرد تجلي للتطورات التقنية وثورة الاتصال والمعلوماتية وغيرها من المتغيرات العلمية والفنية الحديثة غير أن ذلك لا يمنعنا من القول بأن التداعي الذي أدت إليه الثورة الصناعية والظاهرة الاستعمارية وثورة المعلومات وتطور الاتصال ، وما رافق ذلك من تغيرات اقتصادية وثقافية وسياسية قد دفع البعض إلى النظر إلى هذه الحركة بصفتها ظاهرة تتصف بالحتمية والتلقائية بخاصة وأن السماء في زمانها قد أضحت مفتوحة ، وأن السلع المستوردة باتت تدخل كل بيت وأن السفر والاتصال غدا من الأمور الشائعة مما أوجد ما يمكن تسميته بالتفاعل الكوكبي الذي بدا وكأنه سلوك تلقائي وسمة حتمية من سمات هذا العصر ، إلا أن الحقيقة التي يتعين تأكيدها في هذا الخصوص هي أن دول المركز بما تمتلكه من عناصر القوة والفاعلية قد هيأت شروط تلك الاستجابة الإنسانية العامة إن لم نقل عملت على اصطناعها في إطار خطط واستراتيجيات مدروسة ، حتى أنها لم تنس وهي في غمرتها حقيقته أن تبحث عن مختلف الطرق والوسائل لمزيد من الترويج لتلك العولمة ، وليس ما يقدم عبر البنك الدولي وصندوق النقد من دعوات لكبار صحفيي العالم الثالث من محاضرات عن حتمية الظاهرة ، إلا أحد الأمثلة على ذلك السعي المقصود [1].

إن إشاعة مصطلح العولمة صار يوحي بأن الأحادية بأطرها ومضامينها الغربية أضحت ظاهرة طبيعية وكأنها تعبر عن حقيقة الأشياء وتمثل حركة حتمية في هذه الحياة ، وهو مالا ينفك يؤكد عليه منظور الحقبة من الغربيين مفكرين كانوا أو سياسيين ، الأمر الذي أدى إلى تكريس الوهم في نفوس وأذهان الكثيرين الذين باتوا يعتقدون بأن هذا هو منطق العصر الذي يتعين فهمه واستيعابه والقبول به أو التكيف[2] معه على أقل تقدير وهو ما أمسى بالفعل لهجة يلهج بها حتى من تحسن الظن به ، وهو ما نتبينه في قول أحدهم بأن (لا خروج لنا من دائرة النظام العالمي الجديد اقتصاديا وسياسياً وثقافياً وأنه لا خيار لنا في ذلك ، فأدوات هذا النظام قادرة على اختراق كل الحدود وكل بيت حتى بيوت الشعر على

---

(1) علي القريشي ، العولمة والمركزية الأمريكية ، مجلة المجد ، مرجع سبق ذكره ، ص38 .
(2) المرجع السابق ، ص39 .

أطراف الصحراء . وتلك هي تداعيات إرادة القوة والاحتواء التي دفعت دون تبصر أو إدراك شامل بعض سكان الأطراف التي تقبل الاعتقاد الغربي المتمركز حول الذات الذي يرى بأنه ليس أمام عالم الجنوب بحكم تكوينه وثقافته غير الانضواء تحت ظل المركز الجبار. وبهذا تتكشف أمامنا حقيقة أن العولمة بقدر ما تنطوي على نزعة التمركز هي أيضاً مشروع استكباري يسعى لإلغاء كل خصوصية واختلاف .

ومن هنا تبدو الغرابة واضحة حين توصف العولمة بأنها ظاهرة تلقائية لا هوية لها ولا عقيدة ، مع أن أي محلل لمضمونها وعناصرها وأي متفحص لحركتها واتجاهاتها ومعطياتها سيدرك مصدرها الغربي وهويتها الرأسمالية [1].

* إن العولمة حين تنظر للعالم بصفته سوقاً ومصنعاً يتحرك بالآلية التي تنطوي على افتراض النمطية وحق البقاء للأقوى والأسرع والأجود ، وعلى نحو يتجاوز كل الثوابت والمنطلقات والغايات الإنسانية ، إنما تعبر عن فلسفة مادية ، الأمر الذي لا يمكن معه لأي ذي عقل أن يقر بأنها تصلح لأن تكون الاتجاه الطبيعي والمنطقي في هذه الحياة ، فضلاً عن الدعوى إلى التكيف معها واعتبارها قدراً لابد من الاستسلام لمعاييره وأحكامه [2].

* إن العلاقة بين البعد الثقافي للعولمة وسيادة الأقوى من خلال القسر الذي تتبعه العولمة من خلال إحلالها التصور الواحد ما هو إلا استكبار مفسد لا يمكنه أن يتيح لآليات التدافع والحوار والتداول أن تكون السيد في حسم جدل القيم والإيديولوجيات والبدائل ، ونحن نعرف بأن الاختلاف ظاهرة طبيعية وحقاً مشروعاً يمكن أن يحقق التقدم الإنساني إذا ما تم على قاعدة التفرقة بين ما هو خير وما هو شرير ، وبين ما هو صواب وما هو خطأ[3] .

وبناء على ذلك فالعولمة بما تنطوي عليه من جوهر مادي ومنظور أحادي لا تمثل إلا مأزقاً ، بل وفخاً على الرغم من تغليفها بأغلفه ملونة وكتابتها تحت عناوين جذابة [4] .

---

(1) المرجع السابق ، نفسه .
(2) المرجع السابق ، نفسه .
(3) المرجع السابق ، نفسه .
(4) المرجع السابق ، نفسه .

وفي النهاية فإن العولمة لا تمثل في حقيقتها إلا موقفاً أيـديولوجيا تسُـيره إدارة القوة من جهة وطبيعة استجابة المستضعفين من جهة أخرى ، وبعبارة ثانية العولمة ليست أكثر من ديناميكية تقف وراءها قوة طاغية من صنع الإنسان الذي لا يملك أساساً مطلق التصرف في هذا الكون الذي نؤمن بأنه لا يخضع إلا لإلـه واحد هو المالك الحقيقي[1].

ثمة علاقة جدلية ما بين مقولات النظام العالمي الجديد والعولمـة الشـاملة باعتبارها وجوهاً متماثلة ومتكاملة لعملة واحدة غايتها إعادة ترتيـب الخارطـة الكونية وفق الاستراتيجية الأمريكية ، ومن يدور في فلكهـا "الـدول الصـناعية الكبرى" والبقاء للأقوى والاصلح وتعميمها في القارات الخمس والمنطقة العربيـة على وجه التحديد نما لها من مكانة رئيسة في مقولة الشرق أوسطية[2].

خامساً : مظاهر العوْلمة الثقافية :

كانت العولمة تعكس مرحلة تاريخية من مراحل تحول العالم ، أي تعنـي خضوع البشرية لتاريخية واحدة ، أي أنها تجرى في مكانة ثقافيـة واجتماعيـة وسياسية واحدة أو في طريقها إلى التوحد ، ويمكن تلخيصها في كلمتـين كثافـة المعلومات وسرعتها إلى درجة أصبحنا نشعر أننا نعيش في عالم واحد موحـد ، أي أن هناك ميلاً لا راد له ، إلى توحيد الوعي وتوحيد القـيم وتوحيـد طرائـق السلوك وأنماط الإنتاج والاستهلاك ، إلى قيام مجتمع إنساني واحد ، إن العولمـة تبشر بمرحلة جديدة للتنظيم العالمي ، تمثل نقيض المرحلة السـابقة التـي نحـن بصدد الخروج منها ، وهي مرحلة الدولة القومية ، والانكفاء على الحدود السابقة للدول كإطار جغرافي لتحقيز المادي والروحي عند الجماعات البشرية عمومـاً ، هذه المرحلة التاريخية التي حولت العالم بفعل العولمة ، لها مظاهرهـا الثقافيـة والتكنولوجية [3].

---

[1] المرجع السابق ، نفسه .

[2] محمد عمر الحاجي ، مرجع سبق ذكره ، ص124 .

[3] محمد الهاشمي ، مرجع سبق ذكره ، ص185 .

من مظاهر العولمة الثقافية سيطرة التكنولوجيا على الثقافة ، وبخاصة الثقافة الغربية حيث تعمل ثقافة العولمة على سحق الثقافة المحلية الوطنية ، وخلق لون جديد من الثقافة العالمية يلغي خصوصية الإنسان وموروثه الثقافي ، ويعزله عن تاريخه الوطني[1]. لتجعل الحياة البشرية بكل أشكالها المادية والنفسية تنزع بالتدريج إلى أن تتعولم وبمقومات تنسجم والتوجهات الجديدة للأجيال القادمة التي تدلل على أنها ستقبلها طواعية وبمزيد من اللهفة في كثير من المجتمعات ليس بسبب القنوات الفضائية والمعرفة الموسوعية والشبكة العالمية للمعلومات فحسب ، بل وللمتعة التي توفرها التقاليد الجديدة ، والنفعية الذاتية التي تؤمنها الأساليب الحديثة ، والاستهلاكية العالمية التي تدفع لها الوسائل البديلة ، خاصة في المجتمعات الشرقية التي يشكو فيها الشباب وغيرهم من الأعمار الأخرى أوقات الفراغ ، وغياب معطيات الترفيه والمتعة الدارجة عند أقرانهم في المجتمعات الغربية ، تلك المعطيات التي باتوا يطلعون عليها ويتابعون قواعدها في وسائل إيصال المعلومات المتعددة المصادر[2].

كما تتمثل مظاهر العولمة الثقافية في تزايد انتشار بعض أنماط القيم الثقافية والسلوكية الاجتماعية الغربية المرتبطة بالملبس والمأكل والتسلية والفن ، وقد أسهم التقدم في مجال الإعلام والاتصال في نشر هذه الأنماط ، وكما أظهرت العولمة الحاجة إلى توحيد القيم والأخلاق ، فقد أوصل النظر في واقع النظام العالمي وأصوله ورؤى مستقبلية إلى الشك في قدرته على أن يستمد تعاوناً دولياً لحل مشاكل عالمنا ، وأن كل ما تستطيع أن تفعله العولمة هو نوع من التجنيس الثقافي ، تتحول فيه ثقافات الشعوب إلى مهرجانات وطنية ، وعقائدها إلى مجرد طقوس ومآثر تراثها إلى وثائق الأرشيف ومقتنيات المتاحف[3].

وبعبارة أخرى فإن العولمة الثقافية تسعى وبشكل قسري إلى إقامة نوع من الخلق العالمي لشعوب العالم ،من منظور وحدة الجنس البشري بصورة تتجاوز

---

[1] وئيسه الحمروني الورفلي ، مرجع سبق ذكره ، ص98 .

[2] عمر حسن أحمد مدران ، مرجع سبق ذكره ، ص51 .

[3] نبيل علي ، الثقافة العربية وعصر المعلومات ، سلسلة عالم المعرفة العدد 265 ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 2001 .

النسبية الثقافية ، سواء العقائدية أوالقيمية أو اللغوية ، وتبرز مظاهر العولمة الثقافية الأوجه الآتية [1]ذات التأثير في الحياة في سائر أرجاء الدنيا :

1.اللغات :

لقد باتت اللغة الإنجليزية لغة ثورة الاتصال وهي اللغة المسيطرة بالدرجة الأولى على جميع دول العالم ، وتتمثل هذه السيطرة في إخضاع اللغات القوية كالعربية مثلا ، وسحق اللغات الضعيفة وتدميرها وجعلها معرضة للانقراض زيادة على نشر الفكر الغربي و العلوم والآداب الغربية .

2. الثقافة الغربية :

وهي المتمثلة ببعض الممارسات التي لا تكون مقبولة في المجتمعات الأخرى ، كما يلاحظ في محطات الشبكة العنكبوتية وما تهيئه من محطات للأزياء والفن والجنس والشذوذ الجنسي ، وهي أمور قد لا يكون لها وجود في بعض المجتمعات المحافظة والشعوب غير المنفتحة على الثقافة الغربية ، مما قد يدعو إلى تأثر الشعوب بهذه الثقافة .

إن الواقع يؤكد أن هناك اكتساحاً ثقافياً نتيجة الثورة العارمة في المعلومات المدعومة باللغة الغربية والذي جعل الكثير من الشباب يستمدون أنماط السلوك من هذه القيم الغربية[2].

3.الإرهاب الفكري :

ويتمثل هذا الإرهاب في تقديم آلة التدمير الغربية في سياق إعلامي يدعو إلى الإحباط على هيئة استعراض لقوى لا تقهر ، وتصوير مقدرات الشعوب الأخرى بصورة يائسة تدعو إلى الشعور بالهزيمة قبل وقوعها ، ثم عرض قدرة أمريكا والعالم الغربي المتغطرس على ملاحقة أشخاص بأعينهم على اعتبار أنهم إرهابيون ومطلوبون للعدالة ، إن الإرهاب الآن لم يعد له مفهومه السابق ، بل

---

[1] علاء الدين ناطورية ، مرجع سبق ذكره ، ص82 .

[2] محمد فهيم درويش ، العولمة من الناحية الثقافية ، منشورات مكتبة الأهرام للبحث العلمي ، رقم العدد 15849 ، 2003 ص125.

أصبح الإرهاب أي سلوك معاد للنموذج الأمريكي بأوجهه الاقتصادية والسياسية والثقافية أي أن كل ما يخالف التوجيات القائمة في المنظومة الجديدة يعد شكلاً من أشكال الإرهاب ، وقد أدى هذا إلى حشر كثير من الفئات المذكورة في أماكن معزولة ، بحيث تم نفيهم من البشرية كما يحدث في أماكن مختلفة من الأرض في آسيا وأوروبا وأفريقيا ، وربما في أمريكا اللاتينية ، وفي معرض الحديث عن العولمة الثقافية نذكر أن ما يساعد على تنفيذ هذه المظاهر كثرة وسائل الاتصال وسهولة المنتجات الثقافية عبر الانترنت ، و وسائل الاتصال الأخرى ، كالتلفزيون ودور النشر المختلفة ، مما دفع إلى أن نكون متلقين وهو تلق إجباري ، وإن بدا لبعضنا بأنه نوع من التنوير[1] ، ومن المهم أيضاً أن نتبين أن العولمة الثقافية بلا شك تحمل ثقافة جديدة بصرف النظر عن انطباق المفهوم العلمي أو الأخلاقي للثقافة على الغزو الفكري ، والطوفان المعلوماتي ، والرموز التي تشيعها وتنشرها العولمة بكل وسائل الاتصال الحديثة فائقة القدرة ، ووسائل الإعلام فائقة السيطرة بما فيها من سينما وتلفزيون وإذاعة وكلها تبشر بثقافة جديدة لها نتائجها الخاصة[2] .

سادساً : نتائج العولمة الثقافية :

1. إنها ثقافة تمجد الاستهلاك ، هدفها الرئيسي خلق أسواق جديدة ، وإطلاق شهوات الاستهلاك إلى أقصى عنان لها ، ولازالت أهم أهداف المجتمع الرأسمالي هو إقامة وتطوير حالة عدم الرضي المستمرة عن المنتجات الموجودة حالياً حتى تتحقق حالة من الطلب المستمر والجديد على منتجات جديدة أو نماذج مستحدثة ذلك أن هناك نظرية اقتصادية لها مؤيدون كثيرون ترى أن زيادة الاستهلاك محرك قوي لزيادة الإنتاج وتنشيط الاقتصاد .
2. أنها ثقافة تمهد للعنف ، ودورها في إقامة ثقافة جديدة تبشر بنشأة أجيال كاملة تؤمن بالعنف كأسلوب حياة ، وكظاهرة عادية وطبيعية .

---

(1) علاء الدين نظمورية ، مرجع سبق ذكره ، ص83 .
(2) حسين كامل بهاء الدين ، الوطنية في عالم بلا هوية ، تحديات العولمة ، (القاهرة ، دار المعارف ، 2000) ص148 .

3. إنها ثقافة الفردية و الأنانية[1] .

4. كذلك من نتائج العولمة الثقافية أنها ثقافة مادية بحتة ، لا مجال فيها لروحانيات أو عواطف ولا مساحة فيها للمشاعر الإنسانية ، ولا للعلاقات الاجتماعية القائمة على التعاطف والتكافل والاهتمام بالآخرين .

بل إنها ثقافة تروج لتمجيد الربح ، وسحق المنافسين ، وتؤله المال وتلغي كل ما عداه من قيم ، إنها ثقافة تشكل عالما يجعل من الشح والبخل فضيلة .

5. إنها ثقافة تستهين بكثير من القيم المجتمعية ، أنها لا تقيم وزناً لهوية أو انتماء ولا تهتم بحقوق المواطنة ، ولا بفرص العمل ، ولا باعتبارات البيئة ، وأحياناً تعتبر هذه المفاهيم عقبات يجب إزاحتها وتشجع على الانتهازية والجشع والوصول إلى الأهداف بأي وسيلة[2].

6. تعمل العولمة الثقافية على بناء أرضية ثقافية عامة للعولمة .

7. تؤدي العولمة الثقافية إلى الغاء الحضارات الأخرى

8. تعمل العولمة على إلغاء الحوار بما يسمى الحوار غير المتكافئ .

9. تعمل العولمة الثقافية على الغزو الثقافي للثقافة الوطنية ومحاولة دمجها في ثقافة واحدة .

10. تسعى العولمة الثقافية إلى طمس الهويات الثقافية لصالح هويتها[3] .

---

[1] المرجع السابق ، ص149 .

[2] المرجع السابق ، ص150.

[3] حسن عبدالله العايد ، أثر العولمة في الثقافة العربية ، مرجع سبق ذكره ، ص166 .

الفصل الثاني

الثقافة العربية

الفصل الثاني

الثقافة العربية

لم تشهد الثقافة العربية تحولات و أوضاعاً محيطة تمتحن قدرتها على الصمود ، بل بقاءها أيضاً ، كما تشهد ذلك اليوم ، إنها تدخل قرناً جديداً وهي تحمل في رصيدها تراكما هائلاً من مكتسبات معرفية وجمالية حققتها على مدار قرون ، وهي عُدتها اليوم نحو العبور إلى المرحلة القادمة ، لكنها تحمل معها أيضاً الكثير من الأزمات التي كان بعضها بفعل طوارئ خارجية ، هزت توازنها وأفقدتها القدرة على المواجهة الخلاقة المبدعة ، ودفعتها أحياناً إلى الارتكاس والانكفاء ، ولكن البعض الآخر من تلك الأزمات إنما كان من صنع الثقافة العربية نفسها ، من ترددها أحياناً ، ومن خوفها على قيمها من الانفتاح ، ومن علاقتها المضطربة بماضيها ، ومن حروب تياراتها بعضها مع بعض في أحايين أخرى .

إن الحديث عن الثقافة العربية يحتم علينا دائماً أن نبحث عن الجذور وتحديد نقطة البدء و مرتكزات الثقافة العربية وعليه سوف يتناول الباحث هذا الفصل في أربعة مباحث وهي :

المبحث الأول : تعاريف الثقافة العربية .

المبحث الثاني : مكونات الثقافة العربية .

المبحث الثالث : وسائل التعبير عن الثقافة العربية (اللغة العربية) .

المبحث الرابع : مخرجات الثقافة العربية

المبحث الأول
تعاريف الثقافة العربية

تمهيد

يتيح لنا تحديدنا السابق لمفهوم الثقافة التعامل مع الثقافة العربية وطرح مجموعة من التعاريف المتعددة من زوايا جديدة ، وكذا عناصر التعريف وفق التالي :

أولاً : تعاريف الثقافة العربية :

أشتق اسم الثقافة في اللغة العربية من "ثقف" وهو لفظ قرآني أساساً ، قال تعالى "واقتلوهم حيث ثقفتموهم"[1] ، وقال تعالى "ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا"[2] وقوله تعالى " فإما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون"[3] ، وقوله تعالى "إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء"[4].

وتعرف القواميس العربية الثقافة ، في القاموس المحيط لفظ ثقافة فقال ثقف ككرم وفرح ، وثقف ثقفا وثقافة صار حاذقاً فطناً وثقفه تثقيفا سواه .

وفي مختار الصحاح ، ثقف الرجل صار حاذقاً حصيفاً .

وعرفت الثقافة في الموسوعة العربية الميسرة بأنها هي أسلوب الحياة السائد في أي مجتمع بشري وأنها أهم ما يتميز به المجتمع الإنساني عن التجمعات الحيوانية.

وعرف مجمع اللغة العربية في القاهرة الثقافة في مجموعة المصطلحات العلمية والفنية بأنها هي كل ما فيه استفادة الذهن أو تهذيب الذوق وتنمية لملكة النقد والحكم لدى الفرد أو المجتمع . وفي المنجد في اللغة والأدب والعلوم جاء أن الثقافة هي التمكن من العلوم والفنون والآداب [5].

---

[1] سورة البقرة ، آية 191 ، وردت بنفس المعنى في سورة النساء آية 91 .
[2] سورة آل عمران ، آية 112
[3] سورة الأنفال ، آية 57 .
[4] سورة الممتحنة ، آية 2 .
[5] أمين سعيد عبدالغني ، مرجع سبق ذكره ، ص33 .

وفي المعجم الوجيز الثقافة هي العلوم والمعارف والفنون التي يطلب العلم بها والحذق فيها . وجاء في لسان العرب :

- ثقف الشيء ثقفا وثقافة وثقوفا : حذقه .
- ورجل ثقف : حاذق فهم .
- وقال ابن دريد ثقفت بشيء حذقته ، وثقفته إذا ظفرت به ، وثقف الرجل ثقافة إذا صار حاذقاً حصيفاً .

وفي حديث الهجرة : فهو غلام ثقف أي ذي فطنه وذكاء .

والثقافة والثقاف العمل بالسيف قال الشاعر : وكأن لمع بروقها في الجو أسياف المثاقف ، والثقافة ما تسوي به الرماح ، ومنه قول عمرو إذا عض الثقاف بها اشمأزت تشق قفا المثقف والجبين ، وتطرق العلماء العرب إلى تعريف الثقافة وجاءت هذه التعريفات في إطار توجيهات بحثية مختلفة ومن هذه التعريفات :

- أشار ابن خلدون إلى مفهوم الثقافة في معرض حديثة عن العمران الذي هو من صنع الإنسان بما قام به من جهد وفكر ونشاط ليسد النقص من طبيعته الأولى وحاجاته في بيئته حتى يعيش معيشة عامرة زاخرة بالأدوات والصنائع[1].

وقد جعل ابن خلدون الحضارة التي يراها في صورة التفتين في الترف واستجادة أحواله والكلف بالصنائع التي تؤنق من أصنافه وسائر فنونه غاية لهذا العمران وبالرغم من استخدام ابن خلدون لكلمة الحضارة كصفه لنوع من الحياة إلا أنه طوع هذه الكلمة وجعلها أداة من أدوات التعبير الاجتماعي[2] .

- وهناك تعريف آخر للثقافة وهو "أن الثقافة تعتبر عنصراً هاماً من عناصر التراث الاجتماعي وتشمل الثقافة ما يتلقاه الفرد من الجماعة من مظاهر الفنون والعلوم والمعارف والفلسفة والعقائد وما إليها[3].

- الثقافة بمعناها الواسع تشير إلى ذلك الجزء من البنيان الكلي للفعل الإنساني ونتائجه ، النشاط والإنتاج الفكري والروحي الذي ينجزه أناس متميزون لكونهم نشطين ومنتجين في هذا الحقل هم المثقفون .

---

(1) محمد سهد محمد ، العزو الثقافي والمجتمع العربي (القاهرة ، دار الفكر العربي ، 1994) ص119 .
(2) امين سعيد عبدالغني ، مرجع سبق ذكره ، ص35 .
(3) محمد الجوهري ، علم الفلكلور ، دراسة في الانثربولوجيا والثقافية (القاهرة ، دار المعارف ، 1970) ص61 .

- وتعرف الثقافة بأنها محصلة حضارية أحرزها المجتمع من خلال التتابع الحضاري وهي مشروطه بتطور الأنماط المعرفية بانعكاساتها الاجتماعية [1].

- الثقافة عامل شامل يحيط بالمجتمع ، ويستطيع المجتمع أن يغير نظامه السياسي ونظامة الاقتصادي ولكنه لا يستطيع إلا أن يعتمد على عناصر الثقافة المستمدة من تاريخه القديم فينقلها إلى حاضره [2].

- الثقافة تعني جوهر المجتمع ، وكل ما ينتجه المجتمع من إنتاج مادي ومعنوي ، كما يعني تأثر ذلك المجتمع أو تلك المجموعة الإنسانية بالناتج المادي والمعنوي لغيرها وتأثيرها فيه ومدى النقل الكامل والاستيعاب والتأثير [3].

- الثقافة هي الايديولوجيه التي تميز جماعة من الناس عن الجماعات الأخرى بما تقدمه من العقائد واللغة والقيم والمبادئ والسلوك والمقدسات والقوانين والتجارب أو هي الوجود المميز لمقومات الأمة [4].

- إن الثقافة هي كل مركب وهي نتاج إنساني للتفاعل وتحتوي على عناصر مادية ولا مادية وأنها منمطة ولها طابع رمزي [5].

- الثقافة هي الناتج الفكري والقيمي والأخلاقي الذي يتخلل حياة المجتمع وحركته ، وهذا بالضرورة متفاعل مع معطياته المادية وأوضاعه الاقتصادية وتشكيلاته الاجتماعية .

- الثقافة بمعناها العام هي نظرة عامة إلى الوجود والحياة والإنسان وهي كذلك موقف من هؤلاء جميعا وقد يتجسد هذا الموقف في عقيدة أو تعبير فني أو مذهب فكري أو مبادئ تشريعيه أو مسلك أخلاقي عملي ، والثقافة بهذا المعنى الشامل هي البناء العلوي للمجتمع الذي يتألف من الدين والفلسفة والفن والأدب والتشريع والقيم العامة السائدة في المجتمع .

- وتعرف الثقافة بأنها جزء من الإنسان لا تنبع من العقل وحده وإنما تنبع في النفس البشرية وتنبع في الأحاسيس والتذوق وأكثر من ذلك في الوجدان بل

---

(1) المرجع السابق ، ص35 .
(2) المرجع السابق ، ص31 .
(3) المرجع السابق ، نفس الصفحة .
(4) المرجع السابق ، ص37 .
(5) المرجع السابق ، ص35 .

هي أيضا تتصل بالجانب الأساسي الذي ميز الله به الإنسان عن الحيوان ألا وهو الضمير .

– الثقافة هي مجموعة النشاط الفكري والفني في معناها الواسع ، وما يتصل بها من مهارات أو يعين عليها من وسائل ، فهي موصولة بمجمل أوجه الأنشطة الاجتماعية الأخرى ، مؤثرة فيها متأثرة بها ، معينة عليها مستعينة بها ، ليتحقق بذلك المضمون الواسع لها ، متمثلا في تقدم شامل للمجتمع في كل جوانب سعيه الحضاري[1].

– وتعرف الثقافة بأنها المحتوى الأخلاقي والفكري الذي يوجه السلوك العام ، ويحدد الفعل الاجتماعي المشترك ، لمجموعة سكانية محددة[2] .

ويلاحظ من ذلك أن الثقافة ترتبط بالبعد النفسي والفكري لأفراد المجتمع ، فإن الخصائص الثقافية لجماعة سكانية معينة متغيرة بتغير أحوالها المعيشية أو بتغير أفكارها وقيمها السائدة.

الثقافة تشمل مجموعة المفاهيم والمعارف والمعلومات التي تمثل هوية المجتمع وتراثه ، وما تفرزه من قيم وأعراف وتقاليد ، وهي ذات صلة وثيقة بنوعية الإنسان وسلوكه ، وثقافة الإنسان تسهم في تكوين شخصيته[3].

وتعرف الثقافة بأنها كلية معقدة من المعايير والعادات وقوائم السلوك والتمثل ، اكتسبها الإنسان بصفته عضوا داخل المجتمع[4].

بالنظر إلى كل التعريفات السابقة وتلك المفاهيم يمكن للباحث تقديم التعريف التالي للثقافة كتعريف لمفهوم الثقافة في هذه الدراسة . وهذا التعريف هو[5]:

الثقافة هي ذلك الفكر الذي يقوم بتشكيل حياة الجماعة البشرية ، فيكون عاداتها وتقاليدها ويحدد قيمها ومعتقداتها ، ويصبغ علومها وآدابها وفنونها ، ويرسم معالم حياتها المادية والمعنوية.

---

(1) محمد محفوظ ، مرجع سبق ذكره، ص19 .

(2) احمد صلاح الدين موصلي ، وآخرون ، مرجع سبق ذكره ، ص100

(3) بثينة حسنين شعاره ، مرجع سبق ذكره ، ص14 .

(4) جان ڤارنيي ، ترجمة عبدالجليل الازدي ، عولمة الثقافة ، ط1 (دمشق ، دار الفكر ، 2002) ص19 .

(5) امين سعيد عبدالغني ، مرجع سبق ذكره ، ص39 .

وإذا نظرنا إلى هذا التعريف بعين الفحص والتحليل نجد أنـــه يتميـــز بعـــدة خصائص هي :

1. أنه يجعل الفكر هو أساس بناء الثقافة .
2. أنه يحدد شروط هذا الفكر حتى يصبح أساساً للثقافة وهذه الشروط هي :
   - أن يقوم بتشكيل حياة الجماعة البشرية .
   - ويكون عاداتها وتقاليدها .
   - ويحدد قيمها ومعتقداتها .
   - و يصيغ آدابها وفنونها وعلومها .
   - ويرسم معالم الحياة المادية والروحية .

ثانياً / عناصر التعريف :

هذا التعريف يحدد عناصر الثقافة تحديداً دقيقاً ويسهل التعامل معه فـــي التحليـــل والدراسة وهذه العناصر هي[2] :

1. الفكر
2. العادات والتقاليد .
3. القـــيم والمعتقـــدات .
4. الآداب والعلـــوم والفنـــون .
5. معالم الحياة المادية والروحية .
6. يتيح إمكانية فهم أي ثقافة لأي مجتمع متى عرف نوع الفكر السائد فـــي هـــذا المجتمع .
7. يجمع العناصر المادية وغير المادية في الثقافة وبذلك يخرج بنا مـــن متاهـــة الفصل بين الثقافة والحضارة .
8. هذا التعريف يرسم معالم الطريق للتعامل مع ثقافات المجتمعات العربية بعضها البعض ومع ثقافات الآخرين في عصر السماوات المفتوحة والقرية الكونية .

---

[2] انظر المرجع السابق ، ص40 .

9. يحسم إشكالية الاصالة و المعاصرة في الثقافة العربية ، وكيف كونت عاداتها وتقاليدها وما هي هذه العادات والتقاليد وكيف حددت قيمها ومعتقداتها وما هي هذه القيم والمعتقدات ، وكيف صبغت علومها وآدابها وفنونها وما هي هذه الآداب والفنون والعلوم ، وكيف رسمت معالم الحياة العربية وهذا ينقلنا إلى البحث في مكونات الثقافة العربية .

المبحث الثاني

مكونات الثقافة العربية

تمهيد

من خلال التعريفات السابقة تظهر لنا الثقافة كحلقة وصل بين الدين والقيم الروحية من جهة ، والحضارة التي تمثل ناتج الثقافة في الزمان والمكان من جهة أخرى .

وفي ظل هذا المفهوم للثقافة ، ينظر إلى الثقافة على أنها الإطار الذي أنتجه الإنسان بناء على قيمة واستيعابه لعقيدته وتراثه الديني وتفاعلاته المتعددة داخل بنيته الاجتماعية والطبيعية في كل مرحلة تاريخية ، سواء على المستوى الفردي أو الجماعي ، ويشمل هذا الإطار أبعاداً وعناصر روحية ومعرفية وأدوات فنية وموجهات قيم ، تقاليد ، معايير للسلوك وطرائق للحياة لضمان البقاء.

أن للثقافة مكونات من أهمها : اللغة والدين ، والتاريخ المشترك لجماعة معينة ، وكذلك القيم والعادات والتقاليد السائدة في مجتمع معين ... وهذه المكونات التي تشكل أسلوب التفكير والنظر للأشياء .

اللغة تميز بين أجناس الشعوب وتكشف عن هوية صاحبها ، والدين من أهم مكونات الثقافة ، وسوف يظل الدين ومعه القومية محتفظين بكل ماليها من قيمة وحيوية ودور فعال في تشكيل الثقافة .

ولن يكون الدين والقومية أبداً ضحيتين من ضحايا الثورة العلمية والتكنولوجية والمعلوماتية والمعرفية ، على الرغم مما يردده البعض في هذا المجال والدليل على هذا : أنه لم يترتب على التقدم المشاهد الآن أي تناقض وتضاؤل في هذين الجانبين عند أي فرد أو أي مجتمع .. بل العكس هو الذي حدث ، إذ تنامى هذان العاملان .

وتنقسم مكونات الثقافة العربية إلى المعارف المكتسبة والعادات والتقاليد والأعراف والقيم والخصائص الذاتية للشخصية العربية و الثقافة الإسلامية، وهناك

مجموعة من الملاحظات التي يحسن أن نعرضها قبل البدء في شرح تفاصيل هذه المكونات هذه الملاحظات هي :

- أن هناك نوعاً من الاتصال والتداخل بين هذه المكونات سواء من حيث الفكر الذي شكل طبيعة كل مكون ، أو من حيث وجوده في نسيج الحياة العربية .

- أن كل مكون يشكل جزءاً من الكل الثقافي العربي ، وأن لكل مكون من هذه المكونات مجال عمل يختلف عن مجال المكون الآخر .

وأود الإشارة إلى أن الثقافة الشعبية وهي المعارف المكتسبة والعادات والتقاليد والأعراف والقيم تركز على علاقة الفرد بمجتمعه في حين تركز الثقافة الإسلامية على علاقة الفرد بربه ، وتحتل المساحة الكبرى في التكوين الثقافي العربي ، وهي العنصر الغالب حيث طبعت أشكال الثقافات بطابعها .

وعند النظر إلى مكونات الثقافة العربية نجد أن هذه المكونات تنقسم إلى خمسة أجزاء وناتجة عنها في نفس الوقت يتناولها الباحث على النحو التالي :

أولاً : المعارف المكتسبة (المعتقدات) :

يقصد بالمعارف المكتسبة تلك المعتقدات التي يؤمن بها المجتمع فيما يتعلق بالعالم الخارجي وهي معتقدات تكون نابعة في نفوس أبناء المجتمع عن طريق التعلم أو الكشف أو الرؤية أو الإلهام أو أنها كانت أصلاً معتقدات دينية إسلامية أو مسيحية أو غير ذلك ثم تحولت في صدور الناس إلى أشكال أخرى جديدة بفعل التراث القديم الكامن على مدى الأجيال وهي لا تختلف كثيراً في أي بلد عربي ، وقد صنف أحد الباحثين هذه المعتقدات على النحو التالي [1]:

---

(1) أمين سعيد عبدالغني ، مرجع سبق ذكره ، ص68 .

الأولياء ، الكائنات فوق الطبيعة ، السحر ، الأحلام ، الروح ، الأعداد ، الاتجاهات ، الزمن ، الأحجار والمعادن ، النظرة إلى العالم ، حول الحيوان ، حول الجسم الإنساني ، النباتات ، الأماكن ، الأوائل والأخر الألوان ، الطهارة .

ثانياً : العادات والتقاليد :

العادات والتقاليد هي فعل اجتماعي متوارث يرتكز على تراث يدعمه ويغزيه لها قوة معيارية تتطلب الامتثال الجماعي والطاعة الصارمة وتكون مرتبطة بظروف المجتمع الذي تمارس فيه .

ومن الموضوعات التي تندرج تحت ميدان العادات والتقاليد هي[1] :

1. دورة الحياة :

وتشمل الميلاد ، الحمل الوضع ، السبوع ، التسمية ، تنشئة الطفل ، الزواج الخطوبة ، الشبكة ، الزفاف ، بيت الزوجية ، التأخير في الزواج ، زواج الأقارب الرجل والمرأة بعد الزواج .

الوفاة ، استعداد الحي للموت ، العلامات التي تنبئ بوقوع الموت ، سلوك الميت قبل الموت وسلوك المحيطين بالميت قبل وبعد الموت ، إعلان الوفاة ، الغسل ، الكفن ، النعش، الدفن ، الجنازة ، الصلاة على الميت ، الجبانة ، القبر ، عملية الدفن ، المأتم ، قيود الحداد ، مناسبات ، زيارة القبر ، الرحمة ، مناسبات تقبل العزاء ، مصير الأرملة .

2. الأعياد والمناسابت المرتبطة بدورة العام وتشمل :

– الأعياد الدينية رأس السنة الهجرية ، أوائل الشهور العربية عاشوراء ، مولد النبي ، شهري رجب وشعبان ، شهر رمضان ، العيدان ، الحج .

– الأعياد القومية ، العيد القومي ، عيد الأسرة ، عيد العمال ، المواسم الزراعية ، العادات المرتبطة بمواسم الحصاد وغيرها .

---

[1] محمد الجوهري ، مرجع سبق ذكره ، ص67 .

3.المراسم الاجتماعية وتشمل مراسم الاستقبال والتوديع والعلاقات بين الكبير والصغير والغني والفقير والذكر والأنثى ، والعلاقات بين الفرد والمجتمع والطبقات والمهن ، كما تشمل العلاقات الأسرية والموقف من الغريب والخارج عن المألوف والعادات والمراسم المتعلقة بالمأكل والمشرب ، فض المنازعات والتحكيم وغيرها .

4. العادات والتقاليد المتعلقة بممارسة الأدب الشعبي والفنون الشعبية .

أ. الأدب الشعبي هو الإبداع الشعبي في مجموعة الفنون الأدبية التالية[1]: السير الشعبية ، الأسطورة ، الحكاية ، الموال ، الأغاني ، التراتيل ، والابتهالات الدينية ، الرقى ، الأمثال ، التعبير والأقوال السائدة ، النداءات الألغاز ، النكت ، والنوادر والقصص .

ب. الفنون الشعبية وتشمل العادات والتقاليد المتبعة في ممارسة الموسيقى الشعبية والرقص الشعبي والألعاب الشعبية ، كما تشمل الدراما الشعبية وفنون التشكيل الشعبي وعناصر الحياة المادية .

ثانياً : القيم :

تشكل القيم الوجه الخفي للتجربة الإنسانية ، وهي بذلك ترسم الملامح الأساسية لضمير المجتمع ووجدانه ، وتكمن وظيفتها ، بالتالي ، في تشكيل ضمائر أفراد المجتمع وتطريق سلوكهم ، وهي في هذا السياق تهدف إلى تنظيم السلوك والحفاظ على وحدة الهوية الاجتماعية وتماسكها فالقيم العربية تتضح من خلال ربط التربية الدينية ارتباطاً وثيقاً بالتربية الخلقية ، بل أن التربية الخلقية في المفهوم الإسلامي جزء لا يتجزأ من التربية الإسلامية ، حيث أن الحسن ما حسنه الدين ودعا إليه والشيء القبيح ما قبحه الدين ونفر منه ، فالقيم العليا والأخلاق الحميدة والفضائل الخلقية في المجتمع الإسلامي قد أمر بها الدين ورغب في التحلي بها في السلوك والمعاملات[2].

---

[1] محمد الجوهري ، مرجع سبق ذكره ، ص61 .

[2] عبدالفتاح محمد العيسوي ، الجانب التربوي في التقصص القرآني ، مجلة الثقافة العربية ، تصدر عن مجلس تنمية الإبداع الثقافي بالجماهيرية ، العدد 264 ، 2005 ، ص23 .

إن القيم كمكون للثقافة العربية هي الجانب المعنوي في السلوك الإنساني وهي تشكل السجل العصبي للسلوك الوجداني والثقافي والاجتماعي عند الإنسان . ويمكن القول بأن القيم تشكل مضمون الثقافة ومحتواها ، والثقافة هي التعبير الحي عن القيم ، وهذا يعني أن القيم هي المبتدأ والخبر في مستوى الفعل الثقافي الإنساني ، فالمبادئ هي قيم والغايات توجهها القيم والعادات تجسيد فعلي لحركة القيم ، والمعارف العلمية أيضاً هي ترجمة للفعل القيمي عند الإنسان ، وهي قيم بذاتيا تتحدد وفقاً لما هو مرغوب .

إن القيم العربية تشكل مضمون الثقافة ، والعناصر الثقافية ، مثل الاتجاهات والعادات والسلوك والعقائد ، وهي طبقات الوجود الثقافي فالقيم توفر للمرء صيغة سلوكية تعفيه من مغبة التناقض والصراع وتقوده إلى العفوية ، وهي حلول دائمة للمواقف التي تواجه المرء في مسيرة حياته لأنها تبين له المسارات الصحيحة للسلوك والحياة والمفاضلات القائمة في شتى ميادين الحياة[1]،خصوصاً وأن الثقافة العربية تشكل مسرحاً للفوضى القيمية وساحة للتناقضات بين القيم والمبادئ ، بين الشعارات والانجازات ، بين التصرفات والممارسات ، وبالتالي فإن الشباب الذي ينشأ في مجتمع يحفل بكل هذه التناقضات لابد له من أن يواجه المعاناة في قيمه وأن يعيش هذه الفوضى الفكرية التي تسلبه في مستوى الوعي والتصورات ، وتتزامى الثقافة العربية في نظام تتعايش داخله وبشكل تقاطعي شبكة من النزعات والاتجاهات التي يعوزها الائتلاف ويسودها الاختلاف فهناك الثقافة العربية الكلاسيكية التي تمجد الماضي وتقدسه ، وهناك الثقافة العربية الحديثة التي وبفعل ازدواجيتها يعيش فيها الفرد في ضياع شبه تام لأن زمنها الثقافي بعيد كل البعد عن ذاتية الفكر العربي وخصوصياته الحضارية والثقافية [2].

---

(1) انظر جيهان سليم وآخرون ، مرجع سبق ذكره ، ص26 وما بعدها .
(2) المرجع السابق ، ص30 .

ويمثل التفكك الذي تتعرض له القيم في مجتمعاتنا العربية ، إحدى مظاهر التخلف الثقافي ، لقد أدى انتشار قيم الغرب في مجتمعاتنا إلى تلاشي بعض القيم التقليدية من جهة ، وإلى وجود صراع مع هذه القيم الغازية من جهة أخرى [1].

رابعاً : العرف :

العرف صيغة معرفية حياتية مسيطرة على قوانين الأحوال الاجتماعية الثقافية على مدى تاريخ الحياة البشرية ، تشكل أحياناً محوراً من محاور الأصول غير المختلف عليها ، أو من المفترض ألا يختلف عليها منذ القوانين البدائية حتى قانون الحضارات المعاصرة .

والتفتيش في المضمون التحتي لمعنى العرف في الثقافة العربية يفيد الالتزام بدون سند علمي معتمد ، أو قواعد معرفية فارضة ويفيد الشيوع لحد الإلزام والدهش للمخالفة والإنكار سواء في ذلك ما يتعلق بالعرفيات المعرفية الثقافية ، أو عرفيات الموروث العقيدي المتواصلة حتى جيلنا دون سند علمي أو فقهي[2] .

وجرى العرف الأصولي على زعم أولية اللغة العربية هذه المسماة حالياً بلغة قريش التي هي لغة القرآن الكريم ، وهو زعم يصلها بآدم وأنه عليه السلام كان يتحدثها ، ومن عجب أن تجد مرجعاً أساسياً في النحو العربي وهو "الكتاب لسيبويه يستخدم بيتا من الشعر شاهداً نحوياً وجرى العرف في الثقافة العربية على تقديس سلوكات الصحابة والتابعين فتجد مواقف متعددة مع الرسول (ص) .

وجرى العرف على تقديس كل قول أو فعل قام به صحابي أو تابعي ثم إذا بك تفاجأ بهم وقد تصارعوا فيما بينهم في عهد الخلفاء الراشدين ، ثم في عهد الأمويين ، ثم في عهد العباسيين ثم يزيد التنافر والتناحر في عصر الدول والإمارات والأندلس ولازال التناحر قائماً حتى اليوم بين دول العالم العربي الإسلامي[3].

---

[1] المرجع السابق ، ص32 .

[2] حلمي محمد بدير ، العولمة والتجريب وقراءة النص ، ط1 (المنصورة ، عامر للطباعة والنشر ، 1999) ص176 .

[3] المرجع السابق نفسه .

والعرفية السائدة على المستوى المحلي في أنماط حياتنا الاجتماعية والثقافية والعقيدية والمعرفية المختلفة ، تسود أيضاً على المستوى المعرفي العالمي ، فالنظرة العلوية لازالت قائمة ، تحكم علاقات الشمال بالجنوب ، بل وتحكم علاقات بعض الشمال بالبعض الآخر[1] .

خامساً / الثقافة الإسلامية :

* *أصول المشروع الثقافي الإسلامي :*

يرجع المشروع الثقافي الإسلامي المعاصر في أصوله ، إلى جذور المشروع الحضاري الذي انبثق مع بزوغ حركات اليقظة الأولى في مناطق عديدة من العالم الإسلامي ، فهو من بعض الوجوه ، استمرار للمشروع الأول ، وتأكيد لحقيقته ، وتجسيد لطبيعته ، لأنه في العمق والجوهر ، يستند إلى رصيد الحضارة الإسلامية ، ويقوم على القواعد التي انطلقت منها هذه الحضارة ، وإن كان ذلك لا يجرد المشروع المعاصر من عناصره التجديدية ومن مكوناته الإبداعية التي تتفق وروح العصر لقد كانت المنطلقات التي انبثق منها المشروع الحضاري الثقافي الإسلامي في مطالع النهضة ، هي المبادئ الإسلامية التي تحرر الفرد والجماعة من قيود الجهل والخرافة والوهم والتي تشده إلى رواسب العادات والتقاليد المخالفة لجوهر الدين ولروح الشريعة ولطبيعة الفطرة السوية ؛ وهي المبادئ التي تُنير العقل وتضئ الوجدان وتهدي إلى العلم والمعرفة والاستنارة الحقيقية ، لا الاستنارة الموهومة ، لأن الإيمان بالله وبالإسلام ديناً ومنهجاً للحياة ، هو النور كله[2].

وعلى مدى هذه المبادئ الخالدة ، سارت المجتمعات الإسلامية في حركاتها الأولى مع مطالع القرن الرابع عشر الهجري ، تعمل على تحرير الإنسان المسلم تحريراً شاملاً كاملاً ، تحرير الأرض من المحتل وتحرير الإرادة الإسلامية من قيود الهيمنة ، وتحرير العقل المسلم من رواسب التخلف والتراجع الحضاري ، وتهيئته للقيام بمسئولياته في التغيير والتجديد والتشييد والبناء .

---

(1) المرجع السابق ، ص177 .

(2) عبدالعزيز بن عثمان التويجري ، العالم الإسلامي في عصر العولمة (القاهرة ، دار الشروق ، 2004) ص64 .

أن الأصول المشتركة للمشروع الثقافي الإسلامي في مراحله المبكرة وفي صيغته المعاصرة، وأن كانت تؤكد ترسيخ الهوية الثقافية الحضارية لهذا المشروع ،فإنها لا تعني بأية حال ، أن المشروع الراهن مكرر وصورة طبق الأصل من المشروع الأول ، لأن التكرار هنا يعني السكون والجمود عند نقطة معينة ، وهذا بخلاف الطبيعة الحركية للمشروع الثقافي الحضاري الإسلامي المستمدة أساساً من خاصية الفكر الإسلامي المنطلق نحو أغوار الذات و أعماق الكون وأبعاد الحاضر وأفاق المستقبل ، فالإسلام في تطور وتجدد مستمرين[1].

في إطار الثوابت التي لا تخضع للتطور ، لأنها العقيدة والشريعة القائمتان على كتاب الله وعلى سنة نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم إن الإسلام ركز على الإنسان وجعله خليفة على الأرض ، لأنه القدرة العاقلة به تعمر الحياة وتتواصل مسيرة التقدم، ولعل الإسلام هو أول حركة في التاريخ تتوجه إلى الإنسان بصورة شمولية إذ مادام الإنسان هو مركز الحياة في الثقافة الإسلامية فإن عوامل الإصلاح يجب أن تتوجه إليه أولاً ، وهكذا كانت نظرة الإسلام منذ بدايته، جاء الإسلام ليعدل نظرية الإنسان في المعرفة ويصححها فعلى الرغم من أن الرسول (ص) كان من أسرة كريمة ومن قبيلة عريقة فإنه لم يحقق دعوته من خلال قبيلته بل على العكس فان أول من تصدى له كانت قبيلته لأنها رأت في دعوته الإنسانية والكونية ما يهدد أمتيازاتها القبلية ومن هنا كان عليه أن يواجه العرب أول أمره بمفرده لا يحمل سوى صدق دعوته وقوة الأسس التي تستند عليها ، وكان ذلك درساً آخر في التربية لأن النجاح الذي حققه الرسول في كسب المؤيدين بقوة الإقناع والمهارة في الدعوة شهد له بأنه أمير المعلمين لأنه استطاع أن يجمع حوله حشوداً ما كان له أن يجمعها لولا هذه القدرة الهائلة التي تحلى بها[2].

---

[1] المرجع السابق ، ص64 .

[2] يوسف نور عوض ، مرجع سبق ذكره ، ص28 .

وهكذا فإن الثقافة الإسلامية ثقافة عريقة هذه العراقة تمنحها القوة والقدرة على البقاء[1].

ومع ثبات الأصول المبدئية للمشروع الثقافي الإسلامي ، فإن طبيعة المعارك الحضارية التي خاضتها الأمة الإسلامية ، اقتضت أن يتكيف هذا المشروع مع المتغيرات التي تلاحقت طوال القرن الماضي ، والتي كان لها تأثيرها على الحياة العامة، وعلى حركة الفكر في بلدان العالم الإسلامي، مما أدى إلى التنوع في الفهم وفي الاجتهاد، وفي البحث عن الصيغ المناسبة لمواجهة تحديات المراحل السابقة.

ولكن على الرغم من هذا التنوع في الرؤى والمفاهيم والاتجاهات الفكرية والاجتهادات المذهبية ، فإن الجوهر الأصيل للمشروع الثقافي الإسلامي ، لم يتغير بالقدر الذي يخرجه عن طبيعته وهويته[2].

• طبيعة المشروع الثقافي الإسلامي وأبعاده :

إن الطبيعة التي يتميز بها المشروع الثقافي الإسلامي تتجلى في القدرة الذاتية على الحركة في نطاق الواقع ، والاستجابة للتحدي ، والتفاعل مع الظواهر الفكرية والثقافية ومع الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في اتجاه ترشيدها وتقويمها والارتفاع بها من مستوياتها المادية إلى آفاق أكثر رحابة وأعمق استجابة لأشواق الوجدان و لأحلام الإنسان [3]

إن الإسلام منذ أيامه الأولى كان واضح المعالم بأنه دين عالمي غايته تقديم رسالة الحضارة الإسلامية بوصفها ضرباً روحياً خلقياً ومادياً لا يتنافى فيه الدنيوي والأخروي تنافياً انقسامياً يجعل الإنسان ممزقاً بين عالمين ، أحدهما تحكمه القوانين الطبيعية الصماء ، والثاني تحكمه القوانين الخلقية العزلاء .

---

[1] مجلة المستقبل العربي ، يصدرها مركز دراسات الوحدة العربية ، العدد 222 ، 1997 ، ص30 .

[2] عبدالعزيز بن عثمان التويجري ، مرجع سبق ذكره ، ص65 .

[3] المرجع السابق ، نفسه .

ولقد كان واضحاً كل الوضوح في لغة القرآن المكي عالمية الدعوة الإسلامية وإنسانية هذا الدين الذي يخاطب الإنسان جنس الإنسان بغض الطرف عن وطنه وقومه[1] .

كما في قوله تعالى "إن هو إلا ذكر للعالمين" [2] ، وقوله تعالى "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين"[3] ، وقوله تعالى "وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً"[4].

وهذا الخطاب موجه للناس كافة في شتى بقاعهم ومختلف أزمانهم وبكل أجناسهم وقومياتهم وألوانهم[5] فهذه الطبيعة المتحركة للمشروع الثقافي الإسلامي ، هي التي تجعل من هويته قوة دفع له ، لا قيداً على حركته ، بحسبانه مشروع مجتمعات إسلامية متحركة ، تنمو وتتطور وتتقدم ، بغض النظر عن درجة هذا النمو ومستوى هذا التطور ، وحجم هذا التقدم ، فهو إذن مشروع يعبر عن مجتمعات حية تتحرك في الاتجاه الذي ترى أنه يفضي بها إلى ما هو أفضل وأزكى .

و واقعية المشروع الثقافي الإسلامي التي هي المحصلة النهائية لطبيعته وهويته ، تقتضي أن يكون مشروعاً قابلاً للتنفيذ ، ينطوي على المقومات والمبررات والمؤهلات التي تسمح له بأن يساير المتغيرات ، وأن يتجاوب مع تطلعات المجتمع نحو كل ما يمكن أن يتطلع إليه مجتمع حي يفوز بالحياة وبالأمل وبالإرادة القوية في صياغة حاضرة وصناعه مستقبلية[6] .

وللمشروع الثقافي الإسلامي المساحة الكبرى في التكوين الثقافي العربي وقد ظهر في رسالات السماء الدينية الكبرى ، اليهودية ، والمسيحية ، والإسلام ، وتتمثل معالم الثقافة الدينية الإسلامية على النحو التالي[7] :

---

(1) محمد فتحي حماد ، العولمة ، ط1(كفر الدوار ، دار فجر للنشر والتوزيع ، 2004) ص71 .

(2) سورة التكوير الآية 27 .

(3) سورة الأنبياء الآية 107 .

(4) سورة سبأ ، الآية 28 .

(5) محمد فتحي حماد ، مرجع سبق ذكره ، ص72 .

(6) عبدالعزيز بن عثمان التويجري ، مرجع سبق ذكره ، ص66 .

(7) نور الحندي ، الثقافة العربية الإسلامية أصولها وامتدادها (بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، 1982) ص67 .

1. المعتقدات الدينية : جاء الدين الإسلامي ليقدم صورة جديدة ومتكاملة من المعتقدات وتفريعات هذه المعتقدات مما لا يقع تحت حصر ويمكن أن نستوعب أبرز خطوطها في نقاط رئيسية .

التوحيد ، التكامل ، الأخلاقية ، استقلال الطابع ، التوازن بين الروحي والمادي ، الترابط بين الماضي والحاضر ، الجمع بين الدنيا والآخرة ، القدرة على التطور ، الحرية المنضبطة ، النظرة العقلية المؤمنة ، القدرة على التصحيح الطابع الإنساني ، مفهوم التقدم ، الوسطية .

2. الشرائع الدينية (العادات والتقاليد) : تنقسم الشرائع الدينية في الإسلام إلى ثلاثة أقسام أساسية يمكن أن تمثل العادات والتقاليد الإسلامية وهذه الأقسام هي :

أ. العبادات وتشمل : الصلاة ، الزكاة ، الصوم ، الحج .

ب. المعاملات وتشمل : المعاملات مع الناس ، والمعاملات مع الأهل ، المعاملات مع المجتمع و الإنسانية .

ج. الآداب :آداب الأكل، آداب النكاح، آداب الكسب الحلال والحرام، آداب الصحبة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

3. الآداب والفنون والعلوم :

- الآداب : الشعر وفنونه ، بدءاً بصدر الإسلام ، والعصر الأموي ، والعصر العباسي ، وعصر الطوائف ، والعصر المملوكي ، والعصر الحديث .
- النثر وفنونه وخطابه والرسائل الديوانية ، والاخوانيه والمقامات .
- الفنون : العمارة الإسلامية ، وفنون التشكيل الإسلامي .
- العلوم : علوم القرآن ، علوم الحديث ، علوم الفقه ، علوم الكلام ، علوم اللغة ، العلوم غير الدينية .

4. معالم الحياة المادية الإسلامية : وتشمل أدوات الإنتاج والحرف و الصناعات الإسلامية .

والمشروع الثقافي الإسلامي يرتقي بمفهومه الشامل وبعمقه الفكـــري إلـــى مستوى المشروع الحضاري ، والذي يتجسد في الاســـتراتيجية الثقافيـــة للعـــالم الإسلامي أبعاد عملية يمكن تلخيصها في ثلاثة أبعاد[1] .

أولها : القضاء على عوامل الانحطاط والتبعية والضعف والقصور ، بعـــد تشخيصها وتبينها .

ثانيها : تقوية عوامل التقدم والنهوض بالمجتمعات الإسلامية ، انطلاقاً من الرؤية والمقومات الإسلامية .

ثالثها : العمل على إيجاد وسائل المساندة والتشجيع وفتح السبل جميعـــا للتطبيق العملي وتتكامل هذه الأبعاد مع أهـــداف الاســـتراتيجية الثقافيـــة للعـــالم الإسلامي ، والتي ترمي إلى تحقيق التغيير الأساسي على ثلاث مستويات مستوى الفرد المسلم ومستوى الأمة الإسلامية ، ومستوى البشرية عموماً .

---

[1] عبدالعزيز بن عثمان التويجري ، مرجع سبق ذكره ، ص69 .

المبحث الثالث

وسائل التعبير عن الثقافة العربية

تمهيد

ومن زاوية وسائل التعبير عن الثقافة العربية يمكن تقسيمها إلى تطور اللغة العربية ، واللغة العربية وخصوصية المكان ، حيث تباينت فيما بينها اللهجات من حيث طبيعتها وأسلوب تفاعلها مع الفكر الحديث ، والباحث سوف يوضح في هذا المبحث تطور اللغة العربية ، مع تسليط الضوء على اللغة العربية وخصوصية المكان وتباين اللهجات .

أولاً : تطور اللغة العربية :

لا جدال في أن كل لغة حية في مجتمع نام متطور يجب أن تخضع لسنة النمو وسنة التطور . فهي يجب أن تنمو لأن ذلك من علائم الحياة ، ولأن حياة اللغة متصلة بحيوية الفكر الإنساني وتقدمه ، فهي أداة تفكيره و وسيلة تعبيره ، وتوقفها عن النمو معناه سبيلها إلى الفناء والزوال ، ونمو اللغة يعني تزايداً مستمراً في محتواها من المصطلح الحضاري والعلمي للوفاء بمتطلبات التقدم العلمي والتقني والحضاري ، وهي متطلبات تتنامي يوماً بعد يوم[1].

لقد مرت اللغة العربية عبر تاريخها بامتحانات وتهيأ لها من المستلزمات والقدرات ما جعلها تجتازها ، فيتجدد بعد كل مواجهة نشاطها وتتسع آفاقها ، وكان أهم مصدر وحافز لقدراتها في اجتياز كل امتحان هو القرآن الكريم الذي كان نزوله بها بدء عصر لها سيدوم مادام آذان على وجه البسيطة ، لقد نزل بلسان عربي ، وكل لسان أسلم ينبغي أن يؤديه بلغته العربية يساوي في ذلك العربي وغيره ، فكان هذا النص المقدس مركزا انطلقت منه اللغة العربية ودارت عليه ، وفيه كل الدراسات اللغوية سواء منها ما دار في اللغة نفسها ، أصواتها وبني ألفاظها وتراكيبها ، وما دار في مجال تصحيح ما انحرف منها بعد اختلاطها

---

[1] سعدون حماد وآخرون ، مرجع سبق ذكره ، ص227 .

بألسن الأمم الأخرى ، ومفاصل الضعف والوهن التي أصابتها في مراحل فكان في عصر صراع بين القديم والجديد في مجالات اللغة والأدب والفكر ، وكل ذلك يصب في أفق اللغة وتطورها ويغنيها من جهة ويوجد الوسائل للحفاظ على كيانها وأمنها من جهة أخرى .

وبعد جمع القرآن الكريم وتوحيده في عهد الخليفة عثمان وزعت نسخ من المصحف الموحد على الامصار مكة والبصره والكوفة والشام وإضافة إلى المصحف الإمام في المدينة ، وكان جمعه للحفاظ على وحدة رسمه وعدم الخلط في أدائه ، وقد دون لأن التدوين أثبت في الحفظ تاريخياً على الرغم من بقائه محفوظا في صدور الصحابة ، وعندما كثر الإسلام واتسع احتاج هذا النص المقدس إلى ضوابط لتوضيح رسمه ، وضبط شكله ، وبيان قواعد تركيبه لأداء ألفاظه وأصواته أداء سليما ، فكان التفكير في وضع قواعد التعليم العربية لمن دخل في الإسلام من غير العرب [1].

كان هذا أول عمل لغوي واجهت العربية به موجة اللحن والاختلاط اللغوي بعد اتساع رقعة الإسلام إلى الأمم الأخرى ، ومعروف أن انتشار اللغة خارج موطنها الاصلي تكون له صفتان : أحدهما تطور اللغة باحتكاكها ببيئة اللغات الأخرى ويحدث هنا التأثير والتأثر إذ أن انتشارها في أقاليم تحتك فيها بلغات أخرى يعرضها لأن تفقد خصائصها الموغلة في الذاتية ، والتأثير الذي يقع عليها من الخارج يؤدي بها إلى التغيير السريع ومن جهة أخرى ترى أن حمل اللغة بعيداً عن موطنها يساعد الاتجاهات الكامنة فيها على التفتح بصورة أسرع وأكمل ما لو بقيت في مكانها، أما الصفة الثانية فهي ظهور الوسائل التي تحفظ اللغة وتوفر أمنها في ألسن الناطقين بها ، إذ ينبه علماء اللغة فيجتهدون في إيجاد الوسائل المناسبة لتحفاظ على اللغة الفصيحة ، إشاعة الدرس بها ثم إشاعة الوعي والتطور في الناطقين والدارسين[2].

---

[1] انظر ، زهير غازي زاهد ، العربية والأمن اللغوي (عمان ، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع ، 2000) ص33 .
[2] المرجع السابق ، ص35 .

أن للغة العربية ميزة ظاهرة ، هي منطقية تعبيرها أكثر من أية لغة أخرى وهو قول لا يحمله عليه فحز بعصبية قومية ، وإنما يصدر فيه عن دراية ومعرفة موضوعية بأساليب التعبير في العربيـــة وفـــي غيرهـــا مـــن اللغـــات القديمـــة والحديثة[1] .

– يكشف الشعر الجاهلي عن أبعاد حضارية لا يستبعد أن تصـــدر عـــن القبائل العربية وهي معروفة بانتقالها في رحاب شبه الجزيرة وما جاورها ، وقـــد أتيح لها أن تنشئ المدن والدول في جنوبها وشمالها وفـــي وســـطها وأن تخـــالط غيرها من الشعوب ، وأن تمدها بفيض من الهجرات إليهـــا أســـهمت فـــي بنـــاء حضارة وادى الرافدين ووادي النيل وبلاد الشام ، فلما شرفت العربيـــة بنـــزول القرآن الكريم بها وأحتوت تعابيرها حكمته وهدايته ، كان ذلك دليلاً قاطعاً علـــى كفايتها لأداء المعاني الحضارية في أرفع مراتبها .

– كان من أبرز عناصر الدعوة الإسلامية تأكيد مكانة الإنسان في الوجود واعتماده على هداية العقل والضمير ، وحملة المسئولية في شؤون حياته ديناً ودنيا وترتب على ذلك سعيه في التعلم وكسب المعرفة وممارسة التفكير ، فانفتحت أمام العرب والمسلمين عامة آفاق رحبة للتفاعل مع الحضـــارات الأخـــرى ولإنشـــاء حضارة إنسانية متميزة بخصائصها ، شملت العلوم والفلسفة كما شـــملت الشـــعر والآداب وعلوم اللغة نحواً وبلاغة ونقداً ، وإنمـــا يعنينـــا مـــن ذلـــك فـــي هـــذا المقام صلاح اللغة العربية أداة لاستيعاب هذه العلوم والفنون ومـــذاهب الفلســـفة وتطورها .

– فقد تطورت العربية بمفرداتها ومن بينها ما وضعته لمصطلحات العلوم وما عربته منها ، وبأساليبها وفنون التعبير بها ، وبعلومها ومـــا أدت إليـــه مـــن تأصيلها وكشف القواعد التي تتحكم بها ، نحواً وبلاغة ونظمـــاً ونقـــداً ، فكانـــت بجميع ذلك وعاء صان المعرفة الإنسانية بفلسفتها وعلومها تفاعلاً مع السابق لها ، وإبداعاً في مجالاتها وإبلاغا لمن تلاها ، فمهدت لعصر النهضة بأوروبـــا ، كمـــا كانت وعاء أبدع أدباً إنسانياً رفيعاً بما عرض من نماذج الشخصيات وبما راد من

---

[1] سعدون حمادي وآخرون ، مصدر سبق ذكره ، ص56 .

مذاهب الفكر ومنها ما تابعته بروافد خاصة بها بعض مذاهب الفلسفة الحديثة ودلت في[1] ، الحالتين على حيوية ووفرة وإمكانيات في الغنى والتطور ، وثبتت بوصفيا لغة لحضارة إنسانية سادت الفكر العالمي لعدة قرون وشعت على ثقافات الشعوب الإسلامية ، وأثرت في تطور الحضارة المعاصرة ذاتها .

– ولكن تلك الحضارة الإنسانية تعرضت ولقرون طويلة من التدهور والانحطاط من أثر جملة من العوامل منها تبدد الوحدة وتفرق الكلمة بين الحكام وتشتت البلاد إلى دويلات متصارعة ، ومنها فساد الحكم وغلبة المصالح الذاتية ومنها الغزوات الأجنبية ، وبخاصة غزوات التتار والصليبين وما تلاها من الخضوع للنفوذ الأجنبي ، ثم غزوات الاستعمار الغربي منذ القرن الثامن عشر واحتلاله أجزاء كثيرة من الوطن العربي ، امتدت وطأته في بعضها قرناً من الزمان أو يزيد ، فلا جرم أن يتأثر الفكر العربي وتتأثر اللغة العربية خلال تلك الحقبة المظلمة ، فتضاءل الفكر وغلب عليه التقليد ، وضعفت اللغة ، وطغى على الأدب نثراً ونظماً التكلف والزخرفة في الأساليب ، وفساد المحتوى والموضوعات وقد كانت العربية الفصيحة معرضة لأن تتشتت وتتبدد إلى لهجات محلية لا جامع بينها بحكم التجزئة والتخلف لولا أن الدين الإسلامي قد صانها بالقرآن الكريم والحديث الشريف وحفظها في القلوب وعلى ألسنة الدارسين وأقلام الكاتبين ، كما حفظ معها شخصية الأمة العربية طوال تلك القرون .

– فلما ظهرت طلائع النهضة الحديثة في البلاد العربية ، منذ القرن الثامن عشر ، بحكم دوافع ذاتية من باطنها كالشأن في بعض حركات الإصلاح الديني ، وبحكم المواجهة للحضارة الغربية وغزوتها الشرسة ، تجلت بواكيرها في الحركة الفكرية ، فكان من آثارها نشر كتب التراث العربي الإسلامي ، ونمو الإصلاح الديني ، فسرت تلك الآثار إلى أقلام الكتاب وألسنة الشعراء وأصابت اللغة العربية حظها من الانتعاش والتطور ، وما زالت تسترد عافيتها تدريجيا[2].

---

[1] المرجع السابق ، نفسه .
[2] المرجع السابق ، ص57 .

تضافر على ذلك عوامل منها ظهور الطباعة وإنشاء الصحافة ونشاطها، وأهمها انتشار التعليم وبروز نوابغ من الأدباء والشعراء ، وتأسيس الجامعات وممارستها لمناهج البحث الحديثة، والانفتاح على الثقافات الإنسانية ، وإنشاء المجامع وعنايتها بوضع المصطلحات والكشف عن أصول اللغة واتجاهات تطورها، فما زالت اللغة العربية من خلال هذه العوامل على تعددها تحظي بنصيبها من دواعي النهضة والتطور فتتجدد الأساليب وتسلم من آثار التكلف والزخرف والتقليد، ويغنى الأدب العربي الحديث بطائفة من النابغين المبدعين، شعراء وناثرين، وتبرز فيه فنون القصص والروايات والتمثيليات، إلى جانب فنون الرسائل والفصول والمقالات، ويبلغ حظاً من التعبير عن صور الحياة وعن تطلع الأمة العربية إلى الوحدة والحرية والتقدم[1].

– اللغة العربية تتطور ، لأن متطلبات الحياة اليومية تتجدد باستمرار لعوامل مختلفة ، حيث أن الكثير من المفاهيم والوسائل والأدوات قد يصبح بدائياً بمرور الزمن ، فيزول ويحل سواه محله ، وقد يتغير مدلول بعض تلك الألفاظ مع تقادم الزمن تبعاً لقانون التطور ، لمواكبة التقدم والتطور الحضاري والعلمي ، لأن الفكر واللغة صنوان ولا سبيل لتقدم أحدهما مع توقف الآخر[2] .

إن هذا النمو السريع في لغتنا العربية ، الذي تقتضيه متطلبات التقدم والتطور العلمي والفكري في مجتمعنا العربي ، يستدعي بذل أقصى العناية في توخي الدقة العلمية وتجنب كل ما من شأنه أن يسبب اللبس والغموض ، وهو من ثم يقتضي فرض رقابة دقيقة صارمة إزاء هذا السيل الجارف من الأسماء والمصطلحات التي تتطلبها المفاهيم والمدالين الجديدة ، لضمان إتباع السبل القويمة في اختيارها صحيح أن اللغة العربية تتطور ولكن يجب أن نحافظ على هذا التطور السريع ، بأن نحرص على عدم انجرافها في تيار حشد كبير من ألفاظ الدخيل والمفردات العامية والاشتقاقات والصيغ المغلوطة ، فنحافظ على سلامتها ويحفظ لها أصالتها وهويتها[3].

---

(1) المرجع السابق ، نفسه .
(2) المرجع السابق ، ص227 .
(3) نفس المرجع ، ص228 .

والخلاصة أن اللغة العربية قديمة ذات أصالة وحضارة ، نشـــأت ونمـــت وتطورت حتى وصلت إلينا بشكلها الحالي ، والتي أطلق عليهـــا اللغـــة الأدبيـــة المشتركة ، وهي اللغة الفصحى التي أنزل بها القرآن الكريم وواكبت الحضـــارة الإسلامية في عصورها المختلفة ، مما اكسبها صفة العالمية ومرت خلال تطورها بتجربة رائدة وفريدة عندما أصبح ينطق بها أو يردد قسماً من ألفاظها كل من أمن بالدين الإسلامي ، وتحمس لها كثير من المسلمين من غير العرب ، فأبدعوا فـــي دراستها وأخذوا يكتبون بها بالإضافة إلى لغتهم الأصلية ، وتمكنت من اســـتيعاب الحضارة الإسلامية ، وأصبحت لغة العلوم والآداب والفنـــون المختلفـــة ، كمـــا انتصرت على كثير من اللغات الأخرى التي احتكت بها بعد انتشار الإسلام إلـــى بلدان لا يتكلم أهلها اللغة العربية ، فكانت الغلبة دائماً للغة القـــرآن فـــي الـــبلاد المفتوحة .

ومازالت لغتنا اليوم تقارب في ألفاظها وتراكيبها اللغة التي نزل بها القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرناً ومرد هذا إلى أنها "لغة القرآن" ، والقـــرآن العظـــيم فضلاً عن كونه كتاب المسلمين الأقدس هو كتاب العربية الأول ، نمـــوذج رائـــع معجز للبلاغة والبيان ، كل ذلك جعل لغة القرآن قدوة للكتاب ، ورائداً للأدباء في كل عصر فظلت لغتنا الفصيحة حتى اليوم قوية الشبه وثيقة الصلة بلغة العـــرب في مطلع العصر الإسلامي ، مما حال دون أن يلم باللغة العربية كبير تطور كذاك الذي أصاب سائر اللغات العالمية ، مما باعد بين لغتنا الفصحى المتبلورة ولغتنـــا العامية المتطورة ، واللغة كما أسلفت كائن حي يتطور كالكائنات الحية ، فمفهـــوم الزمن يجب أن يدخل في موضوع فلسفة اللغة العربية ، ووجوب تطورها ، ولـــو أن معاجمنا ليست مبنية على فكرة تطور المعاني وليس لدينا معجم تاريخي للغة.

ثانيا : اللغة العربية وخصوصية المكان (اللهجات) :

اللغة العربية الفصحى كغيرها من اللغات الأخرى تفرعت عنها لهجـــات ، إنها انتشرت في مناطق واسعة متباعدة من شبه الجزيرة العربية مما جعلها لهجات مختلفة ، فمن المقرر في قوانين اللغات أنه متى انتشرت اللغة في مساحة واســـعة

من الأرض وتكلم بها طوائف مختلفة من الناس استحال عليها الاحتفاظ بوحدتها الأولى أمداً طويلاً ، فلا تلبث أن تتشعب إلى عدة لهجات لم تفلت اللغة العربية من هذا القانون العام فقد انقسمت منذ أقدم عصورها إلى لهجات كثيرة يختلف بعضها عن بعض في كثير من مظاهر الصوت والدلالة والقواعد والمفردات ، واختصت كل قبيلة وكل جماعة متحدة في ظروفها الطبيعية والاجتماعية بلهجة من هذه اللهجات[1] .

فاللهجات العامية هي وسائل التخاطب والتفاهم العادية التي ينشأ الفرد على استعمالها عفوياً من طرف أسرته وبيئته الاجتماعية المحلية والممتدة ، ولا شك أن وجود اللغة العامية واللهجات المختلفة في العالم العربي سيثير بعض الذين لا يعرفون أن شعوب العالم العربي تستخدم لغتين متباينتين أو أولئك الذين لا يتصورون الأمر على أنه أكثر من لغة فصيحة لها لهجة أو عدة لهجات مرتبطة ، بخصوصية المكان وليس الأمر على هذا النحو لأن اللهجة في التعريف اللغوي لا تعدو أن تكون اختلافات في المنطوق الصوتي غير مأثور في اللغة الفصيحة ، فيما يظل جوهر التركيب النحوي محتفظاً بشخصيته الأصيلة .

والأمر بالنسبة للغة العربية غير ذلك لأن جوهر التركيب النحوي والصوتي في اللغات العامية مغاير للتركيب النحوي في اللغة الفصيحة والاشتراك بين العامية والفصحى يكمن في الألفاظ وحدها ، وليس ذلك كافياً لكي يوحد بين اللغتين ، ذلك أن عوامل البيئة والزمن والثقافة قد تحدث تأثيرها[2] ، في الألفاظ وعندها سنجد كل شعب عربي يتكلم لغة يصعب ربطها بالفصحى ربطاً مباشراً وتثبت كتب اللغة العربية والنحو وجود اختلافات في اللهجات التي سادت شمال الجزيرة العربية ووسطها[3].

وتبدو مظاهر اختلاف هذه اللهجات في المشترك وفي التضاد ، وفي الترادف وفي القلب ، وبعد أن تصارعت هذه اللهجات لكثرة الاحتكاك بفضل التجارة وتبادل المنافع ، والتنقل وراء الكلأ ، ومجاورة القبائل العربية بعضها

---

(1) مذاب مهدي محمد الموسوي ، مباحث لغوية من حياة اللغة العربية ، (دار البلاغة ، 1992) ص16 .

(2) محمود الذوادي ، التخلف الأخير ، ط1 (تونس ، الأطلسية للنشر ، 2002) ص89 .

(3) محمود فهمي حجازي ، علم اللغة العربية (القاهرة ، دار غريب للطباعة والنشر ، بدون سنة نشر) ص234 .

لبعض وكذلك تجمعها في المراسم المختلفة في الحج ، الأسواق ، والحروب الأهلية، ظلت في صراع مرير حتى كتب النصر أخيراً للهجة القرشية لأسباب مختلفة وهي[1] :

1. بعد أهلها عن بلاد العجم من جميع جهاتهم ولهذا لم يحتج أهل صناعة العربية إلا بلسانهم أو ماكان قريباً منه ، ولم يعتمدوا لغات القبائل التي تجاور غيرها من الأمم كلغة " لخم وجذام وقضاعه وغسان" .
2. أن العرب كانوا يفدون عليهم في موسم الحج ، ويقيمون عندهم فيتخيرون من لغات أولئك الوفود ماخف وقعه على الأسماع ويرفضون كل ما يثقل على الذوق ولا يجد في السمع مساغاً .
3. العامل الديني ، والسلطان الاقتصادي ، والنفوذ السياسي ، لكونها أوسع اللهجات العربية ثروة وأغزرها مادة وأرقها أسلوباً وأقدرها على التعبير ، لذلك طغت على جميع اللهجات الأخرى في المحادثة [2]. وانفردت في ميادين الأدب شعراً وخطابة ونثراً ، فأصبح الشاعر يبتعد عن النظم بلهجة قبيلته ، فينظم قصيدته بلهجة قريش وهكذا تمت نشأة اللغة العربية المشتركة قبل الإسلام وإن مجيء الإسلام ، ونزول القرآن الكريم بلسان عربي مبين قوي من مكانة وخصوصية اللغة العربية وساعد على انتشارها بين الأمم الأخرى.

ومن المعروف أن اللغة عندما تنتشر في مناطق واسعة من الأرض تحت تأثير عامل أو أكثر من العوامل التي تؤدي لانتشار اللغة ، وتكلمت بها طوائف مختلفة من الناس استحال عليها الاحتفاظ بوحدتها الأولى فترة طويلة ، فلا تلبث أن تتشعب إلى لهجات وتسلك كل لهجة من هذه اللهجات في سبيل تطورها منهجاً يختلف عن منهج غيرها [3].

وهكذا كان لابد أن ينطبق هذا المبدأ على اللغة العربية عند انتشارها بعد الفتوحات الإسلامية الواسعة ولم تستطع العربية الفصحى أن توقف هذا التيار الجارف ، تيار العامية ، كما لم تستطع قواعدها أن تسيطر على ألسنة الناس ،

---

[1] بدر الدين أبوصالح ، المدخل إلى اللغة العربية ، ط2(حلب ، دار الشرق العربي ، بدون سنة نشر) ص130 .

[2] مؤلف مهدي محمد الموسوي ، مصدر سبق ذكره ، ص17 .

[3] المرجع السابق ، ص38 .

فاستمر التحرر من قواعد الإعراب ، واستمر توليد الألفاظ ، فتكونت بسبب ذلك لهجات عربية حديثة في كل إقليم عربي[1] .

وأصبح شيوع اللهجات العامية معروفاً في تعدد اللهجات العامية وشيوعها بين المواطنين في البلاد العربية لغة للكلام في البيوت وفي السوق وفي الحياة العامة ، وفي كثير من المؤسسات حتى لتسري إلى بعض أجهزة الإعلام والثقافة ، ولذلك أسباب تاريخية وجغرافية ، ومتضمنات مجتمعية وثقافية[2] .

وقد ظهرت في القرن العشرين ، في بعض البلاد العربية ، دعوات لتبني اللهجات العامية لغة للثقافة والتعليم ، بحجة انتشارها بين الجماهير ويسرها على العاملين وهي دعوات جاءت طوائعها على ألسنة رجال الاستعمار ، وبشر بها ودافع عنها ذوو النزعات الإقليمية وبخاصة في مصر ولبنان ، كما كان من ورائها بعض المؤسسات الأجنبية تشارك فيها بصيغ مختلفة وبأساليب ماكرة ، من بينها رصد ذخيرة الأطفال اللغوية والكلمات العامية الشائعة بينهم ، ولا تخفي في هذه المشاركة أهدافها ومهماتها .

وتتعدد الأخطار من شيوع اللهجات العامية في الوطن العربي ، وتلتقي فيها الجوانب التربوية والثقافية بالجوانب الاجتماعية والسياسية ، ونجمل بعضها على الوجه الآتي [3]:

1. إن شيوع العامية بين الجماهير يصرفها عما يكتبه قادة الفكر في الأمة ، ويحرمها من غذاء فكري لا تستغني عنه وهي تهتم بتغيير أساليب حياتها .

ومن جانب آخر ، فإن ضعف الصلة بين قادة الفكر وبين الجماهير فيه خسارة أولئك القادة أنفسهم ، لأنه يعزلهم عن واقع الحياة في مجتمعهم وهو ميدانهم الطبيعي ، ويفقدهم الدافع المعنوي الذي هم في حاجة ماسة إليه لمواصلة الإبداع وبخاصة حين تنقطع صلتهم بالجماهير وما يمكن أن يصدر عنهم من الإعجاب والتأييد .

---

(1) المرجع السابق ، نفسه .

(2) سعدون حمادي وآخرون ، مرجع سبق ذكره ، ص61 .

(3) المرجع السابق ، ص63 .

2. ولعل الخسارة على المجتمع تكون أشد في انقسام الشعب إلى فئتين منعزلتين إحداهما عن الأخرى ، فئة قادة الفكر من النوابغ والمبدعين ، وفئة الجماهير المحرومة من غذاء فكري رصين ، مما لا يستقيم مع الوحدة الشعبية المؤملة في اتجاهات الثقافة العامة وما تنطوي عليه من الإعراب عن طبيعة الحياة وتفاعلاتها وعن الشخصية القومية للأمة بتمامها .

3. إن اقتصار الجماهير على العامية وعجزهم عن فهم الفصيحة وعن استساغتها فضلاً عما فيه من حرمانهم من الغذاء الفكري الناشي في حاضرهم يعني عزلهم إلى حد بعيد عن المصادر الأولى لعقيدتهم كما تمثل في القرآن الكريم وفي الأحاديث النبوية الشريفة وعن التراث الفكري لأمتهم في ماضيها الزاهر وما اشتملت عليه الحضارة العربية الإسلامية من ذخائر في العلم والفلسفة والآداب ويترتب عليهم انقطاعهم عن جذور ثقافتهم وأصالتها ، وفي ذلك خسارة روحية وفكرية ، بما لابتعادهم عن خصائص أمتهم و عن مزايا شخصيتها القومية كما تكونت على خير صورها .

4. وإذا كانت الأخطار السالف ذكرها المترتبة على شيوع اللهجة العامية يمكن أن تحصل مجتمعة ومتفرقة في القطر الواحد ، فإنها تتضاعف حين تعدد الأقطار في الوطن العربي وتباين اللهجات المحلية ، وتختلف المواقف منها فتؤدي إلى ترسيخ التجزئة على الصعيد القومي ، وتضعف اللغة الفصيحة في تأثيرها بوصفها رابطة قومية تشد المواطنين إلى وحدتهم الفكرية وتتعرض الأمة العربية إلى التشتت فتتبدد إلى مجموعات سكانية مختلفة في ثقافاتهم وفي اتجاهاتهم وتعطل حركتها نحو الوحدة وتشل إمكانياتها في المنعة والتقدم.

المبحث الرابع

مخرجات الثقافة العربية

تمهيد

الشعر والنثر كلاهما حقل إبداعي له خصوصيته وله مقوماته ووظائفه ، وكلاهما صادر عن تميز في ملكة المبدع من جانب ، وعن سيطرته على أدواته بوصفها أداة لنقل تجاربه إلى الآخرين من جانب آخر .

وحول طبيعة التمييز بين لغة الشعر ولغة النثر كمخرجات للثقافة العربية تستوقفنا سمة التعريف بهما وسوف نوضح ذلك في الآتي :

أولاً : الشعر العربي :

1- ماهية الشعر :

ما من شك في أن مفتاح الإجابة على هذا السؤال ، يكمن في البحث عن مفهوم هذه اللفظة في لغتنا العربية ، ولن يتأتى لنا هذا ، إلا بتتبعنا لتطورها الدلالي في هذه اللغة ، منذ كانت ذات دلالة مادية حسية ، ثم تطورت بعد ذلك إلى دلالة معنوية ونفسية ، وأصبحت مصطلحاً على ذلك الفن القولي المنغم .

ويبدو أن هذه اللفظة ترجع في لغتنا إلى أصل مادي حسي ، هو شعر الجسد ، يقول صاحب لسان العرب (والشِعر والشَعر ، مذكران ، نبتة الجسم مما ليس بصوف ولا وبر ، للإنسان وغيره ، وجمعة أشعار وشعور) ثم أطلق هذا الاسم الشعر بالفتح على النبات ، الذي ينبت في الأرض اللينة ، تشبيهاً له بشعر الجسد ، الذي ينمو في منابت لينة كذلك [1].

ثم استخدم الفعل أشعر للدلالة على ظهور الشعر في الجسد ، ثم تطورت دلالته من الظهور المادي ، إلى الظهور المعنوي ، يقول صاحب اللسان (وأشعر الأمر ، أشعره به ، أعلمه إياه) ، ويقول صاحب أساس البلاغة (وأشعرت أمر فلان جعلته مشهوراً) .

---

[1] عثمان موافي ، من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي المعاصر (الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، 1994) ص17 .

والشعر علم ، وقد كان بالنسبة للعرب في الجاهلية ديوان علمهم ومنتهى حكمهم ، به يأخذون وإليه يصيرون .

والعلم في أصل معناه سماع وشعور ، ثم تطور بعد ذلك ، إلى أن أصبح معرفة مسموعة أو مكتوبة ، والشاعر على كل حال ، هو الذي يشعر بما لا يشعر به غيره من الناس[1] .

ولذا فليس بغريب أن يعتقد العرب أن لكل شاعر شيطاناً ، يلهمه شعره ، ومن ثم فالشياطين ، حسب زعمهم ، هم مصدر إلهام الشعراء .

ولا شك أن الكلام ، الذي ينبع من مشاعر أولئك الناس ، الذين كانوا يشعرون بما لا يشعر به غيرهم ، كان يتميز عن الكلام العادي ، ببعض الخصائص الفنية ، فهو أصوات انفعالية مسموعة ، تنبع من مشاعر الشاعر وأحاسيسه مخاطبة مشاعر الآخرين ، ومثيرة إياها بما تحمله من انفعالات تعبر عن الفرح والسرور أو الحزن والغضب .

ومهما يكن من أمر ، فقد أدى التطور الدلالي لكلمة شعر في العربية إلى أن أصبحت تعني ، ذلك النوع من الكلام ، المنغم المثير ، الذي يفيد علماً ومعرفة ببواطن الأمور ، وخفايا النفوس وحقائق الحياة[2] .

وظل هذا النوع من الكلام يحفظ ويتناقل في البيئة العربية ، قبل الإسلام وبعده جيلاً بعد جيل ، حتى جاء عصر التدوين ، وبدأ الشعر يعرف كعلم ذي موضوع ، مثل جميع العلوم الأخرى ، كما بدأ يعرف أيضاً كصناعة مثل سائر الصناعات ، وبدأت حركة التدوين في القرن الثاني للهجرة ، مع علوم اللغة والحديث والأخبار والمغازي ، واشتدت مع بداية القرن الثالث للهجرة ، وهي الفترة التي شهدت تدوين الشعر ، وسمحت بظهور بعض الكتب الأدبية والمجموعات الشعرية ، وبعض المؤلفات النقدية [3] .

---

[1] المرجع السابق ، ص18 .

[2] المرجع السابق ، ص19 .

[3] المرجع السابق ، ص20 .

وفي هذا المناخ الجديد ، بدأت تظهر بعض التصورات والمفاهيم النقدية ، التي تمس الشعر ، من حيث تعريفه وطبيعته ووظيفته ، وبعض قضاياه اللغوية والإيقاعية [1] .

وبذلك أصبح الوزن سمة جوهرية ، من سمات الشعر ، تميزه عن غيره من الفنون القولية ، ودخلت هذه اللفظة – شعر ، بيئة النقد الأدبي واكتسبت بذلك دلالة اصطلاحية ، إذ شرع النقاد يضعون تعريفاً محدداً لها ؛ ولكنهم تباينوا في ذلك ، تبعاً لتباين مصادر ثقافاتهم ، وتبعاً لتباين اتجاهاتهم النقدية والبلاغية .

ويعد قدامه بن جعفر (377هـ) من أوائل النقاد ، الذين وصل إلينا عنهم ، تعريف لهذا الفن القولي ، ومؤداه ، أن الشعر قول موزون مقفي ، يدل على معنى[2].

ويعرف ابن رشيق القيرواني في كتابه عمدة الشعر ، ويذكر عناصره فيقول : أنه مكون من أربعة أشياء ، وهي اللفظ والوزن والمعنى والقافية ، فهذا هو حد الشعر لأن من الكلام موزوناً مقفي وليس بشعر لعدم الصنعة والنية كأشياء انزلت من القرآن ومن كلام النبي (ص) وغير ذلك مما لم يطلق عليه أنه شعر[3] .

ويقول ابن فارس في الشعر : "الشعر كلام موزون مقفي دال على معنى ويكون أكثر من بيت" ، والشعر ديوان العرب وبه حفظت الأنساب وعرفت المآثر ، ومنه تعلمت اللغة ، وهو حجة فيما أشكل من غريب كتاب الله ، وغريب حديث رسول الله (ص) ، وحديث صحابته والتابعين " ويقول ابن خلدون "وهو الكلام الموزون المقفي ومعناه الذي تكون أوزانه كلها على روي واحد وهو القافية"[4] .

وجاء في كتاب الشعر لابن سينا : "نقول نحن أولاً إن الشعر هو الكلام مخيل مؤلف من أقوال موزونة متساوية" ، وعند العرب مقفاة ومعنى كونها موزونة أن يكون لها عدد إيقاعي ، ومعنى كونها متساوية هو أن يكون كل قول منها مؤلفاً

---

[1] أحمد الطرابيسي ، النص الشعري <u>بين الرؤية البيانية والرؤيا الاشارية</u> ، دراسة نظرية وتطبيقية (القاهرة ، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع ، 2004) ص35 .

[2] عثمان موافي ، مرجع سبق ذكره ، ص20 .

[3] منيف موسى ، <u>في الشعر والنقد</u> (بيروت دار الفكر العربي ، 1993) ص11 .

[4] المرجع السابق ، ص12 .

من أقوال إيقاعية فإن عدد زمانه مساوٍ لعدد زمان الآخر ومعنى كونها مقفاة هو أن تكون الحروف التي يختم بها كل قول منها واحدة[1].

وعرّفه أبو العلاء المعري فقال (الشعر كلام موزون تقبله الغريزة على شرائط ، وإن زاد أو نقص أبانه الحس) وهذا التعريف على ما فيه من إيجاز يمس قلب الشعر وروحه ، ويربط بين تجربة الشاعر ، وتجربة المتلقي للشعر .

وقد أدرك أبو الحسن الجرجاني هذه الحقيقة إدراكاً واعياً ، وهو بصدد الحديث ، عن العناصر الأساسية ، التي تشترك معاً ، في تكوين التجربة الشعرية فقال "إن الشعر علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء ، ثم تكون الدربة مادة له ، وقوة لكل واحد من أسبابه ، فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرز ، وبقدر نصيبه منها ، تكون مرتبته من الإحسان"[2].

– ولا بد لنا من أن نورد بعض تعريفات الفرنجة في هذا الفن الأدبي الرائع فيما يلي[3] :

فيقول فيه وردزورت : "أنه الحقيقة التي تصل إلى القلب رائقة بوساطة العاطفة" .

ويقول رسكن ، أنه "عرض البواعث النبيلة للعواطف النبيلة بواسطة الخيال" .

ويقول شلي : " أنه تعبير الخيال " .

ويقول إمرسن : "الشعر هو المحاولة الخالدة للتعبير عن روح الأشياء" .

ويقول ماثيو ارنولد : "أن الشعر نقد الحياة في حالات تلائم هذا النقد، بتأثير قوانين الحقيقة والجمال الشعريين" .

ويقول ستدمان : "الشعر هو اللغة الخيالية الموزونة التي تعبر عن المعنى الجديد والذوق والفكرة والعاطفة وعن سر الروح البشرية" .

ويقول بول فاليري : "الشعر لغة خلال لغة ".

---

[1] المرجع السابق ، ص13 .

[2] عثمان موافي ، مرجع سبق ذكره ، ص23.

[3] مليف موسى ، مرجع سبق ذكره ، ص14 .

ويقول شاعر رمزي فرنسي : أن الشعر لا يكون شعراً إلا بالاتصال بين روحين منسجمين ، هما روح الشاعر وقارئ شعره .

الخلاصة من خلال التعاريف السابقة ، لا نستطيع الوصول إلى تعريف قاطع للشعر ، فكل واحد من الأئمة السابق ذكرهم ، أنما نظر إلى الشعر من خلال صنعته وعلمه .

فالشعر فيما أحسب لغة عالمية ، حروفها ممتدة من دهاليز النفس الإنسانية ثم لا تعرف في الاتجاه سبيلا سوى إليها فهي من تلك الدهاليز وإليها تنقلب وتعود أنها المنبع والمصب في آن واحد .

هذه اللغة ، تحمل لوناً واحداً يفهمه الجميع ، وتكتسي طابعاً فريداً ، يعشقه الجميع ، من دون أدنى اعتبار للجغرافيا والثقافات والحضارات هو ذا الشعر، لغة القلب الواحد ، والروح الواحدة ، واللون الواحد ، والحلم الواحد .

2. الشعر الجاهلي :

يعتبر الشعر العربي قبل الإسلام من المصادر الهامة لتاريخ العرب وحضارتهم بشبه الجزيرة العربية قبل الإسلام ، حتى وإن لم يكن في ذاته نصاً تاريخياً ، وأنه يذكر حوادث سطحية دون ربط بينها ، ولكن دراسة التاريخ الآن قد أصبحت في المقام الأول دراسة مجتمعات ، ولم تعد تقتصر على التعرف على حياة الأفراد في ذاتهم لتتخذ من هذه الحياة محوراً أو هدفاً أساسياً ، سواء كان هؤلاء الأفراد حكاماً أو غير ذلك من المناصب التي يتولونها ، لأنهم بدون المجتمعات لا يمكن أن يستطيعوا أن يحدثوا شيئاً في تغير المجتمع مهما كانت قوة شخصيتهم وبرز دور الأدب كواحد من هذه المصادر الرئيسية في كتابة التاريخ العربي قبل الإسلام ، وقد كان الشعر هو الصدارة البارزة التي اتخذها الأدب العربي في عصر ما قبل الإسلام ، ولكن لا ينبغي أن نأخذ الشعر كما هو على أنه حقائق تاريخية أو حضارية برمتها ، فالشاعر أحياناً قد يبالغ ، وقد يتخيل حتى ولو تحدث عن حقائق ، فهو يبرزها من خلال انفعاله الخاص بها [1].

---

[1] عبدالله خليفة الحياط ، تاريخ العرب قبل الإسلام ، ط1 (بيروت ، دار الكتب الوطنية ، 1992) ص30 .

والشعر العربي قبل الإسلام ديوان العرب ، لأنه سجل لأخلاقهم وعاداتهم ودياناتهم وعقليتهم ، به حفظت الأنساب وعرفت المواقف الجليلة ، وفيه ذكر لحوادث العرب ومواقفهم الحربية ، ومنه انتشرت اللغة العربية .

وقد جمع الشعر العربي قبل الإسلام من رواة حاذقين تخصصوا في رواية الشعر العربي ، وكان أولهم حماد الراوية وأبو عمرو بن العلاء وخلف بن حيان وأبو محرز الأحمر وأبو عبيدة والأصمعي والمفضل بن محمد الضبي الكوفي وغيرهم ممن تفرغوا له وصرفوا جل وقتهم في جمعه وحفظه وروايته [1].

ولم ينج هذا الشعر أيضا من النقد ، فهناك من تحامل على العرب وأنكر وجود شعر لدى العرب في العصر الذي سبق الإسلام واعتبروا أن ما وصل إلينا عن طريق الرواة ، أو من نقل عن هؤلاء الرواة في عصر لاحق للعصر الجاهلي بعدة قرون ، ولكن هذه الأدلة مردودة عليهم ، لأن التغيير أو النقصان أو الزيادة يكون أمراً وارداً بشكل أكثر في العصور التي تعتمد أساساً على الرواية الشفهية في نقل الشعر من جيل إلى الجيل الآخر ، ولا يمكن للشاعر أن يغير فيها شيئا ، ولا يوجد ما يدعوه إلى ذلك لأنها من صميم البيئة مثل الحيوانات والملابس والبيوت أو الخيام والآلهة والمعتقدات والشعائر والطقوس وأسماء الاماكن التي يقيمون فيها أو يرتحلون إليها ، سواء كانت مدناً أو قرى ، وكذلك الطرق التي كانوا يسلكونها أثناء ورود قوافلهم وتنقلاتهم والأسواق التي يوجدون فيها لبيع بضائعهم ويمكن التحقق من ذلك عن طريق المقارنة بما يصل إلى أيدينا من مصادر أخرى كالنقوش والآثار وكتابات المؤرخين والرحالة والجغرافيين ، ولذلك فإن ما تركه لنا الشعراء العرب عن أحوال الجزيرة العربية قبل الإسلام ليس بدعاً أو أمراً غير عادي[2] .

فقد حفظ لنا الشعر العربي القديم صوراً من حياة العرب قبل الإسلام ، الجد واللعب والحب والبغض ، أيام الخصب والرخاء وأيام القحط والبؤس ، وفي أيام السلم والحرب ، إلى غير ذلك من الحالات التي عرفوها وعاشوها ، ومن أشهر

---

[1] المرجع السابق ، نفسه .

[2] المرجع السابق ، ص31 .

شعراء الجاهلية امرؤ القيس وعلقمة والفحل وأوس بن حجر وعبيد بن الأبـــرص وطرفه بن العبد وعمر بن كلثوم والنابغة الذبياني وعنترة بن شداد وغيرهم مـــن الشعراء المشهورين[1] .

3. منبت الشعر العربي القديم :

نمت نبتت الشعر في شبه الجزيرة العربية كما هو معروف ، ولقد وصفها أمرؤ القيس وصفاً دقيقاً فيه روعة التصوير ، وجمال الإيقاع ، حيث لون لوحتـــه بلون ذي نكهة عذبة ، تحس وأنت تقرا أبياته كأنك ترى المطر ينزل ، والســـيل المتدفق وكأنك تشاهد البيئة وهي تستقبل تلك السيول فتمور ، وتفـــور ثـــم تهتـــز أرضها ، فتربوا وتنبت من كل شيء بهيج[2] .

وكان العرب يفرحون الفرح كله ويسرون أعظم السرور حين يرون هـــذه السيول وقد جرت بها الأودية وفاضت شعابها فعمت القيعان و السهول ، لتكسبها الخصب والنماء ، فتجود لهم بالرزق الوفير ، والخير العميم ، فهو غيث يغيـــث الأرض والطير والحيوان قبل أن يغيث الإنسان ؛ فيه يرق النسيم ويلطف الجـــو الحارق ، وتهتز الأرض ، لتلذ عشبا ، وزهراً بهيجاً يافعاً[3] .

4- نشأة الشعر العربي وتطوره :

إن الشعر الجاهلي الذي يُرى ، تام الشكل ، متسق القوافي ، قائم الأوزان ، موحد اللهجة ، راقي الطبيعة ، معقدها ، وهذا النتاج التام ، لا يمكن أن يكون قـــد نشأ هكذا ، ولا يمكن أن يكون نتاج بيئة ساذجة بسيطة ، أو أن يكون هذا الشعر ، هو النتاج البدائي ، للشعر العربي القديم ، فلا بد للشعر العربي من أن يكون قـــد مر بمراحل بدائية بسيطة ، من حيث التركيب والغرض والأفكار[4].

---

(1) عبدالحكيم عنقاب الكعبي ، أحمد محمد الدبشة ، دراسة في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ط1 (مصراته ، دار الشعب للطباعة والنشر والتوزيع ، 2005) ص15 .

(2) احمد جهان القورغلة ، القيم التربوية في الشعر العربي القديم ، ط1 (مصراته ، دار مكتبة الشعب ، 2003) ص15 .

(3) المرجع السابق ، نفسه .

(4) مصطفى موسى ، مرجع سبق ذكره ، ص21 .

ولا يُعرف على وجه التحقيق ، متى نشأ الشعر العربي ، ولا كيف ، وقد جاء في كتاب مروج الذهب : أن مضر بن نزار بن معد سقط عن بعير له في بعض أسفاره فانكسرت يده فجعل يقول يا يداه يا يداه ، وكان من أحسن الناس صوتاً فاستوسقت (أي انقادت) الإبل وطاب لها السير فاتخذه العرب حداءً يرجز الشعر وجعلوا كلامه أو الحداء فمن قول الحادي ياهديا ياهديا ويا يداه يا يداه ولعل الهزات الأربع المتتابعة في سير الناقة أرشدته إلى إيقاع حداثة على أجزاء رباعية فكان من الحداء الرجز وهو على ما يقولون أول بحور الشعر لقربه من النثر وسهولة مزاولته ، (حتى سموه حمار الشعراء) ومثل هذه الرواية لا يعول عليها في نشأة الشعر ، لأن فناً معقداً كالشعر لا يجيء ارتجالاً [1].

ويغلب على الظن ، أن الشعر نشأ مع الغناء ، وصلته بالغناء ، يعززها القول ، أنشد الشعر ، وقد استعملها القدماء ، ولم يقولوا تلا الشعر ، والإنشاد ، والنشيد ، نوع من التطريب ، والغناء ، والموسيقى ، ونشيد الأناشيد ، في التوراة ما هو إلا ترجمة (شير هشيريم) وبالفرنسية Lecontique decontique وبالإنكليزية Song song of ، وهذه الترجمة لا تدع مجالاً للشك بأن الشعر قرين الغناء [2].

إن الشعر يبدو مكتمل النمو والأوضاع من حيث الوزن والقافية ، وإن نتاج مراحله الأولى ، قد ضاع ، لأن الرواة قد أهملوه واحتقروه ، لكن الاوزان ما زالت تترقى وتتشعب ، حتى هبت بالعرب نهضة الأدب بالجاهلية فصقلتها إذ ذاك ألسن الشعراء ، وبلغت أشدها في أيام المهلهل وابن أخته أمرئ القيس، وكان أول من قصد القصائد وذكر الوقائع المهلهل بن ربيعة التغلبي في قتل أخيه كليب وامرؤ القيس ، أول من أطالها وتفنن في نظمها ، فبكى على الأطلال واتخذ نه صديقين وهميين استوقفهما واستبكاهما معه ....أما القافية فهي متأخرة عن النظم ويقال أنها أول ما استعملت عند العرب ، ولعلهم بدأوا بالتصريع ، ثم لما أعجبتهم الرنة أحبوا العود إليها والمزيد منها فكرروها في آخر كل بيت .

---

[1] المرجع السابق ، نفسه .
[2] المرجع السابق ، ص22 .

هذا الشعر جاء بلهجة واحدة ، وقد جاء على أوزان متعددة مختلفة ، نظمها الخليل بن أحمد في خمسة عشر بحراً ، ومن المرجح أن هذه الأوزان ، قد انطلقت من نظام بسيط ثم تفرعت وتشعبت بتأثير عوامل مختلفة منها ما هو موضوعي ، ومنها ما هو جغرافي ، ومنها ما هو فني ، وأن تعدد الوزن ، إنما يعود أيضاً ، إلى تعدد الأغراض والموضوعات التي طرقها الشعر ، فما يصلح للحماسة لا يصلح للرثاء ، وما يصلح للغزل لا يصلح للفخر ، واعتبر بالجامع بين الرجز وخطو الجمل ، والمتدارك وجري الحصان[1] .

ويرى بعض المستشرقين ، أن بعض الأوزان العربية التي اشتهرت في بادية العراق ، مثل الخفيف والرمل ، والمتقارب شديدة الشبه ، ببعض الأوزان الفارسية ، ولا يستبعد مثل هذا القول ، إذ الشاهد على ذلك تحذر الموشحات الاندلسية من الزجل الأسباني [2] .

ولئن أقدم الشعر العربي إنما هو الأراجيز ، ثم جاءت بعدها قطع شعرية على أوزان مختلفة ، ثم ظهرت القصائد الطوال والرجز ، الذي جاء عن العرب ، لم يكن كله في مستوى واحد من حيث الجودة ، بل ابسطه ما كان حداء ، وخير منه ما أنشد في مدح أو هجاء أو فخر ، وأفضلها ، ما تغنى به ، نظير أغاني الأطفال وبعد الرجز ، يبرز دور القطع ، ويتميز هذا الدور بالتنوع في الإيقاع وورد الشعر على أوزان متعددة ودور لقطع هذا ، تراوح بين بيتين وستة أبيات وإذا طالت بلغت العشرة أبيات ، ودليلنا على هذا الدور ، ما أورده ابن سلام من أن الشعر الأول للعرب الأوائل لم يكن سوى الأبيات القليلة يقولها الرجل في حادثة[3] .

وبعد دور القطع في الشعر العربي من حيث نشأته وتطوره ، يأتي دور القصيدة ، والقصيدة ، ما زاد على الأبيات الستة وفي القصيدة ، تعددت الأغراض ، فصارت القطعة القصيدة ، طويلة ، أسهب فيها الشاعر بعد الإيجاز ، وتنحل الألفاظ وتخيرها ، وزينها ، بضرب المجاز والتشبيه والاستعارات ، وبدأها

---

(1) المرجع السابق ، نفسه .
(2) المرجع السابق ، ص23 .
(3) المرجع السابق ، ص24 .

بالغزل ، وختمها بتعداد مفاخره ومآثره ، ومع تنوع القصائد ، تنوعت الأوزان ، ويعتبر المهلهل أولَ السابقين إلى تقصيد القصيد ، وقد يكون امرؤ القيس في مقدمة الذين استكملوا مقومات القصيدة [1].

5- تطور الشعر العربي في القرن التاسع عشر :

كان الشعر العربي في أوائل القرن التاسع عشر متخلفا بكل ما في الكلمة من معنى ، فقد غدا لا يعني بغير التسلية والمجاملات ، حتى الرثاء الذي كان موضوعاً دائم الحضور في الشعر العربي ، غدا هيكلاً شكلياً مليئاً بالعبارات المكررة ، كان الشعر عامة معنياً بالمحسنات البلاغية من بديع وجناس وطباق ، والتمرينات الشكلية من تخميس وتشطير ، إلى جانب فنون البديعات والتطريز والتأريخ والتراسل وغيرها من الألاعيب الشعرية ، مما جعل الشعر صنعة لا فناً مليئاً بالتطرف الأجوف ، يدور حول نفسه في فراغ ، وغدا المفهوم الشائع للشعر الجيد هو أن يكون قائماً على اختيار بارع للمفردات ، وقدرة على التفوق على الشعراء الآخرين والتغلب عليهم في لعبة المساجلة ، وكانت الدعابة وسرعة الخاطر والبراعة في عرض ظل من المعنى طريف ظريف أهم الصفات التي تميز الشاعر الجيد .

لهذا أتصف الشعر بالصنعه والتقليد والزيف ، ولم تعد له صلة بأفضل أمثلة الشعر القديم ، أو بالمغامرات الفكرية والأسلوبية التي كانت تجري في مجال النثر ، ويبدو أن مجال الشعر قد بقى بعيداً نسبياً لم تمسه إنجازات النهضة التي كانت تنتشر على امتداد القرن التاسع عشر[2].

6- منزلة الشعر عند العرب :

للشعر مكانة رفيعة عند العرب ، لأنه ديوانهم وخزانة حكمتهم ومستنبط آدابهم ومستودع علومهم ، يقول الجاحظ :" فكل أمة تعتمد على استيفاء مآثرها ،

---

(1) المرجع السابق ، ص25 .

(2) سلمى الخضراء الجيوسي ، ترجمة عبدالواحد لؤلؤة ، الاتجاهات والحركة في الشعر العربي الحديث ، ط1(بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، 2001) ص46 .

وتحصين مناقبها على ضربة من الضروب ، وشكل من الأشكال ، وكانت العرب في جاهليتها تحتال في تخليدها بأن تعتمد في ذلك على الشعر الموزون والكلام المقفى ، وكان ذلك هو ديوانها" [1].

وللشعر منزلة كبيرة في نفوس العرب ، لأن الشعر يعبر عن عواطفهم ومشاعرهم ويصور مفاخرهم ؛ ويمجد بطولاتهم ووقائعهم ، ويخلد مآثرهم (ما يتفاخرون به) ، ويشيد بذكرهم ، فالشاعر بواسطة الشعر إذا مدح رفع من قدر الوضيع ، وإذ هجا حط من منزلة الرفيع ، ولهذا كانت القبيلة تحتفل احتفالاً كبيراً إذا نبغ فيها شاعر ، وتأتي القبائل الأخرى للتهنئة ؛ لأنهم يعتبرونه لسان حال القبيلة ، يدافع عنها بشعره ، والحامي لأغراضها من ألسنة أعدائها ، والمخلد لمفاخرها وانتصاراتها . ولقد كان أن العرب من شدة حبهم للشعر وتعلقهم به ، يلتقون في مواسم معينة ، يعقدون فيها الندوات الأدبية شعراً ونثراً ، ومن الأماكن المشهورة لعقد هذه الندوات الأدبية (عُكاظ ، وذو المجنة ، وذو المجاز) وأشهرها عكاظ وفي هذه الأسواق كان الشعراء يتبارون ويتناقسون ، وكان الشاعر المعروف النابغة الذبياني ، حكماً بين هؤلاء الشعراء[2] .

وأهم ما لفت نظر العربي ، وعمل كل ما في وسعة للاهتمام بها ، هي القصائد الطويلة التي أعجبت العرب ، فكتبوها وعلقوها على أستار الكعبة ، تشريفاً وتعظيما لها ، هذه القصائد التي أطلقوا عليها أسم "المعلقات" ، وعددها (سبع) وزاد عليها بعض النقاد ثلاثة قصائد أخرى ، فأصبح عددها (عشر) وأعتبر العرب شعراء المعلقات ، من أفضل الشعراء في العصر الجاهلي[3] .

تغنى الشعراء في العصر الجاهلي ، بالمثل والأخلاق السامية ، ومجدوا صفات الشجاعة والكرم ، والفروسية والمروءة والشهامة ، وتكاد تكون هذه القيم والمثل العامل المشترك بين جميع شعراء العصر الجاهلي ، فالشعر ديوان العرب[4].

---

[1] أحمد جهان الفورتية ، مرجع سبق ذكره ، ص25 .

[2] سلامة رشدي محمد وافي ، المستقل في اللغة العربية ، ط1 (طرابلس ، مكتبة الرسالة ، 2005)ص ص1-2 .

[3] المرجع السابق ، نفسه .

[4] المرجع السابق ، ص2 .

الشعر إذن هو المدرسة التي يتعلم من خلالها العربي منذ نشأته الأولى منهج حياته ، فيشب بين أحضان قبيلته وهو لا يرى سوى سبيل الشعر هادياً ومرشداً ، فهو يرويه إن لم يُوت موهبة الانشاء ، ويتغنى به في حله وترحاله ويوم ظعنه وإقامته ، وكذلك يتمثل به في موقف الشدة والرخاء ، يزهو بإنشاده ويثيه بما فيه من إيقاع يتسق ورشاقة نفسه .

ولقد وصفه ابن قتيبه فقال (الشعر معدن علم العرب ، وسفر حكمتها وديوان أخبارها ، ومستودع أيامها ، والسور المضروب على مأثرها ، والحاجز المحجوز على مفاخرها ، والشاهد العدل يوم النفارة ، والحجة القاطعة عند الخصام ، ومن لم يقم عندهم على شرفه وما يدعيه لسلفه من المناقب الكريمة والفعال الحميدة ، بيت منه شذت مساعيه وإن كانت مشهورة ، ودرست على مرور الأيام وإن كانت جساما ، ومن قيدها بقوافي الشعر ، وأوثقها بأوزانه وأشهرها بالبيت النادر ، والمثل السائر ، والمعنى اللطيف ، أخلدها على الدهر ، وأخلصها من الجحد ، ورفع عنها كيد العدو ، وغض عين الحسود) [1].

ويسوق ابن سلام مثل هذا في عبارة موجزة ، إذ يقول : (وكان الشعر في الجاهلية ديوان علمهم ومنتهى حكمهم به يأخذون وإليه يصيرون) ، وقد أكد عمر بن الخطاب من قبل أن الشعر هو علم قوم لم يكن لهم علم أصبح منه .

إذن فالشعر العربي يمثل الحياة العربية أصدق تمثيل وهو السجل الذي لا يجد الدارس لتاريخهم مرجعا سواه ، ومهما قيل في أسباب نحله فلن تصل بمن حاول ، إلى درجة التعميم ولذلك فمن الصعب إصدار حكم على أمر تطرق إليه دليله الاحتمال ، وما يجوز على البعض ، فلا يرقى بمسوغه إن صح إلى درجة اليقين ، بل قد يكون إلى التشكيك أقرب[2] .

الخلاصة إن الشعر الجاهلي قد وجد العناية الفائقة من قبل الدارسين قديماً وحديثاً واتفقوا – إلا من شذ – على نسبته لعصره ، وأن العربي لا يحتكم لسواه ، فمكانته الاجتماعية تخضع لحكمة ، ولذلك كان للشعر أثر عميق في نفسه وعامل

---

[1] أحمد جهلن الفورتية ، ، مرجع سبق ذكره ، ص ص25-26 .
[2] المرجع السابق ، ص26 .

مهم في توجيهه إلى ما يرتضيه المجتمع من سلوك يتفق والقيم السائدة في محيطه وكذلك كان الشاعر ، ذو منزلة سامية بين أفراد قبيلته كلٌ بقدره .

ويكن له الود والاحترام يتأسى به ، ويفتخر بقوله ، لأنه لسان حال قبيلته والناطق بآلامها ، والمعبر عما تتطلع إليه من مجد ، والمدافع عنها إذا أصابها أمر جلل .

ثانياً : النثر العربي :

1- ما هو النثر :

من الإطلاع على معاني هذه اللفظة في المعاجم اللغوية ، يتضح أنها مشتقه من أصل مادي حسي ، هو النثره ، أي الخيشوم وما ولاه ، أو الفرجة بين الشاربين حيال وترة الأنف ، أو الدرع الواسعة ، ونثر أنفه أخرج ما فيه من الأذى ، ونثرت النخلة ، أخرجت ما في بطنها . والنثر مصدر من نثر أي فرق ، وهو أسم جنس معنوي ، بمعنى المنثور[1] .

يقول أساس البلاغة (ما أصبت من نثر فلان شيئاً ، وهو أسم المنثور، من السكر ونحوه ، كالنثر بمعنى المنثور) ، والنثار بمعنى النثر أيضاً ، وهو الفتات المتناثر من المائدة، يقول صاحب القاموس (نثر الشئ ينثره نثراً ونثاراً ، رماه متفرقاً ، كنثره فا نتثر وتنثر ، والنُثاره بالضم ، والنَثر بالفتح ما تناثر منه ، أو الأولى ، تخص بما ينتثر من المائدة فيؤكل للثواب) ، فلفظة نثر في هذا التطور اللغوي ، تعني الشيء المبعثر المتفرق ، ومن صفات الشئ المتفرق ، الامتداد والاتساع ، والشيء الذي يبدو بهذه الصفات يخيل للناظر إليه ، أنه كثير العدد ، ومن ثم ، تأخذ دلالة هذه اللفظة معنى الكثرة[2] .

حيث يقال : نثر الولد ، أكثره ، ثم تأخذ هذه اللفظة بعد ذلك دلالة معنوية يقال نثر الكلام أكثره ، تشبيهاً له بنثر الولد ، والرجل النثر الكثير الكلام .

والنثر على هذا النحو ، هو الكلام الكثير المتفرق ، تشبيهاً له بنثر المائدة ، ونثر الولد ، وتدخل هذه اللفظة بيئة الثقافة الأدبية بهذه المعنى ، أي على أنها الكلام الكثير المتفرق ، ثم تقتصر على الكلام الأدبي الذي يسمو على الكلام

---

(1) عثمان موافي ، مرجع سبق ذكره ، ص37 .
(2) المرجع السابق ، ص38 .

العادي تعبيراً ومعنى ، ويستعملها النقاد الأدباء بهذا المفهوم على أنها ذلك الكلام الفني غير المنظوم ، الذي يقابل الكلام المنظوم[1] ، يقول صاحب نقد النثر (واعلم أن سائر العبارة في كلام العرب ، إما أن يكون منظوماً وإما أن يكون منثوراً والمنظوم هو الشعر ، والمنثور هو الكلام) .

ويقول ابن خلدون (اعلم أن لسان العرب وكلامهم على فنين في الشعر المنظوم وهو الكلام الموزون المقفي ، ومعناه الذي يتكون أوزانه كلها على روى واحد وهو القافية ، وفي النثر وهو الكلام غير الموزون) .

فالنثر إذن في عرف هؤلاء النقاد ، فن قولي غير منظوم ، يقابل الشعر ذلك الفن القولي المنظوم ، والفرق بين الشعر والنثر في رأيهم ، يرجع إلى هذه الناحية الموسيقية وحسب،حتى أن بعضهم اتخذ من هذا حجة لتفضيل الشعر على النثر[2] .

وإذا كان بعض النقاد العرب ، قد قاسوا جودة الكلام في الشعر والنثر بمقاييس واحدة ، فليس معنى هذا ، إلغاء الفروق الفنية الدقيقة بين هذين الفنين ، واعتبارهما ، فناً واحداً ، فإن هناك تبايناً ما بين الشعر والنثر ، فقد كانت أسس المفاضلة بينهما ترجع في بعض الأحيان إلى الخصائص الفنية لكل فن منهما .

وعلاوة على ذلك فقد لاحظ النقاد أن الوزن ، ليس هو المميز الوحيد، الذي يميز الشعر من النثر فللشعر خصائص ومميزات أخرى ، كالجزالة اللفظية ، والإيجاز في التعبير ، وحسن التخييل ، وجمال التصوير ، وأحكام الصنعة الفنية وتكثر هذه الصفات والمزايا في الشعر وتقل في النثر ، إلى حد الندرة في كثير من الأحيان[3] .

الخلاصة أن الشعر وإن كان يتفق مع النثر في بعض الأصول الفنية ، فإنهما يختلفان في بعض الصفات والخصائص الفنية ، إذ أن لكل واحد منهما بعض السمات والخصائص ، التي يختص بها ، ويتميز بها من الفن الأخر .

---

(1) المرجع السابق ، ص38 .
(2) المرجع السابق ، ص39 .
(3) المرجع السابق ، ص42 .

وجملة القول : أن النثر فن قولي ، يقابل الشعر ، مقابلة تضاد لا تناقض ، فلكل منهما صفاته الخاصة به ، ومع هذا ، فهما يتفقان في أشياء ، ويختلفان في أشياء ويتضح لنا هذا في الشكل الفني والموضوع ، والوزن والإيقاع ، واللغة والتخيل والخيال ، من واقع الأدب العربي .

2- صور النثر الجاهلي :

ويقصد به ما كان يرسل على السجية دون تعمّل فني خاص ، والنثر المطلق قديم في الأدب العربي نراه في عهد النبي ويحملنا الاستنتاج العقلي على أنه كان في الجاهلية أيضاً ، إذ لا يعقل أن تبلغ قريش مثلا في جاهليتها ما بلغته من التقدم التجاري فيكون لها اتصال باليمن والشام والعراق وفارس ولا يكون لها من نثر غير الأسجاع التي تعبر عن العواطف الدينية والنظرات الأخلاقية[1].

ويقترن بالتقدم التجاري استعمال الكتابة ، وفي القرآن نصوص لا تترك مجالاً للريب في معرفة العرب للكتابة واستخدامهم إياها في مرافق حياتهم " يأيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب وليُملل الذي عليه الحق "[2].والآية "وأن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً فرهان مقبوضة "[3] .

ففي هذه الآيات وأمثالها ما يبين أن العرب عرفوا الكتابة واستعملوها ، ويزكي رواية المؤرخين والرواة من أنه ظهرت الدعوة الإسلامية وفي قريش كتاب ، وأنه كان للنبي كتاب من الصحابة يكتبون الوحي ولهم نواب ينوبون عنهم إذا غابوا وأن العرب كانت تؤرخ في كتبها ودواوينها من عام الفيل ثم عام الفجار حتى جاء الإسلام فأرخ المسلمون بعام الهجرة ، هذه الحالة الاقتصادية التي وجدت فيها قريش كانت تقتضي نثراً غير النثر الديني المتكلف ، نثراً مرسلاً

---

[1] أنيس المقدسي ، تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي ، ط9 (بيروت ، دار العلم للملايين ، 1998) ص20 .

[2] سورة البقرة الآية 282 .

[3] سورة البقرة الآية 283 .

للتعامل ، مطلقاً من قيود الصناعة اللفظية ، على أنه ليس لـدينا مـن نصوصـه الجاهلية ما يعتمد عليه[1] .

وليس ثمة وثائق جاهلية صحيحة تدل على أن الجاهليين عرفوا الرسـائل الأدبية وتداولوها ، وليس معنى ذلك أنهم لم يعرفوا الكتابة ، فقد عرفوهـا كمـا ذكرنا ، غير أن صعوبة وسائلها جعلتهم لا يستخدمونها في الأغـراض الأدبيـة الشعرية والنثرية ، ومن ثم استخدموها فقط في الأغراض السياسية والتجاريـة ، ولا ينقض ذلك ما جاء في السيرة النبوية من (أن سويداً بن الصامت قـدم مكـة حاجاً أو معتمراً ، فتصدى له رسول الله (ص) حين سمع به ، فدعاه إلى الله وإلى الإسلام ، فقال له سويد : فلعل الذي معك مثل الذي معي ، فقال لـه رسـول الله (ص) وما الذي معك ؟ قال : مجلة لقمان ، فقال له رسول الله (ص) : اعرضـها عليّ ، فعرضها عليه ، فقال له : إن هذا الكلام حسن والذي معي أفضل من هذا : قرآن انزله الله عليّ ، هو هدى ونور ، فتلا عليه رسول الله القرآن ، ودعاه إلـى الإسلام فلم يبعد منه ، وقال : إن هذا القول حسن ..) وهذا الخبر إنما يفيد أنه كان عندهم صحيفة بها بعض أمثال وحكم مما كانوا ينسبونه إلى لقمان ، ووجود مثـل هذه الصحيفة لا يدل على أنهم استخدموا الكتابة في التعبير عن وجـدانهم نثـراً وشعراً ، فقد كانت محدودة الانتشار بينهم ، ومن التعسف أن نزعم ذلك لمجـرد الظن ، بينما تنقصنا أو تعوزنا النصوص الحسية ، وإذا كنا نفتقد الأدلة الماديـة على وجود رسائل أدبية في العصر الجاهلي فمن المحقق أنه وجدت عندهم ألوان مختلفة من القصص والأمثال والخطابة وسجع الكهان ، ومن المؤكد أنهـم كـانوا يشغفون بالقصص شغفاً شديداً ، وساعدتهم على ذلك أوقات فراغهم الواسعة فـي الصحراء ، فكانوا حين يُرخي الليل سُدوله يجتمعون للسمر ، وما يبدأ أحدهم فـي مضرب من مضارب خيامهم بقوله : كان وكان ، حتى يرهف الجميع أسـماعهم إليه ، وقد يشترك بعضهم معه في الحديث ، من شباب وشيوخ ونسـاء وفتيـات وراء الأخبيه كل هؤلاء يتابعون الحديث في شوق ولهفة[2] .

---

[1] أنيس المقدسي ، مرجع سبق ذكره ، ص22 .

[2] شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي -العصر الجاهلي ، ط23 (القاهرة ، دار المعارف ، 2001) ص398 .

ومن غير شك كان يفيض القاص على قصصه من خياله وفنه ، حتى يبهر سامعيه وحتى يملك عليهم قلوبهم فيحولهم من الشفقة إلى محبة الانتقام ومن الضحك إلى الجد ، وعيونهم تلمع في وجوههم السمر وقلوبهم تخفق من آن إلى آن ، وليس بين أيدينا شيء من أصول هذا القصص الذي كان يدور بينهم غير أن اللغويين والرواة في العصر العباسي دونوا لنا ما أنتهى إليهم منه ، وطبيعي أن تتغير وتتحرف أصوله في أثناء هذه الرحلة الطويلة التي قطعتها من العصر الجاهلي إلى القرن الثاني الهجري ، وإن كان من الحق أنها ظلت تحتفظ بكثير من سمات القصص القديم وظلت تنبض بروحه وحيويته[1] .

ويمكن بواسطة ما دونه العباسيون التعرف على ألوان هذه القصص الذي كانوا يتناقلونه بينهم ، وربما كان أكثر هذه الألوان شيوعاً على ألسنتهم أيامهم وحروبهم وما سجله أبطالهم فيها من انتصارات مروعة وما منيت به بعض قبائلهم من هزائم منكرة ، وقد ظلوا يقصون هذه الأيام والحروب إلى أن تناولها منهم لغويو القرن الثاني للهجرة ورواته ، فدونوها تدوينا منظماً ، وتوالى من بعده التأليف فيها والعناية بها على نحو ما تقدم[2] .

(أ) الأمثال :

إذا كان القصص الذي أضيف إلى الجاهليين لا يحمل صورة دقيقة للنثر الجاهلي بحكم تأخره في التدوين فإن الأمثال تحمل لنا غير قليل من هذه الصورة إذ أن من شأنها أن لا تغير ، وأن تظل طويلا بصورتها الأصلية ، بحكم إيجازها وكثرة دورانها على الألسنة ، وقد سارع العرب إلى تدوينها منذ أواسط القرن الأول للهجرة ، وإذا أنتقلنا إلى القرن الثاني وجدنا التأليف في الأمثال يكثر ، إذ أخذ علماء الكوفة والبصرة جميعاً يهتمون بها ويؤلفون فيها ، وقد وصلنا عن هذا القرن كتاب أمثال العرب للمفضل الضبي ، ونمضي إلى القرن الثالث ، فيؤلف أبوعبيد القاسم بن سلام فيها كتاباً يشرحه من بعده أبوعبيد البكري باسم "فصل المقال في شرح كتاب الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلام" ، وما تزال المؤلفات

---

(1) المرجع السابق ، ص399 .
(2) المرجع السابق ، نفسه .

في الأمثال تتوالى ، حتى يؤلف أبو هلال العسكري كتابه "جمهرة الأمثال " ويخلفه الميداني ، فيؤلف كتابه "مجمع الأمثال" وهو يقول في مقدمته أنه رجع فيه إلى ما يربو على خمسين كتاباً ، ومن يرجع إلى هذه الكتب يجدهم يسوقون الكلمة السائرة التي تسمى مثلا ، ويقفون غالباً لسرد القصة أو الأسطورة التي تمخض عنها المثل ولكن تبقى هذه القصص والأساطير ، لا تتخذ منها صورة للنثر الجاهلي وإن اختلجت بروحه وطبيعته وحيويته ، لنفس السبب الذي ذكرناه ، وهو تأخر تدوينها أما الأمثال نفسها فمن المحقق أن طائفة كبيرة مما روته الكتب السالفة يتحتم أن تكون جاهلية ، وخاصة أكثر ما رواه عبيد بن شرية ، ولم يحاول من جاءوا بعده أن يفردوا الأمثال الجاهلية من الإسلامية ، إذ درج أكثرهم على ترتيب الأمثال حسب الحروف الأولى على نحو ما ترتب المعاجم ألفاظها ، ومع ذلك قد يورد أصحاب هذه الكتب مع ما يروونه من الأمثال إشارات تدل على جاهليتها وقدمها وهي تتخذ عندهم طريقين [1]:

الطريق الأولى : أن يسوقوا مع المثل قصة جاهلية تفسره ، أو أن يساق هو في أثناء قصة جاهلية ، كتلك الأمثال التي نقرؤها في قصة الزباء من مثل : "لا يطاع لقصير أمر" و "لأمر ما جدع قصير أنفه" .

وأما الطريقة الثانية : فهو أن ينسبوا المثل إلى جاهليين ، فحينئذ يتعين زمنه وتاريخه ، وهناك كثيرون اشتهروا فيهم بالحكمة والأمثال السائرة ، ومنهم من يغرق في القدم مثل لقمان عاد ، تلك القبيلة اليمنية التي كانت تنزل في الاحقاف ، و التي بادت ولم تبق منها باقية في الجاهلية ، وقد ظل اسم لقمان يدور على السنة شعرائهم وظلوا يذكرونه بالحكمة والبيان والحلم .

ونسبت إلى لقمان في عصور متأخرة طائفة من الأقاصيص أريد بها إلى العظة والاعتبار ، وسميت أمثال لقمان ، وهي مكتوبة بأسلوب ركيك ضعيف[2] .

أن كل شيء يؤكد أن العرب في الجاهلية عنوا بمنطقهم واستظهار ضروب من الجمل فيه، سواء ضربوا أمثالهم أو تحدثوا أو خطبوا[3] ، وقد وصفهم جل

---

(1) المرجع السابق ، ص405 .
(2) المرجع السابق ، ص406 .
(3) المرجع السابق ، ص409 .

وعز أو وصف فريقا منهم بقوله : "ولتعرفنهم في لحن القول"[1]. وقوله : "ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا"[2] .

(ب) الخطابة :

ليس هناك وثيقة من الخطابة الجاهلية ، وذلك لبعد المسافة بين العصر الذي قيلت فيه عصور تدوينها ، لذلك كان ينبغي أن الحذر مما رواه منها صاحب الأماني وصاحب العقد الفريد ، فأكثره منحول ، غير أن اتهام نصوصها لا ينتهي إلى إنكارها على الجاهليين ، بل إنه لا ينتهي إلى إنكار ازدهارها كما حاول بعض الباحثين ، فقد كان كل شيء عندهم يؤهل لهذا الازدهار ، وكثرت المنازعات والخصومات بينهم والدعوة إلى الحرب مرة وإلى السلم مرة أخرى ، وقد اتخذوا من مجالسهم في مضارب خيامهم ومن أسواقهم ومن ساحات الأمراء ووفاداتهم عليهم ميادين لإظهار براعتهم وتفننهم في المقال وأصول الكلام ، وأسعفتهم في ذلك ملكاتهم البيانية وما فطروا عليه من خلابة ولسن وبيان وفصاحة وحضور بديهة ، حتى ليقول الجاحظ : "وكل شيء للعرب فإنما هو بديهة وارتجال ، وكأنه إلهام ، وليست هناك معاناة ولا مكابدة ولا إحالة فكرة ولا استعانة ، وإنما هو أن يصرف وهمه إلى الكلام ، عند المقارعة أو المناقلة أو عند صراع أو في حرب فما هو إلا أن يصرف وهمة إلى جملة المذهب وإلى العمود الذي إليه يقصد فتأتيه المعاني إرسالا (أفواجاً) وتنثال عليه الألفاظ انثيالا ، وكان الكلام الجيد عندهم أظهر وأكثر ، وهم عليه أقدر ، وله أقهر ، وكل واحد في نفسه أنطق ومكانه من البيان أرفع ، وخطباؤهم للكلام أوجد ، والكلام عليهم أسهل ، وهو عليهم أيسر ، من غير تكلف ولا قصد ولا تحفظ ولا طلب "[3] .

وكل ذلك عمل على ازدهار الخطابة في الجاهلية ، وأن تتناول أغراضا مختلفة ، فقد استخدموها في مفاخراتهم ومنافراتهم بالأحساب والأنساب والمآثر والمناقب .

---

[1] سورة محمد ، الآية 30 .
[2] سورة البقرة الآية 204 .
[3] شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهلي ، مرجع سبق ذكره ، ص410 .

وكانوا كثيراً ما يخطبون في وفادتهم على الأمراء ، إذ يقف رئيس الوفد بين يدي الأمير فيحييه ، متحدثاً بلسان قومه ، وفي السيرة النبوية ما يصور جانباً من هذه الوفود ، إذ وفد كثير منها على الرسول منذ السنة الثامنة ، وكان يقوم خطيب الوفد بين يديه متحدثاً ، ويرد عليه خطيب الرسول على نحو ما هو معروف عن وفد تميم وخطبة عطارد بن حاجب بن زُرارة بين يديه ، وكان ذلك سنة شائعة بينهم في الجاهلية حين يفدون على الأمراء أو على من له رياسة وسيادة وقد ينبرون في الأسواق العظام ينصحون قومهم ويرشدونهم ، على نحو ما هو معروف عن قُس وخطبته بسوق عكاظ [1].

وليس كل ما يدل على ازدهار الخطابة في الجاهلية ما ذكر آنفاً من تعدد أنواعها وخوضها في أغراض مختلفة من المصاهرة أو الوفادة على الأمراء أو النصح والإرشاد أو الدعوة إلى الحرب أو الكف عن القتال أو في المنافرات والمفاخرات فقد استقر في نفوس العباسيين وعلى رأسهم الجاحظ أنهم كانوا يكثرون من الخطب وأن قبيلة من القبائل بل عشيرة من العشائر لم تكن تخلو من خطيب ، وهو يسوق في البيان والتبيين إثباتاً طويلة بأسمائهم ومواقفهم مورداً من حين إلى حين فقراً وشظايا من أقوالهم [2]

وعند استعراض أسماء خطبائهم كانوا كثيرين ، من مثل قيس بن شماس في يثرب ، وابنه ثابت وهو خطيب النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن خطباء الأنصار أيضاً سعد بن الربيع ، أما مكة فمن قدماء خطبائها هاشم وأمية ونُفيل بن عبدالعزى جد عمر بن الخطاب ، وإليه تنافر عبدالمطلب بن هاشم وحرب بن أمية ويظهر أنه كان فيها خطباء كثيرون ، وربما كان مما هيأ لكثرتهم وجود دار الندوة بها ، وهي تشبه مجلس شيوخ مصغراً ، كانوا يجتمعون فيها ويخطبون ويتحاورون ؛ ومما عرف فيها بالخطابة عتبة بن ربيعة وسهيل بن عمرو الأعلم .

---

[1] المرجع السابق ، ص412 .
[2] المرجع السابق ، نفسه .

وممن اشتهر بالخطابة في القبائل عامر بن الظرب في عدوان وربيعة بن حذار في أسد وحنظلة بن ضرار ، وعمرو بن كلثوم في تغلب وهاني بن قبيصة في شيبان ، وهو خطيب يوم ذي قار[1] .

ويتضح أن هذه كثرة من الخطباء الجاهليين ، وإن لم يصح ما أثر عنهم من خطب فإن من المحقق أنهم خطبوا كثيراً في أقوامهم وقبائلهم وإلاّ ما اشتهروا بالبراعة في هذا اللون من ألوان اللسن والبيان ، وكان مما بعثهم على إحسانه حاجتهم إليه في مواطن ومواقف عدة ، وكان قلماً يرتفع نجم سيد من سادتهم إلا والخطابة صفة من صفاته وسجية من سجاياه ، حتى تساق له القلوب بأزمتها وتجمع له النفوس المختلفة من أقطارها ، وكل شيء يؤكد أن منزلة الخطيب عندهم كانت فوق منزلة الشاعر ، فهي قرين السؤدد والشرف والرياسة [2].

وعند استنطاق النصوص عن أساليب خطابتهم ، وهل كانوا يعمدون فيها إلى الأسلوب المرسل أو إلى الأسلوب المسجع كان ثمة تراث منهم لا يمكن الاعتماد عليه في الاستنتاج ، نظراً لأن حقباً متطاولة تفصل بين العصر الذي دونت فيه الخطب والآخر الذي قيلت فيه ولعل في كل ما تقدم ما يدل دلالة واضحة على أن الخطابة كانت مزدهرة في الجاهلية ، فقد كانوا على حظ كبير من الحرية ، وكانوا يخطبون في كل موقف في المفاخرات وفي الدعوة إلى السلم أو الحرب وفي النصح والإرشاد وفي الصهر والزواج ، وابتغوا دائماً في كلامهم أن يؤثر في نفوس سامعيهم بما حققوا له من ضروب بيان وبلاغة[3] .

(ج) سجع الكهان :

كانت في الجاهلية طائفة تزعم أنها تطلع على الغيب وتعرف ما يأتي به الغد بما يُلقى إليها توابعها من الجن ، وكان واحدها يسمى كاهناً كما يسمى تابعه الذي يوحي إليه باسم (الرئي) ، وأكثرهم كان يخدم بيوت أصنامهم وأوثانهم ، فكانت لهم قداسة دينية ، وكانوا يلجأون إليهم في كل شئونهم وقد يتخذونهم حُكاماً

---

(1) المرجع السابق ، ص413 .
(2) المرجع السابق ، ص415 .
(3) المرجع السابق ، ص ص417-419 .

في خصوماتهم ومنافراتهم على نحو ما كان من منافرة هاشم ابن عبد مناف وأمية بن عبد شمس واحتكامها إلى الكاهن الخزاعي ، وقد نفر هاشماً على أمية ، وكانوا يستشيرونهم ويصدرون عن آرائهم في كثير من شئونهم كوفاء زوجة أو قتل رجل أو نحر ناقة ، أو قعود عن نصرة أحلاف ، أو نهوض لحرب [1].

فمنزلة كهانهم في الجاهلية كانت كبيرة ، إذ كانوا يعتقدون أنه يوحي إليهم ولعل ذلك ما جعل نفوذ الكاهن يتجاوز قبيلته إلى كثير من القبائل التي تجاورها ، ومن ثم كان العرب يقصدون كثيرين منهم من مناطق بعيدة ، ومما يلاحظ أنهم كانوا يكثرون في اليمن وفي بيوت عبادتها الوثنية ، وخاصة من يتعمقون في القدم ولعل في ذلك ما يدل على الصلة القديمة بين وثنية عرب الجنوب وعرب الشمال. وهناك في كتب التاريخ والأدب أسماء كثيرين منهم وقد يبالغ القصاصون فيرسمون لبعضهم صوراً خيالية ، فمن ذلك أن شق بن الصعب كان شق إنسان أو شطره فله عين وأذن ويد واحدة ورجل واحدة ، وأن سطيح بن ربيعة الذئبي لم يكن فيه عظم سوى جمجمته وأن وجهه كان في صدره ولم يكن له عنق ، وربما كان أدهب ، ومن كهانهم في أواخر العصر الجاهلي سواد بن قارب الدوسي ، وقد أدرك الإسلام ودخل فيه ، وكان يقول أنه أسلم بمشورة تابعه .

وبجانب هؤلاء الكهان جماعة من الكاهنات ، وربما كن في الأصل من النساء اللائي يهبن أنفسهن للآلهة ومعابدها ، ومن أشهرهن الشعثاء وكاهنة ذي الخلصة والكاهنة السعدية والزرقاء بنت زهير والغيطلة القرشية وزبراء كاهنة بني رئام ، ويروى أنها انذرتهم غارة عنيهم فقالت : "والنوح الخافق والليل الفاسق والصباح الشارق والنجم الطارق والمزن الوادق ، إن شجر الوادي ليأذن خبتلا ، ويحرق أنياباً عصلا ، وإن صخر الطود لينذر ثكلا ، لا يجدون عنه معلا " [2].

ومما يدل على أن كهنتم كانوا يسجعون ؛ بل كانوا لا يتكلمون إلا بالسجع ، الحديث المروي عن أبي هريرة ، فقد حدث أنه "اقتتلت امرأتان من هذيل ، فرمت إحداهما الأخرى بحجر ، فقتلتها وما في بطنها فاختصموا إلى رسول الله (ص) ،

---

[1] المرجع السابق ، ص420 .
[2] المرجع السابق ، ص421 .

فقضى رسول الله أن دية جنينها غُرة :عبد أو وليدة ، وقضى بدية المرأة على عاقلتها ... فقال حمل بن النابغة الهذلي : يا رسول الله كيف أغرم من لا شرب ولا أكل ولا نطق ولا أستهل ، فمثل ذلك يُطل . فقال رسول الله (ص) : إنما هذا من إخوان الكهان ، من أجل سجعه الذي سجع " .

وإذا صح أن ما يروى في كتب التاريخ والأدب من سجع الكهان تقليد دقيق لما كانوا يأتون به من هذا السجع لوحظ أنهم لم يكونوا يسجعون فحسب ، بل كانوا يعمدون أيضاً إلى ألفاظ غامضة مبهمة ، حتى يتركوا فسحة لدى السامعين كي يؤول كل منهم ما يسمعه حسب فهمه وظروفه ، ومن ثم دخل الرمز في كثير من أقوالهم [1].

كما يلاحظ على السجع الذي يضاف إليهم كثرة الأقسام والأيمان بالكواكب والنجوم والرياح والسحب والليل الداجي والصبح المنير والأشجار والبحار وكثير من الطير ، وفي ذلك ما يدل على اعتقادهم في هذه الأشياء وأن بها قوى وأرواحاً خفية ، ومن أجل ذلك يحلفون بها ، ليؤكدوا كلامهم وليبلغوا ما يريدون من التأثير في نفوس هؤلاء الوثنيين .

وهذا السجع الديني كان يقابله – كما قدمنا – سجع آخر في خطابتهم ، بل في كلامهم وأمثالهم التي دارت بينهم ، ولعل في ذلك كله ما يدل على أن الجاهليين عنوا بنثرهم كما عنوا بشعرهم ، فقد ذهبوا يحاولون تحقيق قيم صوتية وتصويرية مختلفة فيه ، تكفل له جمال الصياغة وروعة الأداء[2].

والخلاصة فإن في النثر الجاهلي لاحظت أن الجاهليين لم يعرفوا الرسائل الأدبية المحبرة ، ولكنهم عرفوا القصص والأمثال والخطابة وسجع الكهان ، ومن الحق أنهم لم يدونوا شيئاً من قصصهم ، غير أن ما أضافه العباسيون إليهم يصور غير قليل من روحه وطبيعته .

وعرضت لأمثالهم وما كان من ازدهار الخطابة بينهم واصطلاحهم فيها على طائفة من السنن والتقاليد ، وكان كهانهم يحاولون التأثير البالغ في نفوس سامعيهم

---

(1) المرجع السابق ، ص423 .
(2) المرجع السابق ، نفسه .

بما يسوقون إليهم من أسجاع وألفاظ غريبة وأقسام وأيمان موهمة ، وكل ذلك يؤكد أن الجاهليين حاولوا في نثرهم ما حاولوه في شعرهم من روعة الأداء ، حتى يستأثروا بقلوب سامعيهم ويخلبوا عقولهم .

3- مظاهر تطور النثر العربي الحديث :

كان للاحتلال العثماني للبلاد العربية أثر كبير في تراجع اللغة العربية ، مما تسبب عنه تفشي العنف في كل ما استخدمت له اللغة فسجل الأدب بنوعيه الشعر والنثر تراجعاً ملحوظاً ، وهذا أمر ليس بمستغرب ، إذ حدث ذات الشيء للشعوب الإسلامية غير العربية ، حين اضطرت لسبب أو لآخر إلى اعتبار اللغة العربية بديلاً عن لغاتها القومية ، مما أدى إلى انحسار تلك اللغات وتراجعها ، وبالتالي تراجع أدبها ، بعد أن تحول أدباء تلك القوميات إلى اللغة العربية ، يصوغون بها ما لديهم من فكر وأدب[1] .

كان نصيب النثر العربي من الضعف أكبر من نصيب الشعر نظراً لارتباط النثر المباشر بالفكر والثقافة ، ولذا فقد تهاوت دعائمه القوية ، فلجأ الأدباء إلى الزخارف اللفظية والمحسنات البديعية ، فطغى السجع والبديع على أسلوب النثر ، فبدأ كل شيء متكلفاً مصنوعاً ، ولم يكن المضمون أفضل حالاً من الشكل ؛ فمن يرجع إلى نتاج الأدباء في تلك الحقبة الزمنية ، يجد سذاجة الموضوعات ، إذ لم تتعد الاخوانيات والخطب والمناظرات ، وظل الأمر كذلك إلى أن بدأت الصحوة القومية تفعل فعلها ، فأخذت الشعوب العربية تحاول تغيير واقعها المؤلم ، وأدى هذا التحرك إلى ظهور ما يسمى بالرأي العام ، الذي يعبر عن رأي الغالبية الشعبية في القضايا السياسية والاجتماعية ، ومما ساعد على هذه النقلة ، ما أوجدته حملة نابليون بونابرت على مصر من تحد غربي للعرب ، جعلهم يسعون حثيثاً من أجل الاستقلال ، كما دفعت بعضهم إلى العودة إلى التراث العربي لإحيائه ، ليكون بديلاً عن الحضارة الأجنبية[2] ، في حين وجد آخرون في الحضارة الوافدة بريقاً ، فاعتقدوا أن الأخذ به سيقود إلى النهضة المنشودة ،

---

[1] مصطفى محمد الغلاييني ، باقات من النثر العربي الحديث ، ط1 (عمان ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، 2000)ص7.
[2] المرجع السابق نفسه .

ووقف فريق ثالث بين الفريقين ، فلم يغلق الباب في وجه الحضارة العربية ، ولم يقطع صلته بالتراث العربي القديم ، وكانت محصلة كل تلك الاتجاهات ، أن صحا الشرق العربي ، وأخذ يرفض حالة الجمود والضعف ، وكان يقف وراء تلك الصحوة أعلام ، ساهموا بشكل فاعل في أحداثها ، من أمثال رفاعة الطهطاوي وكان أول مفكر عربي ، اتصل بالغرب في العصر الحديث ، ونقل عنهم شيئاً من علومهم ومعارفهم[1] .

والواقع أن الطهطاوي قضى حياته جميعها وهو يكافح في مجال الكتابة النثرية ، ولكنه لم يستطع أن يبلغ ، حتى آخر المطاف أسلوب فيه من المرونة ما يساعد على تقديم المثال لغيره من كتاب النثر المصريين ففي كثير من كتاباته الموضوعة لم يستطع تجنب السجع والمحسنات اللفظية ، التي كانت تميز النثر في عصره ، لكنه استطاع تجنب ذلك عند الكتابة عن موضوعات جديدة تماماً أو عند الترجمة[2] .

ومنهم كذلك الشيخ ناصيف اليازجي، وقد كثف جهوده حول النهوض باللغة العربية ، لأنها الوعاء الذي يحتوي الفكر والثقافة ، ولابد لهذا الوعاء من أن يكون مؤهلا لاستيعاب المستجدات الحديثة ، ويظهر أثر جهوده في هذا الجانب من خلال الشهرة الواسعة التي حققها ، حتى عُدّ أول معلم للغه العربية في لبنان إبان القرن التاسع عشر [3].

وكان هناك بطرس البستاني ، الذي خدم العربية خدمات جليلة ، لعل من أبرزها تأسيس المدرسة الوطنية ، وهو واضع معجم أقرب الموارد والقاموس المحيط والموسوعة العربية ، كما لا ينسى أحد جهود عبدالرحمن الكواكبي مؤلف كتاب طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد ، وكتاب أم القرى ، وكذلك المفكر السوري نجيب العازوري الذي أصدر في باريس مجلة الاستقلال العربي ، ونشر كتاباً بالفرنسية بعنوان يقظة الأمة العربية ، ولا مجال للاستطراد بذكر أسماء كل من ساهموا في النهضة العربية الحديثة ، إذ أن ما يعنينا هو أن ننبه إلى بدايات

---

(1) المرجع السابق ، ص8 .

(2) انظر ، سلمى الخضراء الجيوسي ، مرجع سبق ذكره ، ص36 .

(3) مصطفى محمد الغلاييني ، مرجع سبق ذكره ، ص8 .

هذه النهضة وإلى الأسباب التي أدت إليها ، ويمكن أن نضيف إليها البعثات الدراسية إلى الدول الغربية ، وانتشار المدارس وظهور الصحافة وجهود المترجمين التي اتاحت الفرصة لأكبر قدر من مثقفي الأمة ، كي يطلعوا على ما أنتجته المطابع الغربية في شتى العلوم والفنون ، ولم يكن لهذه الجهود أن تؤتي أكلها ، لولا توفر المطابع اللازمة لإخراج الكتب ، وكانت مدينة حلب أول مدينة عربية تعرف المطبعة ، وكان ذلك في مطلع القرن الثامن عشر[1] ، وهذه هي المطبعة التي تأسست عنها المطبعة اللبنانية الأولى على يد عبدالله زاخر ، وتوالي تأسيس المطابع في حين عرفت مصر أول مطبعة في عهد محمد علي ، وهي التي تعرف بمطبعة بولاق ، وقد لعبت المطابع العربية على وجه العموم دوراً كبيراً في نشر المخطوطات العربية [2].

نستنتج من ذلك أن تلك العوامل أثرت في إحداث نهضة أدبية ، كان أثرها بارزاً وعظيماً على النثر العربي ، فتمكن من تجاوز المحنة ، والتخلص من حالة الركود التي اعترته ، وقد جاء هذا التطور ليشمل اللغة والمضمون والموضوعات فأخذت اللغة تستعيد مكانتها ، وأخذ المضمون يداعب ما في نفوس أبناء الأمة من فخر بالماضي وتطلع للمستقبل كما أن الموضوعات قد تنوعت وظهرت فنون عالجها النثر العربي لأول مرة كالمقالة والقصة والمسرحية ، وهذا فضلاً عن تنشيط فنون أخرى كالخطابة السياسية والقضائية .

ثالثاً : اللغة العربية والعلوم الحديثة :

أن القارئ لأفكار حركة الاستشراق التي نشأت أول أمرها لخدمة أهداف المستعمرين من الأوروبيين يستنتج أهم ما ركزوا عليه في اتهاماتهم للعربية [3]:

1. قصورها على استيعاب علوم العصر .
2. صعوبة نحوها وصرفها ، وصعوبة تعلمها .
3. قضية الكتابة : الإملاء والحرف .

---

[1] المرجع السابق ، ص9 .
[2] المرجع السابق ، نفسه .
[3] زهير غازي زاهد ، مرجع سبق ذكره ، ص41 .

لقد سبقت الإشارة إلى هذا الأمر وهو أن اللغة تلك الظـــاهرة الاجتماعيـــة التي تحتوي على تاريخ المجتمع وحضارته وتجاربه وعلومه وآدابه ، والعربيـــة موضع الحديث قد مرت بامتحانات وتجارب في تاريخها وهي في كل ذلك لم تقف ساكنة في أي عصر من عصورها إنما كانت مستوعبة لحاجات المجتمع العربـــي ثم الإسلامي حين خرجت من موطنها الأصلي في الجزيرة العربية فلم تقصر في استيعاب المفاهيم الإسلامية عند ظهور الإسلام وأوجدت آلاف الألفاظ والتعـــابير لذلك ، وكذلك في العصر الأموي والعباسي استوعبت العلوم المترجمة عن الأمم الأخرى ، وخصوصا اليونانية وكذا الآداب والفلسفة ، ولم تقصـــر فـــي إيجـــاد المصطلحات أو تقبل المعرب منها السائغ في النطق العربي .

وهناك صفات ومميزات في اللغة العربية يجدر التنويه بها لعلاقتها الوثيقة بجوهر الموضوع وهي كالآتي [1]:

المزية الأولى هي أن اللغة العربية لغة واسعة ودقيقة ، غنية بمفرداتهـــا ، وغناها ودقتها في التعبير عن تفاصيل الحياة والمشـــاعر وموجـــودات المحـــيط يجعلانها قادرة على أن تستعمل في التعليم ، وأن تكون لغة لجميع الأغراض بما في ذلك العلوم الحديثة ، فمن الأمور التي تساعد جداً على تعريب العلـــوم هـــو الإطلاع على كتب التراث التي جاءت حاوية لعدد كبير من المفردات العلمية التي يجهل وجودها كثير منا ، فيعمد للتفتيش عن مصطلحات جديدة ، إن معرفة هـــذه الحقيقة التي يعرفها المتخصصون المطلعون على كتب التراث العلمية ، ستساعد على تيسير مهمة التعريب ، إذ أن شطر مهماً من المصطلحات العلمية الحديثـــة التي نجهد أنفسنا في التفتيش عما يقابلها في العربية ، أو نعمد إلى استخدامها كما وردت في اللغات الأجنبية ، لها ما يقابلها في كتب التراث ، وما علينا إلا التفتيش عنها ، بالطبع أن ذلك يصح على جزء وليس على كـــل المصـــطلحات العلميـــة لأسباب واضحة تتعلق بالفارق الزمني بين الوقت الذي كتبت فيه تلك المؤلفـــات التراثية وبين العصر الحديث .

---

[1] سعدون حماد وآخرون ، مرجع سبق ذكره ، ص12 .

والمزية الثانية هي أن اللغة العربية استطاعت أن تكون مستوى ميسراً للاستخدامات اليومية الدارجة في الكتاب والصحافة ووسائل الإعلام الأخرى ، بينما احتفظت اللغة الفصحى بمستوى للمختصين ، وكان للقرآن الكريم الدور الأكبر في الحفاظ على هذا المستوى الاختصاصي .

والمزية الثالثة التي تدل هي الأخرى على الحيوية والمرونة ، هي أن العامية الدارجة نفسها قد تطورت صعوداً نحو الفصحى بفعل عامل التعليم وانتشار الثقافة إذ حتى العامية التي يتكلمها الناس ، الشارع ، والبيت اليوم ، هي أقرب إلى الفصحى من عامية الفترة العثمانية عندما كانت الأمية متفشية والتعليم محصوراً في نطاق ضيق ، لذلك نجد أن كثيراً من المفردات الأجنبية التي كانت مستخدمة في عامية العهد العثماني قد اختفت اليوم . وبذلك كان للغة العربية وضعها الخاص وظروفها الخاصة التي حكمت تطورها .

إن هذا التطور الايجابي في العامية المتطورة نحو الفصحى يدل على حيوية وقدرة على التكيف[1] ، ومما هو جدير بالذكر أن قدرة العلماء العرب على استيعاب العلوم الإغريقية وغيرها ، وتطويرها في القالب العربي كان يقابلها ويسهل مهمتها ، القدرة الهائلة للغة العربية على الوصف العلمي المتخصص واستيعاب للتخصصات الجديدة ، مما يُبطل ادعاءات البعض بقصور هذه اللغة عن مواكبة العلوم العصرية ، وضرورة استبدالها باللاتينية أو بالإنجليزية ، وهي ادعاءات لا تمت إلى الحقيقة بصلة ، فلقد استقى الغربيون من العلوم العربية منهج التفكير العلمي التجريبي وطبقوه وطوّروه ، فنقلوا أجود ما فيه ، وتركوا مالا يناسب عصرها، ثم أخذوا المصطلحات العربية وادخلوها في لغتهم والمصطلح هو أساس المعرفة ، وقد كان العرب هم أصحاب معظم المصطلحات والتعريفات العلمية لمعظم العلوم المعروفة حتى نهاية القرن الخامس عشر الميلادي ، وهذا يدل على أصالة العلوم العربية[2] .

---

(1) المرجع السابق ، ص13 .

(2) أحمد شحان ، عراقة الكرامية ، ط1 (بيروت ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، 2003) ص40 .

وكانت ترجمة العلوم العربية إلى اللغة اللاتينية هي الخطوة الأولى نحو النهضة العلمية الأوروبية الحديثة ، ويكفي أن نطلع على الكم الهائل من المؤلفات العربية المترجمة إلى اللاتينية لندرك قيمة هذه الخطوة ، كان جيرارد الكريمون من أشهر المترجمين في تاريخ النهضة ، وقد سهلت ترجماته على الغرب معرفة الأساسيات العلمية والمصطلحات والنظريات والمعادلات والآلات والأجهزة ، التي حددها وعرفها العلماء العرب بشكل علمي واضح ومصنف ، وهذا بدوره سهل على العلماء الغربيين تسخير هذه المعارف لتأسيس الجامعات والمختبرات ودور البحث العلمي التجريبي .

أن العلماء العرب حققوا العديد من الإنجازات العلمية الفذة ، التي انطلق منها علماء اليوم ، وذلك رغم ضيق الإمكانيات وصعوبة النسخ والتنقل والتصنيع وهي عوامل حدت من حركة البحث العلمي مقارنة بإمكانيات العصر الحديث ، ومع ذلك فقد توصلت إلى نتائج ومعادلات أتخذها علماء النهضة العلمية الحديثة أساساً لتحديث وتطوير أفكارهم في نهضتهم العلمية والصناعية على حد سواء [1].

إن أسس اللغات الغربية ليست بأمتن أو أوسع من أسس اللغة العربية ، وأن اللغة العربية أفلحت في استيعاب كثير من أبواب المعرفة والعلوم في الماضي والحاضر ، فضلا عن أن الأسلوب العربي أكثر انسجاماً فيما يتصل بالأفكار والعلوم الحديثة ، إن الدعوة لاستعمال اللغات غير العربية في دراسة العلوم لم تنبعث من عدم إمكان تيسير استعمال اللغة العربية إلى العلوم الجديدة ، إنما هي منبعثه من دافع نفسي أعمق وهو مدى ضعف إدراكهم للغة العربية [2].

الخلاصة أن اللغة العربية تحتاج إلى مضاعفة الجهد في ثلاثة مجالات مهمة لتكون قادرة على استيعاب حاجات المجتمع ويستغني الناطقون بها عن الارتباط بلغة أجنبية .

1. إيجاد المصطلح المناسب في مجال العلوم والآداب وتوحيده بطريق استعمال البديل العربي من المعجم العربي أو التعريب .

---

[1] أنظر نفس المرجع السابق ، ص120 .

[2] أنظر سعدون حمادي وآخرون ، مرجع سبق ذكره ، ص178 .

2. الترجمة من اللغات الأخرى سواء في ذلك ترجمة الكتب العلمية أو الأدبية .
3. تأليف المعجمات المختلفة والمناسبة للمراحل الدراسية أو التخصصات العلمية والأدبية .

لقد أصبحت هذه المجالات المذكورة علوما تعتد بها الدول المعاصرة واللغة من أهم مقوماتها ، فعلم المصطلح صار من العلوم المتقدمة والترجمة هي الأخرى ذات أهمية كبرى في نقل المعرفة وتنمية اللغة ، ولها صلة وثيقة بقضية المصطلح السابق ذكره ، والترجمة توفر المعرفة للمجتمع الذي تترجم إلى لغته ، وللعربية تجارب غنية قديما في ترجمة العلوم والآداب من لغات الأمم الأخرى ، كذلك العمل المعجمي له صلة وثيقة بالمصطلح والترجمة والتعريب وللعرب في تأليف المعجمات تاريخ وجهود كبيرة منذ تأليف الخليل معجمة "العين" .

وما تلاه من تصنيف المعجمات في مختلف مناهجها وأنواعها وموضوعاتها ولكي نتذكر الأثر الهام للعرب في أوروبا يكفي أن نعلم أن 20% من الألفاظ الأسبانية هي من أصل عربي ، مما يدل على تمكن هذه اللغة من حركة حياة الإنسان الأوروبي حتى اليوم.

الفصل الثالث

دراسة وتحليل تأثير العولمة على الثقافة العربية

الفصل الثالث

دراسة وتحليل تأثير العولمة على الثقافة العربية

تمهيد

في هذا الفصل ينتقل الباحث إلى دراسة وتحليل تأثير العولمة على الثقافة العربية وهي عملية سيرورة مستمرة تاريخيا ولم تحصل فجأة أو من فراغ ، ولم تكن الثقافة العربية بعيداً عنها فتجارة شبه الجزيرة العربية تاريخيا مع آسيا جعلت من تجارها روادا للعولمة وحملوا قيماً وأفكاراً إذن ثقافتنا تحدد نمط وجودنا في المساحة المكانية وفي التعامل مع الآخر ، طريقة في الرؤية للعالم وطريقة في التأويل وفي النظر ، طريقة في ترتيب أشياء العالم وحدوده وهذه الطريقة نتشربها ونتسبح في عالمها دون أن نعيها تماماً ، أنها المساحة الثقافية التي تضم عاداتنا وتقاليدنا وقيمنا ، وهي لا تتغير بالطريقة التي نغير بها ملابسنا.

تتعرض الثقافة العربية لخطر كبير بفعل ظاهرة العولمة إذ تمثل العولمة أخطر التحديات المعاصرة للثقافة العربية وهذه الخطورة لا تأتي من الهيمنة الثقافية التي تنطوي عليها العولمة فحسب ، وإنما أيضا من الآليات والأدوات التي تقود إلىَ استنهاض الأطر للتأثير على وسائل التعبير عن الثقافة العربية ، وكذا التأثير على مخرجات الثقافة العربية من أجل العمل على اندثار هذه الخصوصية التي تتمتع بها الثقافة العربية ، ما تقدم يتناوله الباحث من خلال المباحث الأربعة التالية:

المبحث الأول : تأثير العولمة على مكونات الثقافة العربية .

المبحث الثاني : تأثير العولمة على وسائل التعبير عن الثقافة العربية .

المبحث الثالث : تأثير العولمة على مخرجات الثقافة العربية .

المبحث الرابع : استراتيجية مواجهة تأثير العولمة على الثقافة العربية .

المبحث الأول

تأثير العولمة على مكونات الثقافة العربية

تمهيد

يستعرض الباحث في هذا المبحث تأثير العولمة على مكونات الثقافة العربية حيث يبين الباحث أثر التطورات والمتغيرات المتسارعه على مكونات الثقافة العربية إذ تشكل أحد أهم المداخل الرئيسية للتأثير على مقومات الثقافة القومية للأمة والتي شكلت كثيراً من مفردات حياة هذه المجتمعات العربية النابعة من طبيعة هذا الفكر الذي هو في الأصل نتاج تفاعل أهل هذه المجتمعات مع بيئتهم ، وتفاعلهم لعصور طويلة مع بعضهم البعض ، ومع غيرهم من المجتمعات وذلك على النحو الذي سوف نفصله وفق التالي :

أولاً : تأثير العولمة على مكونات الثقافة العربية :

لقد أثرت ظاهرة العولمة التي تمثل مرحلة ذات خصوصية في تاريخ تطور المجتمع الإنساني تأثيراً واضحاً على مكونات الثقافة العربية وذلك لأن الأخيرة هي أداة فهم وإدراك واستيعاب بل وتفسير كافة أمور وقضايا المجتمع الإنساني بل والعالم بأسره ، ولما كانت الثقافة هكذا فهي في حالة تماس وتفاعل وتلاقٍ دائم مع تطورات ذلك المجتمع والعالم أجمع ، ومن شأن ذلك التفاعل أن يفرز آثاراً ملموسة على الثقافة ويخرج في ذات الوقت نتائج بارزة على المجتمع يمكن تلمسها في تطوره الدائم ، وهكذا فالثقافة والعولمة في حالة تفاعل لا يتوقف كل منهما يأخذ من الآخر ويعطيه بمقدار ، ويهمنا في هذا السياق الوقوف على تأثير العولمة على مكونات الثقافة العربية وهو الأشد والأوضح و الأجدر بالاهتمام والبحث ، أما التأثير المقابل المتعلق بتأثير الثقافة العربية على العولمة فتلمسه من الصعوبة بمكان، والبحث في أثره قد يكون أكثر صعوبة ،ومن ثم ينبغي البحث في أثر العولمة على مفردات الثقافة العربية ونمنحه الأهمية في هذا السياق [1] .

---

1. يسبوني محمد الخولي ، موسوعة الدور الزاهرة في الاصلاه المعاصرة ، المجلد الرابع ، الذات الحضارية للإسلام (الحضارة الإسلامية) ، الجزء الأول ، مفهوم الحضارة الإسلامية ونظرية نشوئها (قبرص ، مركز دراسات العالم الإسلامي ، 2004) ص148

وتأثير العولمة على الثقافة العربية يأتي من خلال تأثير تلك الظاهرة على مفردات الثقافة ثم يتحول ذلك التأثير إلى المخرجات ومن ثم تصطبغ الثقافة جميعاً متبعاً ومصباً مدخلاً ومخرجاً بصيغة العولمة ، ويمكن متابعة تأثير العولمة على مفردات الثقافة العربية على النحو التالي[1]:

1. المعارف المكتسبة :

المعارف المكتسبة من أهم مفردات الثقافة بشكل عام وعلى غرار ذلك تكون الثقافة العربية ، وكافة الثقافات على ظهر البسيطة تكتسب من بعضها المعارف اللاحق من السابق ، وما من شك في أن كافة المعارف في وقتنا الراهن قد تأثرت بظاهرة العولمة التي من أهم مكوناتها التطور العلمي والتقني وليست الثقافة العربية في ذلك بدعاً من الثقافات الأخرى ، فهي تتأثر في معارفها المكتسبة من الثقافات الأخرى بالعولمة وما نتج عنها من إفرازات ونتائج .

إن المعارف المكتسبة التي تعد إحدى مرتكزات ومفردات الثقافة العربية شأنها شأن الثقافات الأخرى لم تعد تتمسك بالذاتية أو ترسخ فكرة الخصوصية بل أصبحت على درجة عالية من الإيمان بعمومية المعرفة وعالمية العلم ، وكان ذلك حرياً بأن يفرض بقوة فكرة عالمية الثقافة ويزكي مقولة الثقافة العالمية الإنسانية .

2. العادات والتقاليد :

العادة هي الحالة التي تتكرر على نهج واحد ، واعتمدت حتى صارت تُفعل بشكل تلقائي ودون جهد ، وعليه فالعادات جزء من حياة الإنسان سواء في فكره أو سلوكه ، والعادة يكتسبها الإنسان من نمط حياته ، فهي وثيقة الصلة بالنمط الحضاري ، الذي تشكل من جماع علاقة الإنسان بالكون وعناصر الوجود والعادة بهذا الوصف تساهم في صياغة وعي الفرد وإدراكه لذاته وللوجود من حوله وتعبر في ذات الوقت عن مدى عمق ذلك الوعي ، وكذا اتساع الإدراك ومعلوم أن الوعي والإدراك من المكونات الثقافية المهمة التي شكلت الثقافة العربية منذ

---

[1] بسيوني محمد الخولي، موسوعة الدرر الزاهرة في الأمثال المعاصرة، المجلد الخامس ،المنطق الثقافي للإسلام (الثقافة الإسلامية) الجزء الخامس الثقافة الإسلامية في المعترك (قبرص ، مركز دراسات العالم الإسلامي ، 2005) ص161 .

القدم ولا يزالا على قدر يعتد به من الأهمية في تلك الثقافة حتى وقتنا الراهن [1].

والتقاليد ترتبط بالعادات ارتباطاً عضوياً ، فالعادات حالة تتكرر بوتيرة واحدة ، والتقاليد إن هي إلا عادات متوارثة يقلد فيها الخلف السلف فهي إذن عادات انتقلت بالإرث ، ومعنى ذلك أن هناك عادات ابتكرها الناس وصنعتها الأجيال ، وهناك عادات أخرى لم يصنعوها وانتقلت إليهم من اسلافهم والاخيرة هي التقاليد التي لم يبتكرها أو يصنعوها بل توارثوها ، فعادات اليوم ستصبح تقاليد الغد[2].

وتشترك العادات مع التقاليد في مزيج متجانس يشكل أحد المكونات الثقافية النابعة من الذات والمعبرة عن خصوصية الأنا الإنسانية ، فهي لم تأت من الأخر ويباشر مزيج العادات والتقاليد دوره في تشكيل الوعي والإدراك ، وهي بدورها مكونات ثقافية أساسية[3].

إن عادات العرب وتقاليدهم التي تأثرت ببيئتهم الطبيعية وبأنماطهم الحضارية كانت رافداً مهماً من روافد ثقافتهم ، بل ومن هذه العادات والتقاليد ما أستمر حتى الآن وباشر دوره في الثقافة العربية في وقتنا الراهن إلا أن تلك العادات و التقاليد قد تأثرت بظاهرة العولمة تأثراً أفضى إلى التأثير في الثقافة العربية بشكل عام لقد اكتسب العرب عادات وتقاليد جديدة من الثقافات الأخرى التي كانت أكثر انتشاراً وتداولاً[4].

3. الأعراف :

العرف هو ما تعارف عليه الناس إلى ما يشبه الاتفاق في العادات والمعاملات ، وعليه فالعرف أيضاً عادة معروفه ومتفق عليها في الفكر أو السلوك أو التعامل ، والعرف في الفكر والسلوك هو العادات والتقاليد وفي المعاملات هو العرف الذي يعد قانوناً غير مكتوب ، والعرف مثله مثل العادات والتقاليد يساهم في صنع المملوك الذاتي والإرث الخاص لدى العنصر العربي ، وكان العرف من

---

(1) المرجع السابق ، نفسه.
(2) المرجع السابق ، ص162 .
(3) المرجع السابق ، ص149 .
(4) المرجع السابق ، نفسه .

القوة والصلابة والتأثير إلى درجة أنه حل محل القوانين والتنظيمات الإدارية والسياسية حتى بعد تشكيل الدولة بصيغتها المتعارف عليها في بلاد العرب ، ولا يزال العرف من القوة ، والصلابة لدرجة أنه كان في قائمة مفردات الثقافة العربية التي تأثرت بالعولمة والسبب وراء ذلك هو أن العرف أقرب إلى القانون والأخير يمس صميم علاقات وتفاعلات المجتمع التي لا ينبغي أن تستجيب للمؤثرات الخارجية إلا في أضيق نطاق وتستعصي دوماً على المتغيرات وترفض الانصياع سريعاً للمستجدات[1].

4. نسق القيم :

القيمة هي معنى أو فكرة إنسانية مطلقة تحقق رغبات الإنسان في حياة فاضلة ومثالية ، وتتفق مع الفطرة السوية ، ولكل مجتمع إنساني مهما كان مبلغه من التحضر و التمدن قيمه التي تشكل مجتمعه نسقاً متماسكاً[2] .

ويلعب نسق القيم دوراً مهماً في تشكيل المكون الثقافي للعرب ، وقد اختلط ببقية المكونات الأخرى مثل العادات والتقاليد والأعراف والموروث الحضاري ، وتوزع النسق القيمي العربي على جميع مناحي الحياة من سياسية واقتصادية واجتماعيه وفكرية ... الخ .

وبالرغم من إنسانية القيم وشيوعها إلا أن الأنساق القيميه تختلف من مجتمع إلى آخر من حيث سلم ترتيب تلك القيم الذي يصنفها وفق أهميتها ودورها كضوابط للأفكار والسلوك[3].

وقد أشتمل نسق القيم العربي على العديد من القيم في كافة مناحي الحياة مثل ، نصرة المظلوم ، وإجارة الضعيف والكرم والشجاعة والمروءة واحترام أصحاب الخبرة والتجربة من كبار السن ، وكان لكل ما تقدم من قيم موقعة وأثره في مكونات الثقافة عند العرب ، وبالرغم مما تقدم استجابت تلك القيم للمتغيرات والمستجدات وكذا لتأثيرات العولمة كظاهرة وكمرحلة من مراحل التطور الإنساني

---

(1) المرجع السابق ، نفسه .
(2) المرجع السابق ، ص151 .
(3) المرجع السابق ، نفسه .

وقد بدأ ذلك التأثير في التقليل من قيمة تلك القيم وأهميتها مرة ثم في تخليها عن أصالتها وعراقتها مرة أخرى ثم في عدم فعاليتها مرة أخيرة[1].

5. تأثير العولمة على الثقافة الإسلامية :

إن الإسلام وإن كانت دعوته عالمية الهدف والغاية والوسيلة ، ويرتكز الخطاب القرآني على توجيه رسالة عالمية للناس جميعاً ، ووصف الخالق عز وجل نفسه بأنه "رب العالمين" وذكر الرسول صلى الله عليه وسلم مقترناً بالناس والبشر جميعاً ، فإن حضارة الإسلام قامت على القاسم المشترك بين حضارات العالم ، فقبلت الآخر وتفاعلت معه أخذا وعطاء ، بل إن حضارة الإسلام تعاملت مع الاختلاف بين البشر باعتباره من حقائق الكون ، لذلك دعا الخطاب القرآني إلى اعتبار فوارق الجنس والدين و اللغة من عوامل التعاون بين البشر ، اتساقا مع نفس المبادئ ، يوحد الإسلام بين البشر جميعاً رجالاً ونساءً ، في جزئيات محددة أصل الخلق والنشأة ، والكرامة الإنسانية والحقوق الإنسانية العامة ، ووحدة الألوهية ، وحرية الاختيار ، وعدم الإكراه ، ووحدة القيم والمثل الإنسانية العليا[2].

وتبدو الاختلافات جلية بين عالمية الإسلام ومفهوم العولمة المعاصر ، فبينما تقوم الأولى على رد العالمية لعالمية الجنس البشري والقيم المطلقة ، وتحترم خصوصية وتفرد الشعوب والثقافات المحلية ، ترتكز الثانية على عملية "نفي" و "استبعاد" لثقافات الأمم والشعوب ومحاولة فرض ثقافة واحدة لدول تمتلك القوة المادية وتهدف عبر العولمة لتحقيق مكاسب السوق لا منافع البشر[3] .

ورغم هذه السيطرة الغربية على العولمة ومسارها إلا أن القوى المختلفة الداعية إلى حق الاختلاف والخصوصية الدينية والثقافية يمكنها توظيف أدوات العولمة ذاتها لمواجهتها ، ففي قمة "سياتل" التي انعقدت في الولايات المتحدة الأمريكية ديسمبر 1999 نظم ونسق المعارضون لاتفاقية الجات جهودهم عبر

---

[1] المرجع السابق ، نفسه .
[2] عمر عبدالكريم ، العولمة مفهومها (الأهرام للبحث العلمي ، العدد بدون ، 2004) ص4 .
[3] المرجع السابق ، ص5 .

شبكة المعلومات ، مما يدل على أن الإنسان يستطيع توظيف كل جديد في الدفاع عن هويته و ذاته وإنسانيته [1] .

وفي هذا الإطار سنحاول قبل عرض الموقف الإسلامي من القضية ، أن نعرض تلك المواقف وردود الفعل العالمية التي أثارتها قضية العولمة فمن وجهات النظر الأمريكية السافرة في التحيز لعولمة المنظومة الثقافية الأمريكية نقرأ لدافايد روشكوبف أستاذ العلاقات الدولية بجامعة كولومبيا المسئول السابق في حكومة كلينتون قوله : يذهب العديد من المراقبين إلى أن استغلال الفرص التي خلقتها الثورة المعلوماتية الكونية للترويج للثقافة الأمريكية على حساب الثقافات الأخرى هو شيء بغيض ، لكن هذا النوع من النسبية أمر خطر بقدر ما هو خاطئ ، إذ أن الثقافة الأمريكية تختلف جوهرياً عن الثقافات ابنة بيئتها في العديد من المجتمعات الأخرى ، فالثقافة الأمريكية هي مزيج من المؤثرات والمناهج من مختلف أنحاء العالم ، وقد انصهرت عن وعي في حالات عديدة وسط واقع اجتماعي يسمح بازدهار الحريات الشخصية والثقافية ، وإذ يدرك الأمريكيون ذلك ، فإنهم يجب ألا يخجلوا من القيام بما هو في مصلحتهم الاقتصادية والسياسية والأمنية وبالتالي بما هو في مصلحة العالم ككل ، ويتعين على الولايات المتحدة ألا تتردد في الترويج لقيمها ، وفي سعيهم لأن يكونوا مهذبين أو سياسيين ، وينبغي على الأمريكيين ألا ينكروا حقيقة أنه بين كل الأمم التي عرفها تاريخ العالم ، فإن أمتهم هي الأكثر عدلاً ، والأكثر تسامحاً ، والأكثر حرصاً على إعادة تقييم الذات وتحسينها ، وهي النموذج الأفضل للمستقبل[2].

إن لله تعالى قوانينه التي تحكم حركة الحياة في المجتمع ، ومن شأن هذه القوانين أن تأخذ بهذه المجتمعات إلى مكان الريادة والصدارة ، فتسود ويسود معها أخلاقياتها ومبادئها وعقائدها ، وإذا كانت هذه المبادئ تعتمد في أسسها على عقائد صحيحة كان لها الخلود والدوام وهذا ما تميزت به مبادئ الثقافة الإسلامية في تأسيس حضارته وبناء مجتمعاته فإن هذه المبادئ تستمد قوتها من قوة الاعتقاد

---

[1] المرجع السابق ، نفسه .

[2] محمد إبراهيم المبروك وآخرون ، الإسلام والعولمة ، ط2(الجيزة ، الدار القومية العربية ، 1999) ص ص13-14 .

وصحته ، وترتبط بها وجوداً وعدماً ، فكل حركة في بناء المجتمع ترتبط بالعقيدة الإسلامية ابتداءً من عقيدة التوحيد التي هي أصل الإيمان ، وانتهاء بإماطة الأذى عن الطريق ، مروراً ببناء الأسرة ونظام الحكم والعلاقات الاجتماعية بين الأفراد[1] وتاريخ الحضارة الإسلامية دليل واقعي على ذلك ، فيوم أن ساد منطق الإيمان في السلوك والعلاقات الاجتماعية وفي نظم الحكم توفرت عوامل بناء الحضارة فأقام المسلمون حضارتهم التي أنارت للبشرية طريقها إلى عصر النهضة الذي نعيشه علماً وفكراً وثقافة ، لأنهم آمنوا أن مفتاح التقدم العلم ، وأن من سنة الله في خلقه ارتباط الأسباب بنتائجها فاكتشفوا القوانين وأدركوا العلاقات ووظفوا العلم لصالح الإنسان ، ولما انتقلت هذه الحضارة إلى أوروبا جردوها من منطق الإيمان ووظفوا العلم بمنطق شيطاني ليسيطروا به على مقدرات الشعوب فأصبحت حضارتهم خالية من روح الإسلام فوظفوا العلم لدمار العالم بدلاً من إعماره[2] .

إن كل المؤشرات تؤكد أن الثقافة الإسلامية أصبحت اليوم في الواجهة وأضحى العالم الإسلامي مدفوعاً إلى المواجهة ، ليس منذ الحادي عشر من سبتمبر 2001 ولكن قبل هذا التاريخ ، وبصورة تقريبية ، منذ سقوط جدار برلين وانهيار الاتحاد السوفيتي السابق وانفراط عقد المعسكر الاشتراكي ، وتربع الولايات المتحدة الأمريكية على قمة النظام الدولي الجديد ، باعتبارها القطب الأوحد ، بعد أن كانت أحد القطبين المتنافسين والمتصارعين في ما كان يعرف بالحرب الباردة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، وإلى مطلع التسعينات من القرن الماضي[3].

ولقد سبق لأقطاب من الغرب ، أن عبروا بصراحة مطلقة ، عن وصف الإسلام بأنه الخطر الأخضر ، في مقابل الخطر الأحمر ، وهو الشيوعية التي دالت دولتها ودلى عهدها .

---

[1] المرجع السابق ، ص47 .

[2] المرجع السابق ، ص48 .

[3] عبدالعزيز بن عثمان التويجري ، مرجع سبق ذكره ، ص78 .

فمنذ أزيد من عقد من الزمن والغرب ينظر إلى الإسلام وإلى العالم الإسلامي هذه النظرة المتوجسة المليئة بالشك والريبة وعدم الثقة ، حتى إذا جاءت أحداث الحادي عشر من سبتمبر ، التي أدانها العالم الإسلامي إدانة صريحة ، تفاقمت حالة العداء للإسلام والمسلمين ، وأصبح العالم الإسلامي في واجهة الأحداث [1].

لقد تصاعدت المتغيرات الدولية بوتيرة مطردة وتنامت مضاعفاتها على الوضع الدولي بصورة مؤثرة ، فتفاقمت نتيجة لذلك كله المخاطر التي تهز استقرار المجتمعات الإنسانية ، وقد نالت الثقافة الإسلامية قدراً كبيراً من الأضرار التي تسببها المتغيرات الدولية في ظل العولمة ، حتى أصبحت أقطار العالم الإسلامي واقعة تحت تأثير هذه المتغيرات ، وإن لم تنخرط تواجه التهديد المباشر باستخدام القوة ضدها[2].

والعولمة ليا أثران سيئان من خلالهما أثرت على الثقافة الإسلامية بشكل كبير[3]:

الأثر الأول : هو ضرب دور الدولة الوطنية في المجال الاقتصادي والسياسي فإن الشركات المتعددة الجنسيات أدى تطورها وتضخمها إلى تعميق العولمة اقتصاديا وتعدد أنشطتها في كل المجالات : الاستثمار والإنتاج والنقل والتوزيع والمضاربة ووصل الأمر إلى أنها صارت تؤثر في القرار السياسي والبعد الثقافي والمعرفي في ظل العولمة .

الأثر الثاني : هو ضرب الهوية الثقافية للأمة ، حيث بدأ التطبيق الإعلامي والمعلوماتي الواسع في ثورة الاتصالات التكنولوجية وامتلأ الفضاء الخارجي بالأقمار الصناعية ، ويتم الآن بث الحملات الإعلامية من خلال هذه الأقمار الصناعية وبرامج الحاسب الآلي والانترنت ، لأن الشعوب تتأثر بذلك بدرجة كبيرة ، فلابد أن يعمل العالم الإسلامي على التصدي لتلك الحملات فالأقمار الصناعية العالمية مقرر لها أن تنقل قنواتها دون الدش ، ومع ذلك فإن العولمة لا تستطيع أن تؤثر على الخصوصية الحضارية والثقافية للشعوب لكي تجعلها تذوب

---

(1) المرجع السابق ، نفسه .
(2) المرجع السابق ، ص85 .
(3) محمد إبراهيم السبروك ، مرجع سبق ذكره ، ص70 .

جميعها في وحدة واحدة كما يقولون لأن هذه الخصوصية الحضارية والثقافية تمتد لمئات وآلاف السنين وبالتالي فهذا التخوف ليس في محله ومع ذلك فإننا يجب أن نأخذ ذلك في الاعتبار.

الخلاصة فإن العالم المعاصر يجتاز مرحلة دقيقة ، من ملامحها الظاهرة تراجع سلطة القانون الدولي نتيجة لمحاولات تجاوز الأمم المتحدة ، وهو الأمر الذي يؤثر تأثيراً خطيراً على الأمم والشعوب ذات الإمكانيات الأضعف والقدرات الأقل إمّا على المستوى الاجتماعي ، أو على المستوى الاقتصادي ، أو على المستوى الثقافي و الفكري . وفجّر نظام العولمة اكتساحه معظم بلدان العالم الإسلامي أزمة حضارية لم تعرفها البشرية من قبل ، إذ بينما تطرح الأمم المتحدة الحوار بين الحضارات والثقافات بديلاً عن الصراع فيما بينها ، تدفع العولمة بقوة في اتجاه الصدام على مختلف الأصعدة ، وتخلق المناخ الدولي الذي يزكي الصراع على جميع المستويات ، مما يتعارض كليا ، مع قواعد القانون الدولي الذي يقر بالخصوصيات الثقافية والحضارية للأمم والشعوب ، ويكفل حق الفرد والجماعة في التشبث بها والعيش في كنفها .

وتتصرف العولمة للتأثير على الثقافة الإسلامية من خلال تحطيم القيم والهويات التقليدية للثقافات الوطنية الإسلامية والترويج للقيم الفردية والاستهلاكية الأمريكية والمفاهيم الاجتماعية الغربية بصفة عامة واعتبار تلك القيم والمفاهيم هي وحدها المقبولة كأساس للتعاون الدولي في ظل العولمة ، ويمكن الإشارة في هذا الصدد إلى الوثيقة المسماة الاستراتيجية المشتركة للاتحاد الأوروبي في المتوسط والتي أصدرها مؤتمر قمة الاتحاد الأوروبي في يونيو 2000 وتشير الوثيقة صراحة إلى سعي الاتحاد إلى تغيير بعض القيم الدينية في الدول العربية المطلة على البحر المتوسط بحيث تتوافق مع القيم الأوروبية ويرتبط بذلك سعي بعض القوى المحافظة في الغرب إلى استهداف الإسلام والعالم الإسلامي كعدو جديد للغرب وافتعال صراع حضاري جديد بينهما يتمكن بموجبه الغرب من فرض قيمه الثقافية نهائياً.

المبحث الثاني

تأثير العولمة على وسائل التعبير عن الثقافة العربية

تمهيد

على الرغم من اتفاقنا على أن العولمة من أكثر المفاهيم غموضاً لأسباب عديدة من أهمها أنها تنطوي على عمليات اقتصادية وسياسية وثقافية واجتماعية متداخلة إلا أنه من المؤكد أنها دعوة أو مسعى لنفي الحضارات الأخرى غير الغربية وأهم آليات العولمة في هذا السياق تقويض اللغة العربية الفصحى لتيسير مهمة الهيمنة الثقافية ، وتوجيه الطابع القومي لشعوب العالم العربي لتتواءم مع الحضارة الأورو- أمريكية ، وتتضح هذه التجليات بصورة واقعية من خلال الآتي :

أولا : اللغة العربية في عصر العولمة :

تبدو العولمة في أوضح صورها ظاهرة تكرس الهيمنة المركزية لدول الشمال المتقدمة على دول الجنوب النامية أو المتخلفة ، ومن خلال هذه الهيمنة تفرض شروطها الاقتصادية والسياسية والثقافية [1].

وإذا اقتصرنا على الجانب الثقافي باعتبار اللغة هي أبرز معالمة نجد أن الهيمنة الثقافية تعد نتاجاً مقصوداً أو غير مقصود لظاهرة العولمة فلاشك أن أذرعه العولمة الطويلة المتمثلة في الشركات المتعددة الجنسيات وشبكات الإعلام العملاقة وما يصاحب مواكب العولمة من أنماط السلوك والممارسات ، يمثل اختراقاً صارخاً لخصوصيات الشعوب وثقافاتها ، الأمر الذي ينذر بالتهديد لهويات هذه الشعوب ، ولا شك أن الشأن الثقافي لكل أمة هو الذي يحدد بقوة ملامح هويتها ، وعندما نتكلم الآن عن الثقافة فإنما نتكلم عنها بمنظورها الواسع المستمد من عقيدة الأمة ولغتها وتراثها المشترك[2] .

---

(1) احمد بن محمد الضبيب ، اللغة العربية في عصر العولمة ، ط1 (الرياض ، مكتبة العبيكان ، 2001) ص13 .
(2) المرجع السابق ، نفسه .

وتعد اللغة من أهم الملامح التي تكون هوية الأمة وتميزها عن غيرها من الأمم ، فاللغة والدين هما العنصران المركزيان لأي ثقافة أو حضارة ، كما يؤكد ذلك هانتنغتون في كتابة "صدام الحضارات" ومن هنا فإن أي تحد لثقافة ما ينطوي على تحد للغتها ، فهل تواجه العربية تحدياً من هذا النوع في عصر العولمة ؟

إن كل لغة تتعرض للاحتكاك باللغات الأخرى هي لغة مرشحة للتحدي ، ذلك أن الاحتكاك الحضاري يستتبع احتكاكاً لغوياً في الغالب بين اللغة الأصلية واللغة الوافدة عندما كان العرب يعيشون منعزلين نسبياً في جزيرتهم العربية لم تكن لغتهم تتعرض للاحتكاك بالدرجة التي تؤثر فيهم تأثير عميقاً ، ولذلك اقتصرت التأثيرات الأجنبية فيها على بعض الألفاظ التي أفادها التجار أو الشعراء من البلدان المجاورة ، والمتعلقة في الغالب بأسماء الأدوات أو النباتات التي لم يكن للعرب بها عهد في جزيرتهم[1] .

لكن بعد أن انتشر العرب في بلاد الله الواسعة ، بفعل الفتوحات ، واستقروا في الأمصار الإسلامية التي دانت بالإسلام أخذت التحديات تواجه العربية بفعل احتكاكها بلغات البلاد المفتوحة ومع أن اللغة العربية في ذلك الوقت كانت هي التي تكسب الجولات المختلفة ، فتنتصر على تلك اللغات في بلدانها ، وتحول أبناءها إلى الثقافة العربية واللغة العربية كما حدث في فارس ومصر على سبيل المثال ، إلا أن تأثير هذه اللغات الأجنبية عليها كان واضحاً بالدرجة التي جعلت المخلصين من علمائنا القدماء يبادرون إلى جمع اللغة من أفواه العرب الأصلاء ، ويضعون القواعد النحوية من أجل تفادي اللحن[2] .

أما في العصر الحاضر فإن اللغة العربية تواجه بتحديات شرسة من قبل قوى العولمة المختلفة ، المتمثلة في المصالح المادية الناجمة عن الاتصال بالأجنبي ، والتأثير الإعلامي القائم على الصخب والضجيج والتبشير باللغة الإنجليزية على أنها اللغة العالمية التي هي لغة البشر[3] .

---

(1) المرجع السابق ، ص14 .
(2) المرجع السابق ، نفسه .
(3) المرجع السابق ، ص15 .

إن التحدي الذي يواجه اللغة العربية في هذا العصر مرده إلى الشعور المبالغ فيه بأهمية اللغة الأجنبية الناتج غالباً عن الانبهار بكل ما هو أجنبي، والظن الزائف بأن التقدم لا يأتي إلا عن طريق إتقان اللغة الأجنبية للجميع ، بل والتحدث بها بين العرب أنفسهم ، وغني عن الذكر أن هذا الشعور يأتي من الإحساس بالهزيمة النفسية التي يعاني منها الإنسان العربي في هذا العصر ، والإعجاب المتنامي بصانع الحضارة المعاصرة الذي يمثل المنتصر والغالب[1] .

وتعد أسماء الأدوات الحضارية التي وردت إلينا من أكثر ألوان الدخيل توغلاً في لغتنا ، ولكثرتها وعدم ملاحقتها بالتسميات المقابلة لها فإنها تملأ معجمنا المعاصر ولاشك أن كثرة الدخيل في اللغة يغير من ملامحها ويجعلها أشبه ما تكون باللغة التابعة أو المعتمدة على اللغة الأخرى ، مما يحيلها في نهاية الأمر إلى مسخ لا تتبين ملامحه .

والغريب أن الولع باللفظ الأجنبي يؤدي بكثير من الناس إلى ترك اللفظ العربي المتيسر إلى اللفظ الغريب ، مثال ذلك كلمة (هاتف) فقد استقرت لدى كثير من العرب وأصبحت مفهومة ومستساغة ، ومع ذلك فإن كثيراً منهم صاروا يستعملون كلمة (تلفون) ، وكذلك استعمالهم كلمة Mobile وهي تعني (الهاتف النقال) فإن كثيراً من الناس في البلاد العربية يستعملون هذا اللفظ الأجنبي ، مع وجود أربعة أسماء عربية في الأصل متوافرة على امتداد الوطن العربي هي : الجوال ، والنقال ، والمحمول ، والخلوي[2].

ويبدو التحدي سافراً للغة العربية في المجتمع بفعل العولمة والتشبه الساذج بالأجنبي عندما تجاهر كثير من المحلات التجارية ، والمؤسسات الخاصة والشركات العاملة في الوطن العربي بكتابة لافتاتها بالأجنبية ، وتسيطر تقاريرها وصياغة عقودها وإصدار تعليماتها إلى العاملين فيها – وإن كانوا عرباً – باللغة الأجنبية ، الأمر الذي يمس الوضع السيادي للغة العربية بوصفها اللغة الرسمية لجميع دول الوطن العربي ، وفي هذه الحالة يرقى الفعل إلى درجة الاستهتار

---

[1] المرجع السابق ، ص16 .
[2] المرجع السابق ، ص17 .

بهيبة الدولة ، والانتقاص من كرامة البلاد ، وفي بعض البلدان المتقدمة يشكل هذا الفعل جريمة يعاقب عليها القانون [1].

وعندما ننظر إلى وضع اللغة العربية في سوق العمل نجد أن المبالغة في أهمية اللغة الإنجليزية واشتراط إجادتها كتابة وقراءة وتحدثاً من قبل الشركات الأجنبية وغير الأجنبية قد أصبح ظاهرة تستحق الوقوف عندها وتأملها بل وتأمل انعكاساتها على مصلحة الوطن وملامح الهوية ، ومن المتوقع أن تزداد مزاحمة اللغة الأجنبية للعربية شراسة في سوق العمل مع استفحال ظاهرة العولمة إذا ترك الحبل لهذه اللغة الأجنبية على الغارب [2].

ويكفي أن نعرف أن اشتراط إجادة اللغة الإنجليزية – سواء كانت ضرورية للعمل أو لم تكن – قد وقف حائلاً أمام المواطن العربي في منطقتنا العربية دون الحصول على لقمة العيش وفتح الباب على مصراعيه لأعداد غفيرة من الأجانب حلوا محل المواطنين وكلف المواطن العربي الكثير كي يتعلم هذه اللغة ويجيدها من أجل أن ينافس العامل الأجنبي ، ولعله من المنتظر أن تسهم الشركات العالمية العابرة للحدود في تعميق هذا الوضع وجعله أشبه ما يكون بالأمر الواقع ، مما يتسبب في استجلاب المزيد من العمالة الأجنبية ، وسد الباب أمام المواطن العربي إلا إذا وفي بهذا الشرط المجحف ، الذي لا يشترط في أي بلد متقدم[3] .

لقد خلق تكاثر العمال الأجانب وتشبه بعض العرب بهم بهذه الطريقة أزمة لغوية في الوطن العربي ، فأصبح المواطن غريباً لغوياً في كثير من المؤسسات والشركات وأماكن النفع العامة ، مثل المستشفيات والفنادق ووكالات السفر وبعض المطاعم ، وأصبح من الواجب على المواطن كي يحصل على مطلوبه من الخدمة أن يتعلم لغة أجنبية ، وهو وضع شاذ لا نكاد نجد له مثيلاً في البلاد المتقدمة ، إذ أن المسؤولية اللغوية تقع على عاتق العامل الأجنبي فهو الذي يطلب منه عادة إجادة لغة البلاد التي ينوي العمل فيها وليس العكس [4].

---

[1] المرجع السابق ، ص19 .
[2] المرجع السابق ، ص20 .
[3] المرجع السابق ، نفسه .
[4] المرجع السابق ، ص21 .

مما سبق نستنتج أن الإبداع والمشاركة في صنع الحضارة والوقوف أمام الهيمنة الحضارية والحفاظ على اللغة العربية يتطلب الآتي :

1. لا يكون بالوسائل التي اتبعناها منذ بدأت علاقتنا بالغرب والقائمة على تقديس اللغة الأجنبية ، وإنما يتم ذلك بمشروع نهضوي يعمل على توطين العلم والتقنية في البلاد العربية ولن يتم ذلك إلا من خلال الإصلاح التربوي الحقيقي الذي يجعل العرب يتعلمون بلغتهم ، ويفكرون بها ويبدعون من خلالها ، مع تهيئة البيئة المتوازنة ذات الاستراتيجية الواحدة التي تتكون من حلقات مترابطة يعتمد بعضها على بعض للوصول إلى الهدف .
2. إن الاعتزاز باللغة العربية لا يكون من خلال الخطب الرنانة والتعبيرات الشعرية والمديح المتكلف ، وإنما يكون من خلال التطبيق العملي لإحلال هذه اللغة محلها اللائق في نفوس الصغار بحيث ينشأون على حبها والتعلق بها وجعلها سهلة ميسرة لهم والبعد بها عن التكلف ، وصياغة المادة العلمية والإعلامية والترفيهية لهم بلغة فصحى محببة وإشعارهم عملياً بقدرتها على استيعاب المنجزات الحضارية وإكسابهم القدرة على التفكير المنظم بلغتهم الأم .
3. وأخيراً بقي أن أقول إن أجواء العولمة المنفتحة والمتطورة يمكن أن تعين على إيجاد وسائل وآليات تستخدم في صالح اللغة العربية كي تأخذ مكانتها المأمولة في حياة الإنسان العربي ، وتكون عوناً له على النهوض من الكبوة الحضارية ، فالتقدم الهائل في وسائل الاتصال من شأنه أن يخدم العربية الفصحى سواء من حيث نشرها أو سهولة التواصل بين الباحثين في قضاياها ، كما أن اللغة العربية يمكن أن تفيد من الثورة المعلوماتية من حيث إنتاج البرامج التعليمية والثقافية الجذابة والميسرة لإجادة العربية ، كما أن البحوث العلمية لتعريب الحواسب الآلية وتطبيق المستجدات في مجال الترجمة الآلية سوف يكون له المردود العظيم على نهضة اللغة واستجابتها لمعطيات هذا العصر عصر العولمة .

ثانياً : العولمة والفصاحة :

فصاحة الكلام في اللغة العربية ، لا يكون الكلام عربياً إلا إذا سلمت مفرداته ، وصحت دلالتيا واستقام تأليفها[1] .

أما سلامة مفرداته : ففي النطق بحروفها على مقتضى الوضع من غير أن تتغير بنقص أو زيادة ، أو إبدال ، أو قلب ، في هيئة ترتيبها أو في حال حركتها وسكونها.

وأما صحة دلالتيا : فباستعمالها على وجه مقبول في لسان العرب وأما استقامة تأليفها : فبانطباقه على أسلوب نسج عليه العرب في مخاطباتهم ، ولا تتحقق هذه المطابقة إلا برعاية أحكام التقديم والتأخير ، والاتصال والانفصال والحذف والذكر[2].

والفصحى هي لغة القرآن الكريم والحديث الشريف ، وما يتلوهما منزلة مما جاء في الأدب العربي شعراً ونثراً في العصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام وما اقتصرت على تدوينه المعاجم المثبتة ، فإن الفصحى إذ يراد لها أن تكون لغة جميع المتعلمين ، إنما تكون أيضاً صيغة ميسرة متطورة ، تتمسك بأصول الفصحى وتحافظ على طبيعتها ولا تخرج عن أسس تكوينها ، وإنما تستوعب التطورات السليمة التي طرأت عليها خلال عصور ازدهارها وتتفتح وفقاً لأصول الفصحى نفسيا وإمكانياتيا للوفاء بالحاجات الحضارية المتجددة[3].

وقضية الفصحى أضحت قضية مبتذلة ، لأن الفصحى أثبتت قدرتها على تبني المشروع اللغوي العامي ، وتبنى قضايا البنية التحتية في الفكر ، كما أنها المشروع الأكثر ضمانا للشيوع والأكثر حيوية في التعبير من خلال تنميتها لتكون أداة في استيعاب العلم الحديث وتطبيقاته وفي المساهمة في تطويره ، ومراعاة ما يقتضيه من الدقة والوضوح وتحديد المفاهيم والمصطلحات وإشاعتيا في الحياة العامة وسيلة للتفكير والتعبير والتواصل بين المواطنين ، في نطاق الأسرة ونطاق العمل والنشاط المجتمعي عامة ، واعتمادها أداة فعالة في إبداع الآداب وابتكار

---

[1] بدر الدين أبو صالح ، مرجع سبق ذكره ، ص53 .

[2] المرجع السابق ، نفسه .

[3] سعدون حمادي ، مرجع سبق ذكره ، ص74 .

العلوم وتطبيقاتها و إغناء الثقافة العربية المتميزة والعلم العربي المتخصص بالآثار الأدبية والعلمية في مختلف مجالاتها[1] .

لقد كان المجتمع الإسلامي العربي وما زال في فئاته المتوسطة والفقيرة بالخصوص مولعاً بتعليم الأطفال ، القرآن في سن مبكرة ، فبالإضافة إلى العوامل الدينية وهي أساسية ، الدافعة إلى ذلك نجد كذلك ابتهاج الآباء عندما ينطق أبناؤهم بالمفردات الأولى من الكلام الفصيح ، بالآيات الأولى من القرآن الكريم ، أو يستظهرون المحفوظات الأولى من النثر والشعر ، وكلما تقدم الطفل في هذا الاتجاه ازداد ابتهاج الكبار به ، وذلك لاطمئنانهم على مستقبلة من حيث الدين والعقيدة ومن حيث العلم والمعرفة ، وبالطبع من حيث المكانة الاجتماعية المتولدة عن كل هذا[2] .

ولم يفلت من العولمة مجال من مجالات الحياة سواء في ذلك النظم الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية أو التقدم العلمي ، بل امتدت إلى الديانة باسم الحوار بين الأديان ، لفرض العولمة على العالم كله ، والعالم الإسلامي خاصة لإقصاء اللغة والفصاحة الذي نزل بها القرآن الكريم ، من ذلك بدأت الدول الغربية في سياسة دعم القوى العلمانية الداخلية بالمال والحماية وبفضل الاتصالات الدولية "الانترنت" بدأت محاولات واسعة النطاق لنشر اللغة الإنجليزية ، وإقصاء اللغة العربية ودفنها حية ، هذا بالإضافة إلى إقامة الشركات التي تحمل لافتات بالإنجليزية ، دون العربية ، مخالفة للقانون ، حتى يصبح الطفل العربي يفتح عينية على كتابات بالإنجليزية ، على ملابس أخوته وأخواته على صدورهم وظهورهم وعلى ملابسه هو نفسه ، وعلى اللعب والهدايا ، وكل شيء ، حتى يستقر في ضميره أن هذه هي لغته وأن العربية هي اللغة الثانية أو اللغة الميتة التي لا تعرف الطريق إلى الحياة[3] .

---

[1] المرجع السابق ، ص76 .

[2] المرجع السابق ، ص157 .

[3] وداد يوسف كمال حسين ، مرجع سبق ذكره ، ص219 .

وقبل أن يعرف شيئاً ذا قيمة عن الفصاحة في لغته ، تدخل اللغة الإنجليزية مدرسته منذ الصف الرابع الابتدائي لتصبح مشكلته الأزلية .

ولم يتوقف الأمر عند كل ما سبق من وسائل فرض العولمة بالمفهوم الغربي ، بل أصبحت العولمة تفرض عن طريق مصدر آخر هو مواثيق الأمم المتحدة ، وهذه المواثيق من وضع الغرب وأساسها نظرة علمانية مادية للوجود[1].

ثالثاً : العولمة وخصوصية المكان (اللهجات):

* شيوع اللهجات العامية : معروف تعدد اللهجات العامية وشيوعها بين المواطنين في البلاد العربية لغة للكلام في البيوت وفي السوق وفي الحياة العامة ، وفي كثير من المؤسسات حتى لتسرى إلى بعض أجهزة الإعلام والثقافة ، ولذلك أسباب تاريخية وجغرافية ، ومتضمنات مجتمعية وثقافية [2].

إن حظاً من التفاوت في اللهجات العربية أمر يمكن افتراضه منذ القديم مع اختلاف الأصول القبلية واتساع الأقاليم في عيود ازدهار الحضارة العربية الإسلامية ، مهما قللت منه اللغة المصفاة كما جاء بها القرآن الكريم والأحاديث الشريفة وسيادتها في شئون الأدب والفكر قروناً طويلة ، غير أن ابتعاد اللهجات عن العربية الفصيحة وتعددها ، إنما حصل في عهود التدهور والانحطاط ، وبسبب التجزئة إلى دويلات ، وبتأثير الغزوات الأجنبية وغلبة التخلف على المجتمعات العربية ، ففشا اللحن وشاع الدخيل وفسد الكلام ، ثم جاء الاستعمار الغربي يرسخ التخلف والتجزئة ويزيد من وطأتها على الجماهير ، ويتبنى سياسات في محاربة عقائد الأمة وثقافتها ولغتها ، ويسعى إلى طمس شخصيتها القومية ، ويتخذ في سبيل ذلك إجراءات مشددة ، ومنها فرض لغته الأجنبية لغة للتعليم في مختلف مراحله ، وإقامة حواجز لعزل الكيانات المحلية في الأقطار العربية بعضها عن بعض وإشاعة الفرقة والنزعات الطائفية بينها ، والحيلولة دون تبادل الآثار الثقافية أو حركة الأشخاص والأيدي العاملة بينها ، وغالت فرنسا في

---

[1] المرجع السابق ، ص220 .

[2] سعدون حمادي ، مرجع سبق ذكره ، ص61 .

الجوانب الثقافية لهذه السياسات خاصة ، فكانت آثارها أكثر وضوحاً في أقطار المغرب العربي ، كما هو معروف ويلاحظ التلازم الوثيق بين اللهجات المحلية على تعددها وبين الجهل والأمية ، فالتأثيرات متبادلة ، ويقع أكبر قسط منها على المرأة ، وهذا مدخل لكليهما إلى البيت يتغلغلان في نطاق الأسرة ويؤثران في العلاقات الناشطة فيها كل يوم،ويكشفان عن صلة وثيقة بالتخلف نشأة واحتضاناً

وقد ظهرت في القرن العشرين ، في بعض البلاد العربية ، دعوات لتبني اللهجات العامية ، لغة للثقافة والتعليم ، بحجة انتشارها بين الجماهير ويسرها على المتعلمين ، وهي دعوات جاءت طوالعها على ألسنة رجال الاستعمار ، وبشر بها ودافع عنها ذوو النزعات الإقليمية وبخاصة في مصر ولبنان[1] .

ومن هنا بدأ الغرب التركيز على اللهجة العامية في محاولة لقلب المجتمعات العربية إلى الغرب ، عن طريق بعض المؤسسات الأجنبية تشارك فيها بصيغ مختلفة وبأساليب ماكرة ، وبدأوا يحطمون بعض أساسيات الثقافة المشتركة وهو الشيء الذي يوجد بين الناس في الوطن العربي وهو اللغة ، قالوا أن اللغة ليست واحدة لأن هناك لهجات في كل مكان مختلفة ، وكل شعب يتحدث بلهجة مختلفة حتى الشعب الواحد له لهجة في الشمال غير التي في الجنوب ولهم دراسات كثيرة جداً خلاصتها أنه لا يوجد شيء أسمه العرب أو العالم العربي لأنه مجموعة عوالم وكل لغة تعمل كشخصية فتقوم بتفتيت فكرة العروبة[2].

إن اقتصار الجماهير على العامية وعجزهم عن فهم الفصيحة وعن استساغتها فضلاً عما فيه من حرمانهم من الغذاء الفكري الناشئ في حاضرهم ، يعني عزلهم إلى حد بعيد عن المصادر الأولى لعقيدتهم كما تمثل في القرآن الكريم وفي الأحاديث النبوية الشريفة وعن التراث الفكري لأمتهم في ماضيها الزاهر وما اشتملت عليه الحضارة العربية من ذخائر العلم والفلسفة والآداب ، ويترتب عليه انقطاعهم عن جذور ثقافتهم وأصالتها والمكانة التي وصلت إليها كما تكونت على خير صورها [3].

---

[1] المرجع السابق ، ص62 .

[2] محمود الذاودي ، مرجع سبق ذكره ، ص93 .

[3] سعدون حمادي ، مرجع سبق ذكره ، ص63 .

إن شيوع اللهجة العامية يمكن أن تحصل مجتمعة ومتفرقة في القطر الواحد ، فإنها لتتضاعف حين تتعدد الأقطار في الوطن العربي وتتباين خصوصيه المكان في اللهجات ، وتختلف المواقف منها ، فتؤدي إلى ترسيخ التجزئة ، وتضعف اللغة الفصيحة في تأثيرها بوصفها رابطة قومية تشد المواطنين إلى وحدتهم الفكرية وتتعرض الأمة العربية إلى التشتت فتتبدد إلى مجموعات سكانية مختلفة في ثقافاتهم وفي اتجاهاتهم وتعطل حركتها وتشل إمكانياتها في المنعة والتقدم[1] .

[1] المرجع السابق ، نفسه .

المبحث الثالث

تأثير العولمة على مخرجات الثقافة العربية

تمهيد

أن هذه الظاهرة وضعت العالم على محورين ثقافيين متناقضين ، المحـــور الأول : وتمثله ثقافة العالم الغني المتقدم وهي ثقافة أسيرة لقانون القوة والرغبة في التملك والهيمنة ، ثقافة تعتمد على التراكم المعلوماتي أو الوفرة المعرفية والتقـدم العلمي وهي تختزل كل خصومها في جعبة الفقر والتخلف – والمحور الثـاني : ثقافة الأمم الفقيرة والمقبورة وهي ثقافة تدعو – بالقول – لضرورة الـدفاع عـن الهوية ، والخصوصية الثقافية .

بدأت قريحة العرب تفرز أشكالاً وتعبيرات شتى من المزيج الـذي تكـون بفعل مفردات الثقافة التي أشرنا إليها ، وتمثلت أهم تلـك الأشـكال والتعبيـرات الثقافية في الأدب الذي اعتبره البعض وإلى زمن قريب مرادفاً للثقافـة ، وكـان الأدب لغة التعبير الوحيدة والأساسية عند العرب ، فقد كان يمثل الوعـاء الـذي يحوي كافة التعبيرات الفكرية التي تفرزها قريحة العربي ، والتي كانـت تشـمل الشعر وما سواه مما كان يطلق عليه النثر ، وهو كل فنـون التعبيـر باسـتثناء الشعر .

سوف يتناول الباحث في هذا المبحث تأثير العولمة على الشـعر العربـي والنثر ، ودق اللغة في العلوم الحديثة كمخرجات للثقافة العربية وفق التالي :

أولاً : العولمة والشعر العربي :

لم يقتصر تأثير الغرب على العالم العربي بالجوانب التكنولوجية والعسكرية بل تعدى ذلك إلى المجالات الاجتماعية والاقتصادية والأدبية ، ولعل أول ما يمكن لمسه بالنسبة إلى الأدب والشعر تحديداً ، هو التيار الشعري الذي ظهر منذ بدايـة النصف الثاني من القرن التاسع عشر متأثراً بنشاط الإرساليات التبشيرية المسيحية والأدب الغربي ، وشرع شعراء هذا التيار يميلون تدريجياً جميع ما غلب علـى

القصيدة التقليدية من سمات محاولين تبني أسلوب شعري بسيط وجديد ، وأشكال أكثر تحرراً وموضوعات جديدة ، وبقدر ما قويت صلة الشعراء العرب بالشعر الغربي تزايد قلقهم ، ودأبوا على البحث عن الجديد من الوسائط والموضوعات والأشكال[1] .

ويرى الناقد منيف موسى ، في هذا السياق ، أن أصحاب المدرسة التجريدية في لبنان انصبوا على آداب الغرب بدءاً من أواخر الربع الأول من القرن العشرين ، وأنهم أخذوا هذه الآداب "بحذافيرها وبكل ما فيها" وبخاصة أدب المدرستين الرومانسية والرمزية ، ويؤكد جبرا إبراهيم جبرا هذا الاتجاه بقوله أن حركة الشعر العربي الجديد متصلة بحركة الفن الحديث بأوروبا ، مشيراً إلى أن التجديد جاءنا من هناك [2].

أمام هذا الوضع الجديد ، أزداد الانتقاد للقصيدة الكلاسيكية ، وشرعت الملاحظات تكشف أن معجم هذه القصيدة وأفكارها إنما تعالج المظهر السطحي من مظاهر الحياة ، إذ هي في خدمة الطبقة الحاكمة ، وخاصة لما يفرضه ذوق هذه الطبقة على الأدب ، وفي هذا تكبيل لأصالة الأسلوب ، وقناعة بالتعامل مع العالم في مظهره الخارجي المفروض من قبل العولمة ، لا في جوهره الروحي الداخلي ، وكذلك تعطي القصيدة جل همها للشكل دون الموضوع معتمدة على الفكرة لا على الصورة الشعرية الحية ، وعلى المعجم المصفي لا على التجربة الشعرية والتعبير العفوي عنها ، فافتقدت بذلك الرؤية الفلسفية الإنسانية الشمولية[3] .

واللافت أن الحداثة الأوروبية نشأت نتيجة التغاير الذي حصل في مختلف ميادين الحياة ولاسيما الميادين الاقتصادية والفلسفية والفنية والدينية ، بينما جل هذه الميادين عند العرب لا تزال تقليدية إلى حد ما[4] .

---

(1) كامل فرحان صالح ، الشعر والدين ، ط1 (بيروت ، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع ، 2005) ص197 .
(2) المرجع السابق ، نفسه .
(3) المرجع السابق ، ص198 .
(4) المرجع السابق ، نفسه .

من هنا كانت الحداثة العربية كأنها طارئة ، ولا يمكن أن تكون أصيلة إلا إذا رافقت أو رافقها تغيير في مجالات الحياة العربية كافة ، على أصالة وتفرد من دون نسف التراث أو الانقطاع عنه .

وفي هذا السياق ، يمكن الإشارة إلى التصوف بين الطرفين الغربي والعربي ، فإن انفتاح الشعر الغربي ، في مجتمع العلم والتقنية ، على التصوف تم بإيعاز الفقر الروحي الذي استشعره المبدع في عالمه الخارجي ، ومن ثم كان سبيلا لإعادة ترتيب علاقة الذات بالموضوع ، كان انفتاحاً على الخطاب الصوفي وعلى المعرفة الوجدانية عموماً ، من داخل الحداثة الغربية يبرره عنف العلم والتقنية وقحطيهما ، لكن انفتاح الخطاب الإبداعي عليه في الثقافة العربية الحديثة كان ممكناً من داخل البنية العربية ، خصوصاً أن التصوف جزء من ثقافتها القديمة ، غير أن لقاء المبدعين العرب مع التصوف تم بدافع من تأثرهم بالثقافة الأوروبية[1] الحديثة ، ولعل هذا ما أدى إلى القول بأن الشاعر العربي الحديث لكي يثبت نفسه تجاه المستجد الوافد كان عليه أن يكون الغربي – الآخر على حد قول جاك بيرك [2].

التراث العربي حافل بالشعر المتميز ، فقد كان الإبداع الفني الوحيد طيلة ما يزيد على خمسة عشر قرناً ، وبدأ المسرح والقصة يزاحمانه حتى خفتت حدته وضاع وسط كثير من الفنون القولية والإبداعية والحركية واللونية والصوتية ، بل لم يعد له وجود مؤثر يذكر ، وهو في حاجة إلى قدر كبير من العبقرية والإبداع حتى يطاول بقية الفنون أو يفوقها طولاً ، وانفرط عقد القصيد الفريد وأصبحنا نشاهد الشعراء الكبار والمبتدئين وهم يحاولون إقناع الغير بجدوى ما يفعلون وتراجعت مبيعات دواوين الشعر مع غيرها من تراجعات في مبيعات الفنون القولية الأخرى[3].

وقد أدت "مجلة شعر" دوراً بارزاً في تعزيز معرفة الشعراء العرب المعاصرين بالثقافة الغربية ، وذلك عبر الترجمات التي كانت تنشرها عبر

---

(1) المرجع السابق ، نفسه .
(2) المرجع السابق ، ص198 .
(3) حلمي بدير ، مرجع سبق ذكره ، ص24 .

صفحاتها ، إضافة إلى دار النشر التي حملت العنوان نفسه ، وكثير من هذه الترجمات جاءت في حقل الأدب والنقد ، ولعل ما نشر مترجماً في مجلة شعر من دراسات نقدية ونصوص شعرية هو في طليعة هذه الترجمات من حيث أهميتها لحركة الحداثة الشعرية العربية [1].

الشاعرة نازك الملائكة ، تعلق على ترجمة "الكتب المقدسة" إلى العربية الحديثة بالقول أن غاية الغرب التي يسعى إليها هي تقويض دعائم اللغة العربية ، وذلك واضح من الكتب التي ترجمت إلى اللغة العربية ، مشيرة إلى أن الأوروبيين عهدوا بالترجمة إلى مترجمين ضعاف غير متمكنين من العربية ، فجاءت ترجماتهم ركيكة ، على نحو ما فعل البروتستانت والكاثوليك في ترجماتهم للعهدين القديم والجديد[2] .

الخلاصة إذا كانت الحضارات الأخرى قد خلقت للإنسانية آثاراً مشهودة فإن الحضارة العربية قد خلقت لنا ديوانا عربيا ضم كل القيم الوجدانية التي عاش لها العربي وأخلص لها وذاد عنها وآمن بها ودعا إليها ، ولقد حظي الشاعر بمكانة عظيمة ، عبر العصور ، فقد كان في نظر العربي حكيماً وواعظاً ومربياً ومرشداً وفيلسوفاً ومبشراً بالقيم الأخلاقية الرفيعة ، وهو لم يغب عن نفسه و ذاته بل كان حاضراً في شعره ، بوجدانه ووجدان أمته العربية ، حتى في أسوا عصور الانحطاط لم يغب .

وما التقني الذي نراه الآن في مستوى الإبداع الشعري إلا ناشئ من عدم عنايتنا بتربية الذوق الشعري واكتشاف جانب المعاصرة فيه ، وكان على الذين استلهموا الغرب في تجاربهم الشعرية أن يستلهموا منه أيضاً العناية بعرض تراثهم الفني وانتقائه وتبسيطه ونشره ، على المستويات الثقافية عامة .

---

(1) كامل مرحات صالح ، مرجع سبق ذكره ، ص200 .
(2) المرجع السابق ، ص201 .

ثانياً : العولمة والنثر :

كان الأدب العربي في القديم يشتمل على شتى ضروب المعرفة ، وهي تلك التي تنحو منحاً يقترب من العلم ، ومن ثم حل محل الثقافة . وقد تعامل العرب مع الأدب على أنه حفظ الشعر ومعرفة التاريخ والإلمام بشيء من كل علم[1].

لقد كان الاعتماد أكثر ما يكون على فنون الأدب ذات التعبيرات اللفظية أو القولية حيث كانت هي المتاحة والمتداولة ، أما التعبيرات المكتوبة فلم تكن لا نادراً ، وذلك لأن أمة العرب لم تكن أمة كتابة وتحرير حروف بل كانت أمة أمية تعتمد بالأساس على القول والإلقاء والسماع والحفظ والنقل ، ولذلك عرف تاريخها بالرواية والسماع والنقل ، ولم يعرف بالكتابة والتسجيل والتاريخ[2].

تعددت فنون النثر العربي فشملت الخطب والمواعظ والرسائل والعلوم المختلفة وكلها تحمل العبر والحكم والمعارف وتعبر عن رؤية العربي للحياة وقيمتها وقضائها والتأمل فيها وفيما تؤول إليه ، ورؤيته للموت والحياة الأخرة وما إلى ذلك ، وبذلك تكون الثقافة هي الأشكال التعبيرية عند رؤية العربي لمعنى الوجود وعناصره وعلاقته به[3].

لقد كان النثر أكثر تأثراً وأسبق من الشعر إلى التقاط المتغيرات والمستجدات وتأثيرات العولمة . فهو وسيلة العلم وأداة الفلسفة وكل من العلم والفلسفة قد نالته العولمة بالتأثير والتطوير .

وكانت العولمة اختباراً حقيقاً لمقدرة اللغة العربية المنثورة على استيعاب المتغيرات والمستجدات التي ارتبطت بالتطورات العلمية والتقنية في كافة مجالات الحياة وبالفعل كانت اللغة العربية من المرونة والمقدرة على استيعاب بالتطورات المختلفة[4] .

---

(1) يسوني محمد الحولي ، موسوعة الأدب والإبداع في الأمسة المعاصرة ، المجلد الخامس ، مرجع سبق ذكره ، ص53 .
(2) المرجع السابق ، نفسه .
(3) المرجع السابق ، نفسه .
(4) المرجع السابق ، نفسه .

ثالثاً : العولمة ودق اللغة في العلوم الحديثة :

أ. اللغة العلمية في العلوم الحديثة :

لا يبدو أن عناية تبذل على تدريب الطلبة على ما تتطلبه العلوم المختلفة من أساليب في التفكير وفي التعبير ، ومن منهجيات في تناولها وفي تطبيقها في الحياة العامة ، وحسبهم من فرص التدريب أن تكتبوا موضوعات في الإنشاء كثيراً ما ترتجل عناوينها وميادينها ارتجالاً ، وللعلوم خصائصها وأساليب التفكير والتعبير الملائمة لها ومنها الوضوح والدقة وملاحظة الوقائع وتدوينها ، وعرض الأفكار بتتابعها المنطقي واستناد بعضها إلى بعض ، وقد اشتهرت بعض الجامعات في البلاد الصناعية الحاجة إلى هذا النوع من التدريب بعد اكتشافها تقصير المتخرجين منها في الفروع العلمية والهندسية في حسن استعمال اللغة [1].

وشكا كثير من رجال الأعمال الأمريكيين من قبل نحو خمسين سنة ، من المتخرجين في العلوم التقنية عدم قدرتهم على التعبير كلاماً وكتابة ، فعنيت بعض الجامعات بمعالجة هذا النوع من التقصير ، ويبرز بين المشكلات في العلوم الحديثة مشكلة وضع مصطلحاتها في العربية ، وقد بذلت جهود محمودة في هذا السبيل دلت على كفاية اللغة العربية باستيعاب هذه المصطلحات بوضع ما يقابلها نهضت بها المجامع الثلاثة في دمشق والقاهرة وبغداد ، وإنما تلاحظ الحاجة إلى تنمية الاتفاق في أساليب وضعها ، وضعف التنسيق بين المؤسسات المعنية بها وقلة الإنتاج إزاء تفجر المعرفة العلمية وتنامي مصطلحاتها ، والعقبات القائمة في سبيل إذاعة ما يوضع منها وإشاعة استعمالها ، كما يلاحظ ضعف الحوار بين المتخصصين باللغة العربية والمتخصصين بالعلوم الحديثة وحاجة كل جانب إلى الأخذ بنصيب من تخصص الجانب الآخر وتقدير أبعاده ومفاهيمه ونظرياته[2] .

من هنا كانت نقطة البداية الصحيحة التي نادى بها مجمع اللغة العربية، ولم تؤخذ مأخذ التنفيذ حتى الآن عندنا في قضية تعريب مصطلحات العلوم الطبيعية والهندسية وغيرها من علوم كيميائية وطبيعية ، وقد أخذ بها التوجه في بعض

---

[1] سعدون حمادي وآخرون ، مرجع سبق ذكره ، ص72 .
[2] المرجع السابق ، ص73 .

الدول العربية . ولعله أثبت نجاحاً فيها . لتبقى علينا أن نجرب توظيف هذا النمط في مساق التلاقي والالتحام بمواد الثقافة الأجنبية ، لعله يزيد لغتنا العربية ثـراء بإمدادها بأرصدة جديدة من تلك المصطلحات المعربة في شتى مجالات المعرفة ، ولعله يثبت أيضاً ويؤكد قدرتها على التطور وقابليتها لاستيعاب تلـك المصـادر والتفاعل معها والانطلاق من خلال الوعي بأبعادها ، وهو ما قد يماثـل صـورة العطاء التي منحتها العربية لتلك اللغات من قبل علـى مـدار تـاريخ العصـور الوسطى[1].

والواقع أن الادعاء بأن اللغة الإنجليزية لغة عالمية ادعاء ليس له نصـيب من الصحة عندما يوضع على محك البحث العلمي . ونحن هنا لا نلقي الكلام على عواهنه ، وإنما نفيد من بحث (صامويل هانتغتون) في كتابه "صدام الحضـارات" الذي أثبت فيه أن القول بعالمية اللغة الإنجليزية ما هو إلا وهم كبيـر ، بـل إن المعلومات المتوفرة لديه تظهر العكس فقد كان عدد الذين يتحدثون الإنجليزية في العالم بوصفها لغة أولى ليم سنة 1992 لا يزيد عن 7.6 من بين المتحدثين بلغات يزيد من يتكلم بها عن مليون نسمه ، بل أنه يبين أن نسبة المتحدثين بالإنجليزية قد تدنى سنة 1992 أكثر ويخلص إلى النتيجة الآتية وهي : "أن لغة تعد أجنبية لدى 92% من سكان الأرض لا يمكن أن تكون لغة عالمية " .

ولذلك فإن الوصف الحقيقي للغة الإنجليزية كما يرى الباحث هو أن اللغـة الإنجليزية يمكن أن تعد في هذا العصر لغة الاتصال العالميـة ، بـين مختلـف الثقافات والحضارات ، هي لغة يتبادل بها المنافع أبناء التجمعات الثقافية المختلفة فيما بينهم ولا يتكلمون بها داخل هذه التجمعات التـي يسـتعملون فيهـا لغـاتهم الخاصة [2].

وبذلك يضع الباحث اللغة الإنجليزية في حجمها الحقيقي ، بوصـفها لغـة للاتصال بين المختصين أو من يحتاجونها من الأفراد من جهة ، ومـن يتعامـل معهم من أفراد أو جماعات من تجمعات ثقافية أخرى من جهة أخـرى ، ولهـذا

---

(1) عبدالله النشاوي ، اللغة والتنمير التقني إلى أين والمستقبل ، ط1 (القاهرة ، الدار المصرية اللبنانية ، 2005) ص58 .
(2) أحمد عزت محمد المعهد ، مرجع سبق ذكره ، ص15 .

تنتفي الحاجة بها لكل أفراد المجتمع ، وإنما يكون إتقانها مطلوباً لمن له اتصال بشكل أو بآخر مع أي عنصر أجنبي حسب تخصصه ، سواء كان تاجراً أو دبلوماسياً أو باحثاً أو غير ذلك[1].

الخلاصة أن الدراسات العلمية تشير إلى أن للغة العلمية بعداً اجتماعياً لا يدركه الطالب الأجنبي يمكن أن يؤثر على الفهم والاستيعاب تأثيراً واضحاً .

وأن العامل اللغوي في تدريس العلوم بلغة أجنبية يتخذ هنا مظهرين مختلفين :

المظهر الأول : يؤثر على الناطقين باللغة الأجنبية وغير الناطقين بها على السواء وهو يتناول الاستعمال اليومي واللغوي لكلمة ما .

المظهر الثاني : وهو يؤثر على غير الناطقين باللغة الأجنبية من حيث أنه يتعلق بالخلفية الثقافية لهؤلاء الأشخاص ؛ إذ أنهم بالإضافة إلى إمكانية عدم معرفتهم الجيدة للغة الأجنبية يحملون خلفية ثقافية مختلفة عن الخلفية الغربية ، وهي تؤثر على كيفية حل المشاكل العلمية .

لذلك فإن غير الناطقين باللغة الأجنبية الذين يتعلمون العلوم بهذه اللغة يواجهون مشكلة ذات وجهين ؛ ضعف اللغة واختلاف الثقافة ، بالإضافة إلى المزج بين اللغة اليومية واللغة العلمية مع ما يتبع ذلك من المشكلات في تعليم العلوم ، ومن النظريات الخاطئة عند المعلمين افتراضهم أن قدرة المتعلم على التكلم بلغة كافية لاستيعاب مفاهيم علمية بواسطة هذه اللغة .

2. تأثير العولمة على دقة اللغة في العلوم الحديثة :

الواضح أن ما تحمله أذرع العولمة الطويلة المتمثلة في التكتلات الاقتصادية والشركات الكبرى عابرة القارات وتقنيات الاتصال المتطورة عبر الشبكات الأخطبوطية للمعلومات والحاسبات الآلية فائقة الدقة والقنوات الفضائية بشتى أنواعها ، يشير إلى مرحلة جديدة سوف يعيشها العالم تتسم بدورها بالاختراق الكامل لخصوصيات الشعوب ، والقفز على السلطات التقليدية ، وإزالة

---

[1] المرجع السابق ، ص16 .

الحواجز أمام التجارة والمعلومة والفكر ويتبع ذلك فرض ثقافة جديدة تخدم المصالح التي ترتبط باقتصاد العولمه وفكرها[1] .

ومن المعلوم أن اللغة العربية هي أبرز مكونات الثقافة العربية ، أما أن تكون اللغة العربية بوصفها رمزاً ومحتوى للفكر العربي هدفاً من أهداف العولمة الحديثة فهذا لاشك فيه وكلنا نكاد نجزم بمزاحمة اللغات الأجنبية للغتنا العربية[2].

هذا زمن كثرت فيه الفتن ، وتعددت فيه المحن وتداعت علينا الأمم حاملة ما استطاعت حملة للنيل من اللغة العربية والحد من علومها وفي مقدمة أسلحتها تجهيل الناس بالقرآن وإبعادهم عنه والتقليل من شأن لغته ، وذلك بترديد القول حتى تثبيته ، وتعميمه بواسطة العولمة ، وترسيخه إنها لغة لا تجدي ، ووسيلة لا تغني ، صعبة في نطقها وفي مرسوم حرفها ، وملئت بالخلاف بين علمائها و الكذب من رواتها ، سيجعل أهلها يضيقون منها، ويغرسون في أبنائهم استبدالها بغيرها لغة للعلم ووسيلة للمعرفة ولقد بدأ ذلك جلياً منذ وقت مبكر من قبل اللغات صاحبة السيطرة والنفوذ التي تحمل معها العلم والفكر إلى جانب الاقتصاد وفرص العمل ولم تعد اللغة الأجنبية تطل من خلال الشاشات أو تأتي عبر إشارات ورموز مسجلة على ألواح الكترونية ، بل أخذت تطرد اللغة العربية عملياً من كثير من المواقع بل وتحل محلها كلغة رسمية للتحدث والتخاطب بجميع التخصصات وفروع العلم ، ولقد أصبحت اللغة الإنجليزية لغة الاقتصاد ، لغة الطب ، لغة السياحة ، لغة الإعلام [3].

هذا ويكفي أن تخاطب المتخصصين ممن يشتغلون في هذه الحقول ليكون بيذه اللغة بل وبلغات أخرى حتى تتأكد لنا مما نقول ، هذا بالإضافة إلى أنك إذا دخلت فندقا أو موقعا سياحيا في البلاد العربية ، حتى تسمع اللغة الأجنبية تجلجل بين جنباته لا بين الوافدين من الأجانب ولكن بين العاملين فيه من العرب ،

---

(1) محمد عبدالحميد ، العولمة ، الأهرام المسائي ، العدد 4770 ، 2004 ، ص37 .
(2) المرجع السابق ، نفسه .
(3) عبدالفتاح محمد المهيوي ، الجانب التربوي في التعريب القرآني ، مجلة الثقافة العربية ، مرجع سبق ذكره ، ص82 .

فتعجب إذ تراهم يتفاهمون فيما بينهم بتعبيرات إنجليزية أو فرنسية أو يخالطون عربيتهم ببعض مصطلحاتها[1] .

إن اللغة العربية تستهدف يوما بعد يوم بمهام بالغة التأثير من قبل ما تدخله العولمة علينا من ألفاظ دخيلة وتعبيرات أجنبية وممارسات لغوية تحمل في طياتها بوادر للنيل من اللغة العربية وجعلها لغة مفككة مختلطة يديل فيها وجه العربية ، والأخطر من ذلك كله أن الإنسان العربي يتحول في بعض المواقع إلى مزج لا هو بالإنسان العربي ولا بالإنسان الغربي ، وأضف إلى هذا أنه قد تتعدم معه الغيرة على لغته العربية والتي هي أحد أبرز مقومات هويته العربية وعروبته القومية .

إن الانبهار الشديد بوعاء الفكر الأجنبي القوى والاستسلام الكامل للحضارة الوافدة لهى ظاهرة واضحة تعترض طريق الأمة العربية في علومها وتثير الانتباه حول استمرارية كينونتها ومن ثم فنائها كما ذكر الفيلسوف ابن خلدون "أن الأمة إذا غلبت وصارت في ملك غيرها أسرع إليها الفناء" وهذه هي النتيجة الحتمية لأي أمة ترتدي ثياب غيرها [2] .

---

[1] محمد عبدالحميد ، العولمة ، الأهرام المسائي ، مرجع سبق ذكره ، ص37 .
[2] المرجع السابق ، نفسه.

المبحث الرابع
استراتيجية مواجهة تأثير العولمة على الثقافة العربية

تمهيد

لا يعيش العالم العربي والثقافة العربية بمعزل عن سياق العولمة والتأقلم معه ، وإذا كان العالم العربي في قلب العولمة على الصعيد السياسي كمنتج للكوارث والأزمات ، مع حصول تطورات على المستوى الاقتصادي ، أما الوضع على الصعيد الثقافي فيعاني من عجز فعلي في القدرة على المشاركة على المستوى العالمي في الإنتاج الثقافي والمعرفي ، وأن العولمة التي تريد ابتلاع الغير تفرض حتمية المواجهة ، وفي إطار هذه العولمة مطلوب من كل أمم الأرض وخاصة أمتنا العربية أن تعيد النظر فيما هو لديها من استراتيجيات مواجهة ونظريات عمل وأن تجري تأهيل لها من جديد لتكون طوق النجاة من خطر العولمة ، هذا المبحث سوف يتناول هذه الاتجاهات على النحو التالي :

أولاً: مراجعة شاملة لآثار العولمة في المجال الثقافي :

في ظل التقدم الهائل لوسائل الاتصال لم يعد من المبالغة القول بأن العالم أضحى قرية صغيرة يمكن للقاطن في أي من أطرافها معرفة ما يحدث في الطرف الأخر منها في نفس وقت حدوثه ، ولم يعد هذا القول من قبيل التعبير المجازي بل هو الواقع بعينه والحقيقة ذاتها ، ولا شك أن هذه الظروف قد يسرت سبل انتقال المعلومات وتبادل الأفكار والمعارف في أرجاء المعمورة ، الأمر الذي يشعر بعض الكاتبين بدنو حقبة جديدة من التاريخ الإنساني تتلاقى فيها الثقافات المختلفة وتتلاقح الأفكار والرؤى المتعددة ، وصولا إلى مرحلة من التكامل المعرفي والاندماج الثقافي والحضاري تعد بثقافة كونية أرقى [1].

غير أن هذه الخواطر ليست أكثر من أمنيات طيبة لا صدى لها في الواقع الذي نعيشه وندرك معالمه ، إن مثل هذه الأمنيات تفترض التكافؤ والندية في

---

(1) أنظر فرنسيس فوكوياما ، ترجمة حسين أحمد أمين ، نهاية التاريخ وخاتم البشر ، ط1 (القاهرة مركز الاهرام للترجمة والنشر ، 1993) ص 8 .

العلاقة بين الثقافات المختلفة ، والالتقاء على قاعدة الاعتراف المتبادل ، وقبول الآخر ، مع توافر النيات الحسنة ، وكل هذه الأمور بعيدة عن واقع الحال .

فواقع الحال أن هناك دولة كبرى تنفرد الآن بقيادة العالم ، وتمتلك موارد اقتصادية هائلة ، وتعيش نشوة انتصار فلسفتها وإيديولوجيتها بعد انهزام الإيديولوجية المقابلة لها مع انهيار الاتحاد السوفيتي (سابقا) ومنظومة الاشتراكية وعقيدته الشيوعية ، مع الاعتقاد بسمو تلك الثقافة وعلو كعبها إلى الدرجة التي جعلت بعضهم يعلن صراحة بأن ثقافتهم وقيمهم هي الارقى وهي خلاصة التجربة الإنسانية وتمثل نهاية التاريخ[1] .

وواقع الحال أيضاً أن الولايات المتحدة والدول والمؤسسات الغربية تسيطر على أبرز الوسائل الإعلامية المقروءة والمسموعة والمرئية الأعظم تأثيراً على مستوى العالم ، وتحتكر البنية التحتية العظمى لشبكة الانترنت ، وتمتلك شركات الإنتاج الكبرى للمواد الإعلامية والثقافية[2] .

المفكرون الأمريكيون يقولون أن الثقافة الأمريكية والمجتمع الأمريكي متسم بالتكنولوجيا ، لا أحد ينكر أن التكنولوجيا استطاعت أن ترفع مستوى الحياة في كثير من الأحيان واستطاعت أن تحقق الرخاء في كثير من الدول ، وأن إنتاجية هذه التكنولوجيا والقيمة المضافة لها عالية جداً واستطاعت هذه التكنولوجيا أن تجد حلولاً وعلاجاً لكثير من المشاكل والأمراض كما استطاعت أن تسهل الحياة في كثير من الأحيان ، ولكنها ليست خيراً على طول الخط ، وإنما تحمل في طياتها أخطاراً يجب أن ننتبه إليها . فالتكنولوجيا التي كان هدفها الأساس هو اختصار الوقت نجدها اليوم قد ابتلعت الوقت ، اليوم الإنسان الذي تحيط به التكنولوجيا من كل جانب أصبح وقته موزعا في التعامل مع هذه التكنولوجيا التي طمست الحد بين الحقيقة والخيال ، ومهدت لثقافة العنف وأثرت على التماسك العائلي والاجتماعي ، اليوم أفراد العائلة الواحدة يعيشون في غربة وهم في بيت واحد ،

---

(1) المرجع السابق ، ص62 .

(2) عبدالرشيد عبدالحافظ ، الآثار السلبية للعولمة على الوطن العربي وسبل مواجهتها ، ط1 (القاهرة ، مكتبة مدبولي ، 2005) ص44 .

كل منهم في حجرة ويمسك بجهاز ويتعامل مع أشياء منفرداً و وحيداً ، وأقسى أنواع الغربة هي الغربة المكانية التي يعيشها الإنسان[1] .

وكشفت مضامين نماذج التفكير الغربي عن تحديات كبرى ستواجهها أمتنا العربية وثقافتنا العربية إذا ما قدر لأي من هذه النماذج أن يعتمد كإطار للحركة ورسم السياسات وإعداد الخطط ، وهو أمر ممكن الحدوث بل نظنه قد بدأ بالفعل نظراً لما تشهد به الحوادث التي نشهدها في السنوات الأخيرة على الساحة العالمية وفي عالمنا العربي والأمر الممكن الحدوث أيضاً أن تستخدم توليفات ثنائية وفوق ثنائية ودون الثنائية في كل هذه النماذج في إطار سياسات معينة ومراحل زمنية وقضايا محددة تتجاوز في وسائل تحقيقها ما كان يعرف باسم الغزو الثقافي من حيث القوة والشدة والسرعة والنتائج ولعل أهم هذه الوسائل ما يلي[2] :

1. الحصار وهو نوعان :

- الحصار الخارجي بمعنى محاصرة عناصر القوة الثقافية الفاعلة من التوسع خارجياً .

- الحصار الداخلي بمعنى محاصرة عناصر القوة الثقافية الفاعلة في داخل الأمة حتى لا تقوم بدورها الفاعل في بناء أمة قوية .

2. الاختراق وهو نوعين أيضاً :

- الاختراق غير المباشر والذي يتم عن طريق وسائل الاتصال ذات النفوذ والتأثير البالغ والمهيمن .

- الاختراق المباشر والذي يتم عن طريق النفاذ إلى الخلايا الثقافية الحية في جسم الأمة واللعب في الشريط الوراثي لها بهدف إضعافها أو تحويل مسار عملها وتغيير أهدافها سواء كانت هذه الخلايا أفراد أو مؤسسات أو تنظيمات أو غيرها من الأشكال .

---

[1] رفاه يوسف كمال ، مرجع سبق ذكره ، ص305 .

[2] د. أمين سعيد عبدالغني ، مرجع سبق ذكره ، ص178 .

3. التهميش : هناك خلايا في جسم الأمة الثقافي يصعب أن يسوئر فيها الحصار ويستعصى عليها الاختراق ، هذا النوع من الخلايا تستخدم معه وسائل لتحييده وإبعاده من بؤرة العمل والفعل الثقافي في محيط الأمة إلى الهامش .

4. الاقتلاع : وهو أسلوب لتفريغ الأمة من عقولها ومبدعيها وأصحاب الطاقات الخلاقة فيها ، إما عن طريق الإغراء أو الإغواء .

أو ربما التصفية لأن اقتلاع هذه الطاقات هو اقتلاع للجذور التي تثبت عليها الأمة إن هذه الظروف تفصح إلى حد بعيد عن ملامح هذه العولمة الثقافية فندرك بسهولة أنها لن تعني تعزيز فرص التلاقي والحوار والتلاقح والأخذ والعطاء بين الثقافات المتعددة ، وإنما ستكون هجوماً كاسحاً باتجاه واحد على طريق ترسيخ هيمنة ثقافة معينة هي الثقافة الغربية والأمريكية بوجه خاص ، على غيرها من الثقافات [1].

ولعل أمتنا التي داهمتها ظروف العولمة وهي في أضعف حالاتها بحاجة إلى إدراك مخاطر العولمة الثقافية و آثارها السلبية ، والتنبه إلى مخاطرها المتعددة ، لتتمكن من مواجهة آثارها السلبية على ضوء فهم سليم لهذه الآثار وأهم ما يلوح بنا من هذه الآثار يتمثل في محاولة الثقافة الغربية فرض هيمنتها على الثقافات الأخرى ومنها ثقافتنا العربية وصهرها في بوتقة ثقافة الغرب . وما يترتب على ذلك من زعزعة لمنظومة القيم في مجتمعاتنا ، وعدوان على لغتنا الحاضنة لثقافتنا وهو ما نتناوله فيما يلي[2] :

1- هيمنة الثقافة الغربية :

إن الجهات القادرة اليوم على استثمار الطفرة الهائلة في تقنية الاتصالات والمعلومات هي جهات غربية وأمريكية بوجه خاص توفرت لها الإمكانيات الضخمة التي تؤهلها للتفوق واكتساح أي منافس لها ومعظم الإنتاج الإعلامي والثقافي الذي يغطي البث الفضائي والأرضي والوسائط الإعلامية الأخرى [3]

---

[1] عبدالرشيد عبدالحفيظ ، مرجع سبق ذكره ، ص44 .
[2] المرجع السابق ، نفسه .
[3] المرجع السابق ، ص45 .

وكذلك معظم محتوى شبكة الانترنت هو نتاج غربي وأمريكي في الأغلب . وهذه المواد الإعلامية الغربية ليست فارغة من المعاني أو محايدة في أفكارها .

بل تحمل فكراً محدداً وتعبر عن ثقافة معينة هي ثقافتهم الخاصة بكل ما تحمله من قيم وعادات وتقاليد وأنماط سلوك ، باختصار تمثل وجهة نظر حضارية معينة لها خصائصها المحددة .

ولقد مكنت الاستثمارات الضخمة المسخرة في هذا المجال من استثمار أحدث التقنيات ليتم إنتاج وعرض تلك المواد في قالب ، لن تتمكن أية جهات منافسة أخرى من تقديم مواد مماثلة على ذلك النحو من التقنية المتقدمة والقدرة على الإبهار[1].

ويتعمق الخطر عندما ندرك أن هذه المواد الإعلامية والثقافية أصبحت سلعة عظيمة الربح ، ومورداً هاماً للاقتصاد الأمريكي ، وهذا يعزز حرص منتجي هذه السلعة على جني ثمار إنتاجها من خلال التسويق الأوسع لها ويمكن لنا أن نتصور الأهمية الاقتصادية للإنتاج الثقافي والإعلامي إذا ما عرفنا أن أكبر صناعة تصديرية منفردة في الولايات المتحدة ليست الطائرات والسيارات ؛ بل هي الترفيه فقد حصدت أفلام هوليوود أكثر من 30 مليار دولار على نطاق العالم في العام 1997م [2] .

ما أكثر الأفلام التي أنتجتها السينما من مدينة هوليوود وكلها تشويه وافتراء على العرب ، وسنذكر هنا بعض ما ذكره جاك شاهين في كتابه ، وهو يبين أن أكثر من تسعمائة فيلم أنتجتها هوليوود وتضمن أكثرها إساءة متعمدة ضد العرب .

أين هي الأجهزة الثقافية والدبلوماسية في البلاد العربية لتحتج على هذه الأفلام ؟ وأين هي الجامعة العربية ؟ لقد احتجت اليابان على بعض الأفلام التي تسيء إليها فمنعت الحكومة الأمريكية إنتاج أفلام ضد اليابان ، ولكن لو كانت إدارات السينما في البلاد العربية والجامعة العربية أعلنت احتجاجها على إنتاج هذه

---

[1] المرجع السابق ، ص45 .
[2] المرجع السابق ، نفس الصفحة .

الأفلام وأعلنت مقاطعة أفلام أية شركة سينمائية تسيء إلى صورة العرب من العرض في البلاد العربية ، لكانت هذه الشركات أوقفت الإساءة إلى العرب[1].

وإذا ما أضيف إلى ما سبق أن الغرب هو الذي يسيطر على أغلب قنوات البث الفضائي المؤثر ، وعلى محتوى شبكة الانترنت ، وعلى أكبر دور الصحف والمجلات ، ودور النشر ، ووكالات الأنباء ، وتكتمل الحلقة الجهنمية ، وتتضافر كل تلك الأسباب والعوامل لتجعل العولمة الثقافية حركة في اتجاه واحد ، عبارة عن سيل جارف يكتسح أمامه كل ما يقابله ويعوق سيره ، بل ويغير معالم الحياة في طريقه ويشكلها على نحو أخر مختلف ، فلا مجال للتلاقي أو التفاعل أو الحوار بين الثقافات المتعددة ، بل النفي والإقصاء والطمس للثقافات الأخرى على وجه الاستعلاء[2] .

وهكذا فإن العولمة تبدو في المجال الثقافي اتجاه إلى إعادة صياغة العالم وفق ثقافة معينة هي الثقافة الغربية الأمريكية بوجه خاص ، ولا يتصور أحد أن هذا مجرد وهم ومبالغة في الإحساس بالخطر ، بل أن ذلك بالضبط هي قناعة ورؤية مفكري ومروجي العولمة [3].

2- صهر الثقافة الوطنية في ثقافة العولمة :

تسعى القوى المسيطرة على زمام أمور العولمة إلى خلق نموذج ثقافي عالمي عولمي تصير به جميع الثقافات في نموذج واحد وهذا النموذج الذي تعمل من أجله الولايات المتحدة لتعميمه على جميع أجزاء المعمورة وهذا النموذج الذي يعتبر بالنسبة لقوى رأس المال مندوب المبيعات سوف يسوق العولمة ويحسن من مظهرها[4] .

وهي ترمي إلى تذويب الثقافات الأخرى ليس في ثقافتها وإنما التذويب بمعنى العمل على اندثار هذه الثقافات ونسيانها وقذفها في الماضي البعيد لتقوم

---

[1] محمد عبدالقادر حاتم ، مرجع سبق ذكره ، ص508 .

[2] عبدالرشيد عبدالحفيظ ، مرجع سبق ذكره ، ص45 .

[3] توماس فريدمان ترجمة ليلى زيدان ، السيارة لكزس وشجرة الزيتون محاولة لفهم العولمة ، ط2 (القاهرة ، الدار الدولية للنشر والتوزيع ، 2001) ص31 .

[4] حسن عبدالله العايد ، أثر العولمية في الثقافة العربية ، مرجع سبق ذكره ، ص160 .

اليونسكو بعد خمسين سنة لتعمل على إحيائها إذاً فالولايات المتحدة الأمريكية تسعى إلى إنهاء الخصوصية الثقافية للشعوب والأمم وتفتيتها من خلال خلق بيئة ثقافية تسمح لها بذلك ، وكذلك من خلال إحياء ثقافة الطوائف والأقليات العرقية والدينية التي في حال إحيائها ستكون عوامل مساعدة في التأثير وإضعاف الخصوصية الثقافية للشعوب فإن العولمة الثقافية تخلو من الإحساس ، أي جامدة لا عاطفة فيها والإنسانية تنتهي عند انتهاء المصالح وشعارات حقوق الإنسان والتعددية السياسية يبطل مفعولها عند المصالح الأمريكية[1] .

وماذا على الأمة العربية أن تفعل ؟

إن التهميش لا يقل خطورة عن الصهر والتذويب والإلحاق فالتهميش يعني تجميد ثقافة (وحضارة) عمرها يزيد عن ألف وأربعمائة سنة منذ انتشار الإسلام وهذا إذا لم تحسب الحضارات السابقة على الإسلام مثل الأنباط والقراعنة وغيرها فالعمل على إحياء الثقافة العربية من خلال تضافر الجهود العربية واقتحام مجال ثقافة الانترنت والعمل على تدفق المعلومات من خلاله بشكل يوجد موطئ قدم لها بين الحضارات[2] .

3- العولمة والثقافة الاستهلاكية :

لعل ما نجحت به العولمة الثقافية هو نشر الثقافة الاستهلاكية ولعلنا لا نخطئ أو نجانب الصواب إذا قلنا أن الثقافة الاستهلاكية أصبحت من أمراض المجتمعات العربية بشكل عام ، إن الإنسان العربي أصبح يستهلك أكثر من مقدار دخله ، ولكن أين تكمن الخطورة ؟ إن الثقافة الاستهلاكية تسعى لإيجاد أسواق عالمية لمنتوجات عالمية مصادرها خارج الدولة ، وهي من ثم تصبح خسارة عندما تصبح المنتوجات الوطنية لا مجال لها للمنافسة وهذا شيء واضح من خلال قوة رأس المال والتكاليف الإعلانية التي توفرها قوى رأس المال في السوق العالمي[3] .

---

(1) حسن عدنان علي ، أثر العولمة في الثقافة العربية ، مرجع سابق ذكره ، ص 161 .
(2) المرجع السابق ، نفسه .
(3) المرجع السابق ، ص163 .

إن العولمة الثقافية المتمثلة في إحلال نمط واحد من العيش وطرائق الحياة وجعله نموذج يناسب جميع شعوب العالم ، أدى إلى معرفة لماذا تنفق الشركات المتعددة الجنسيات على الثلاثين ثانية الإعلانية ما مقداره (500,000) دولار أي نصف مليون دولار ، نعي قوة المنافسة الشديدة والتي ترفض كل منافسة إن الشركات الضخمة تسعى إلى إيجاد أسواق لها في كل أنحاء المعمورة ليس فقط من خلال تعديل التشريعات الوطنية وإنما بالاعتماد على قاعدة متشعبة مكوناتها المجتمع بأسره وشعوب العالم أجمع إن الهيمنة الغربية على وسائل الإعلام وعلى رؤوس الأموال والإنتاج تريد أن توجد حالة واتجاهات تشكل قبولاً إيجابيا لها في الأسواق العالمية ، وكذلك لدى الجمهور كافة[1] .

4- تهديد لغتنا العربية :

لا يخفى على أحد أن هناك أزمة تعيشها لغتنا العربية حتى قبل أن تهب علينا رياح العولمة ، وتتمثل هذه الأزمة في : الإقصاء المستمر للغة العربية عن حياتنا بصورة عامة بمظاهر شتى منها : انسحاب اللغة الفصحى من حياتنا اليومية في خطابنا الشفهي أو المكتوب ، وفي المخاطبات الرسمية ، وفي أجهزتنا الإعلامية الرسمية وغير الرسمية ، والسماح باستخدام اللهجات العامية المحلية في تلك الأجهزة الإعلامية بل وأيضاً بخليط من اللغات واللهجات لا هي بالفصحى ولا بالعامية ، وشيوع استخدام اللغات الأجنبية في أسماء المحلات التجارية والشركات والمؤسسات وفي الإعلانات التجارية دون أي ضابط ، وانتشار المدارس العامة والخاصة والأجنبية التي تدرس العلوم المختلفة بلغات أجنبية منذ بداية المرحلة الأساسية من التعليم ، وضعف ورتابة مناهج تدريس اللغة العربية في مؤسساتنا التعليمية وعدم السعي لتطويرها وتحديثها ، وضعف حركة التعريب والترجمة إلى العربية ، وإهمال الدراسات والبحوث المتعلقة بمعالجة اللغة العربية آلياً بواسطة الحاسوب وحالة التبعية اللغوية باعتبارنا مجرد متلقين ومستهلكين لكل شيء من منتجات الحضارة الغربية الحديثة[2] ، وكل ما نستهلكه من ثقافة أو فكر

---

[1] المرجع السابق ، ص163 .
[2] عبدالرشيد عبدالحفيظ ، مرجع سبق ذكره ، ص48 .

أو سلع يأتينا باللغة الأجنبية لغة المنتجين لها ، فالأشياء والمنتجات في أسواقنا أجنبية وأسماؤها أجنبية ودليل استخدامها باللغة الأجنبية ، وإعلاناتها باللغة الأجنبية[1].

وفي ظل ظروف العولمة ستتعمق الأزمة التي تعيشها لغتنا ، ففي الوقت الذي يتم التبشير بالفلسفة الليبرالية الغربية باعتبارها النموذج الأرقى لأسلوب الحياة الإنسانية ، يقال أن اللغة الإنجليزية هي اللغة الأرقى وهي التي ينبغي أن تسود العالم بأكمله ، وفي ظل ثورة الاتصالات والمعلومات التي داهمتنا دون استعداد من جانبنا استطاعت الدول والمؤسسات الغربية استثمارها لتغرقنا بإنتاجها الإعلامي والثقافي الذي يأتينا باللغة الأجنبية من خلال قنوات البث المختلفة ولها جمهورها الواسع لدينا ، والأغلب الأعم من محتوى شبكة الانترنت باللغة الإنجليزية ، والشركات المتعددة للجنسيات التي تغزو أقطارنا يتطلب العمل أو التعامل أو التعامل معها إتقان اللغات الأجنبية ، وكل هذه الظروف تسير في اتجاه إعلاء شأن تلك اللغات الأجنبية واللغات الإنجليزية بوجه خاص على حساب لغتنا العربية[2] .

من كل ذلك نرى أن اللغة وطن ، وما دامت وطناً فلابد أن نذود عن حماه ولذلك عندما يراد هدم وحدتنا والقضاء على انتمائنا وسلب ولائنا ، والسيطرة على عقولنا ، وتحطيم كياننا ، ومسخ شخصياتنا – أي طمس هويتنا – فإن السهام توجه إلى لغتنا ، ومن ثم إلى ثقافتنا باعتبارهما الركنين الأساسيين لمقوماتنا الذاتية ولنا أن نتخيل كيف يمكن لهذه السهام أن تفعل بشبابنا من حيث نظرتهم إلى لغتهم وثقافتهم ، ومن ثم إلى قومهم وعقائدهم وهويتهم ، ولعل هذا هو أحد أهداف العولمة التي بدأت مظاهرها تتبدى فيما يحدث للغة العربية[3] .

والعولمة اختراق ثقافي للغة على رأس أهدافه ومن أولويات وسائله ، فهي نظام يعمل على إفراغ الهوية الجماعية من المحتوي (الثقافة) ويعمل على

---

[1] المرجع السابق ، نفسه.

[2] المرجع السابق ، ص49 .

[3] محمد نور ، أمريكا لا عولمة ، جروكولات ، كولين باول " لإصلاح وتهذيب الغرب ، ط1 (القاهرة ، دار جهاد للنشر والتوزيع ، 2003) ص131 .

التشتيت وانتشت يربط الناس بعالم اللاوطن واللأمة واللاثقافة واللاخصوصية ، ومن ثم اللاهوية . مما أدى ذلك إلى [1]:

– أقسام التعليم باللغة الإنجليزية والفرنسية في كليات التجارة والإعلام والاقتصاد والعلوم السياسية والحقوق وغيرها ثم إلى كثرة استخدام المتعلمين للمصطلحات والكلمات الأجنبية في غمار حديثهم بالعربية بل وفي كتاباتهم .

– وإلى اشتراط إتقان اللغات الأجنبية في جميع إعلانات الوظائف حتى وصل الأمر إلى وضع هذا الشرط عند اختيار الوزراء ،ولم يسمع أحد شيئا عن ضرورة إتقان اللغة العربية ، اللغة الأم ، لغة التعامل اليومي .

– إقامة معاهد تعليم الإنجليزية والفرنسية والألمانية وغيرها من اللغات وأيضاً مراكز تطوير تعليم اللغات ، في الوقت الذي لا يوجد فيه مركز واحد لتطوير تعليم اللغة العربية ، وهي أحوج ما تكون الآن في بلادها وأوطانها ومجتمعاتها وبين متحدثيها إلى مثل هذه المراكز .

– عدم قدرة قطاع كبير من المتعلمين والمثقفين على استخدام اللغة العربية استخداماً سليماً نحواً أو أسلوباً ، وشيوع الخطأ على ألسنتهم وبأسنان أقلامهم بشكل يندي له الجبين [2] .

فتتعمق الحاجة إلى اللغات الأجنبية ويصبح لها بريق خاص ومكانة خاصة بيننا وشعور بسموها في مقابل الشعور بالازدراء للغتنا ، وبكل ما يرتبط ويقترن بهذه اللغة كالمدارس التي يتم بها تدريس العلوم بالعربية ، والمدرسين الذين يقومون بتدريسها ، والسلع التي تحمل أسماء عربية ، وأسماء المحلات والشركات وغير ذلك ، وكل ذلك من شأنه تكريس عملية الإقصاء والإزاحة للغتنا العربية من حياتنا بصورة عامة وبوتيرة أقسى وأمر[3].

الخلاصة تنشأ آثار العولمة في المجال الثقافي من كونها أداة للسيطرة على وعي الشعوب واتجاهاتها الفكرية وربطها بمشاهد وصور ذات طابع إعلامي

---

[1] المرجع السابق ، نفسه .

[2] المرجع السابق ، ص132 .

[3] انظر جلال أمين ، العولمة والتنمية العربية من جملة نابليون إلى جولة الأورجواي ، ط1 (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية ، 1999) ص117 .

تستولي على العقول وتشل فاعليتها ، وتنمط الأذواق من أجل تكريس نوع معين من الاستهلاك لنوع معين من المعرفة والسلع ، ولقد أسهمت ثورة الاتصالات في إحكام سيطرة الثقافة الغربية وبخاصة الأمريكية وتمكينها من نقل القيم الغربية إلى جميع أرجاء العالم ، فالإعلام العالمي بمؤسساته الاحتكارية والإعلامية يمتلك كل الوسائل التقنية من أقمار صناعية وشبكات اتصالات حولت العالم إلى قرية صغيرة ، وتلجأ قوى العولمة إلى توظيف الإعلام ووسائل الاتصال الحديثة لتحقيق عملية الاختراق الثقافي واستعمار العقول بأفكار ومفاهيم معينة .

وحيث أن تكنولوجيات الاتصالات المتقدمة والانترنت تزيد فرص حصول المستهلكين على المعلومات والترفيه إلى جانب السلع والخدمات فإن الثقافة العالمية الجديدة تهدد المعايير المحلية ، وكذلك موردي المعلومات والثقافة المحليين وتشكل الاتصالات الحديثة أساساً لمجتمع مدني دولي ، كما تتيح وسائل الإعلام العالمية إمكانية وجود مجموعة من الثقافات العالمية اللاقومية ، غير أن التجانس بين هذه الثقافات يمثل مشكلة على نحو متزايد ، ويبدي البعض تخوفا من حلول عصر العولمة الثقافية التي قد تتحول تدريجياً إلى فرض عالمي لثقافة الغني ومحو ثقافة الفقير بالتدريج وأن يستبدل بها مالا يتناسب مع مكوناته وأصوله الثقافية .

ثانياً : الحماية من آثار العولمة في المجال الثقافي :

الأقطار العربية بلدان نامية ينطبق عليها جميع آثار العولمة التي ناقشناها سابقاً ، فهي مرتبطة بالاقتصاد العالمي خاصة المتقدم منه في أوروبا وأمريكا الشمالية واليابان ارتباطاً وثيقاً يصعب الفكاك منه انفرادياً[1].

فلابد أولاً أن نقول بأن العولمة أمر واقع ، لأن إنكار العولمة أو الصدام معها بلا وعي هو تخلف في التفكير ونقص في التدبير وإنكار للواقع ، وموقف سلبي لا يلغي واقعاً ولا يضيف جديداً ، التسليم بالعولمة أول الخطوات للتعامل الايجابي والعلمي معها وللتخطيط السليم لمواجهتها ، ومواجهة الخطر تقتضي

---

[1] مجلة المستقبل العربي ، مجلة فكرية شهرية تعنى بقضية الوحدة العربية ، بيروت ، العدد15 ، 2000 ، ص48 .

دراسته ، وعدم الاستهانة بخطورته وبالعمل العلمي الجاد ، وبالجهد الوطني الدؤوب ، وبالتعبئة القومية المخلصة [1].

أما رفع الشعارات التي تتكر أو تشجب أو تكتفي بالرفض والمقاطعة فهي مقومات مناسبة ترشحنا أن نكون أبطالا للفرص الضائعة ، وتحجز لنا مكاناً بارزاً في متاهات التاريخ ، وأساطير معارك طواحين الهواء [2].

فيجب أن ندخل المنافسة في ثورة الاتصالات والمعلومات للحماية من هذه الآثار فندخل العولمة لنكسب تقدماً وعلماً ولكننا نرفض أن نخسر أنفسنا . ويكون ذلك بأن نستفيد من النهضة العلمية والتكنولوجية لتحسين نوعية الحياة ولكن لا نرضى أن يكون هذا على حساب إنسانيتنا وقيمنا الروحية ، ولا فقداً للرموز الجميلة في حياتنا ، ولا ضياعاً للتراحم ، وإحساساً بالأمل وبالطمأنينة نريد رمزاً نلتف حوله وأملاً يوحدنا ، وشيئاً يعزز التماسك بيننا ، لا يمكن أن يكون التقدم أحادياً أو خطياً في التكنولوجيا وحدها ، لكن لا بد من التقدم في التكنولوجيا مع تعظيم الجانب الإنساني في البشر [3].

ولكي نحقق ما ذكرناه سابقاً لابد أن نتصدى للعولمة ، ولكي نتصدى لها ونواجهها لابد لنا وبالتحديد "دول العالم العربي" ، من فهم جيد وحقيقي لهذا المشروع ، فعلينا أن ندرك الآتي[4] :

1. إن العولمة ليست دعوة للتعاون الدولي ، على قدم المساواة بين كافة الشعوب وكافة الثقافات ، ولكنها دعوة إلى خلق عالم أحادي في كل شيء ، تحت سيطرة وهيمنة دول الاستكبار ، الولايات المتحدة الأمريكية ، والدول الأوروبية ، إذن هناك فرق كبير بين العالمية في التعاون بين الدول على أساس من المساواة والمصالح المشتركة وبين العولمة القائمة على الهيمنة والسيطرة للولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا .

---

[1] وداد يوسف كمال ، مرجع سبق ذكره ، ص320 .
[2] المرجع السابق ، نفسه .
[3] المرجع السابق ، ص321 .
[4] المرجع السابق ، ص325 .

2. العولمة ليست مشروعاً علمياً محايداً ، بل هي مشروع أيديولوجي مذهبي . له افتراضاته الفلسفية وهو مشروع لأمركة العالم كله ، وحمله على التخلي عن هويته الثقافية وتبني النموذج الغربي الأمريكي في كل أشكاله وجوانبه .
3. أن الهدف الأعلى لهذه العولمة كل الهيمنة العالمية وتحقيق النصر الكامل للحضارة الغربية على الحضارات المنافسة ، كالحضارة الإسلامية والحضارة الصينية . فهذه الحضارة يخشى هانتنغتون أنها ربما تتحالف ضد الحضارة الغربية وتسعى للإطاحة بها ، ولذلك فهو يحذر الغرب من التعاون مع الإسلام أو مع الصين ، ويحذر كذلك من أخطار انتقال التقدم الإسلامي أو الصيني فهذه الدول في زعم هانتنغتون ، ربما تتحدث ولكنها لم تتغرب ، بمعنى أنها لن تتبنى النموذج الغربي في الثقافة والسلوك ، ولن تتخلى عن عدائها للغرب ، لوجود تناقض بنيوي في اعتقاده بين الإسلام والصين من جانب وبين الحضارة اليهودية والمسيحية من جانب آخر . ومن الملاحظ إلى أي مدى التحريض الذي يمارسه هانتنغتون ضد العالم الإسلامي وعلى الصين ، عندما يتحدث عن إمكانية تحالف بين الكنفوشية المتجددة ودعاة الصحوة الإسلامية المعاصرة ويرى ذلك بكل صراحة عندما يتعمد هانتنغتون الاقتباس من تصريحات الدكتور حسن الترابي عن حتمية أفول الغرب وحتمية سيطرة الإسلام على العالم وعن التناقض بين قيم الإسلام وسادية الغرب . هذه هي بعض الحقائق التي توضح لنا طبيعة العولمة الحديثة ، ومن هنا نعرف كيف ولماذا علينا مواجهة العولمة [1].

وينبغي علينا أن نعرف حقيقة هامة ، وهي أن مقاومة العولمة وحجتها . لا تعني أبداً الانعزال عن مجرى الأحداث ، بل تعني أن نهزم أهدافها في فرض الهيمنة الأمريكية على العالم ، ويمكننا أن نحقق ذلك من داخل منظومة العولمة نفسها ، فإن حروب الأنظمة الظالمة المتكبرة من داخلها ، ربما يكون أسهل بكثير من مواجهتها من الخارج .

ونهذا يمكننا القول بأن مواجهة آثار العولمة في المجال الثقافي تتم عن طريق محاور متعددة ، قبل أن نتعرض لها لا بد وأن نذكر بعض المبادئ الفلسفية

---

[1] المرجع السابق ، ص329 .

العامة التي من خلالها يتحتم علينا مواجهة هذه الأثار والحماية منها ، وهذه المبادئ تتعلق بمسائل جوهرية،تتعلق بنا كأمة ذات هوية ثقافية رفيعة وكحضارة ذات قيم أخلاقية وروحية سامية من هذا المنطلق وانبعاثاً من هذه الهوية وهذا الإرث الحضاري الأخلاقي الرفيع ، فإننا لا نرضى لأنفسنا بالتبعية. ولا نقبل أمتنا وقد أعزها الله لكونها خير أمة أخرجت للناس بالدنية في دينها ودنياها، فنحن حين ننتفض احتجاجاً على مرتكزات العولمة ودلالاتها بغرض الهيمنة والتبعية على أمتنا، فإنما نفعل ذلك استشعاراً لاستقلالنا حضارة وثقافة، وتأكيداً لحقوقنا المشروعة في التمتع بمواردنا الاقتصادية والجغرافية، وتثبيتاً لحقوقنا السياسية[1].والإنسانية أن نجد مكانتنا اللائقة وسط الأمم على قدم وساق من الندية والمساواة والاحترام .

إن تأكيد هويتنا المتميزة ، لا يعني بحال من الأحوال رفضنا للآخر أو عداء الآخر أو الرغبة في إقصاء الآخرين ، إنما رغبة في الطبيعة في أن نتمتع بالسيادة والعزة والكرامة والاستقلالية في أوطاننا ، وننعم بالأمن والسلام في بلادنا ونحن إذ نفعل ذلك، نتمنى هذا بالنسبة للآخرين، غير متعالين، ولا مستكبرين على أحد بل على العكس من ذلك فإن التعاون على البر والتقوى والعدل والإحسان من الجميع هو أصل من أصول الإسلام إلا إذ بادرنا الآخرون بالعداوة والبغضاء والقتال والعدوان ، حينذاك نمارس حقنا المشروع في الدفاع عن النفس[2] .

قال تعالى : (وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾)[3] ، وقال تعالى : (لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾)[4].

---

[1] المرجع السابق ، ص330 .
[2] المرجع السابق ، نفسه.
[3] سورة البقرة ، الآية 190 .
[4] سورة الممتحنة ، الآية 8 .

أن المرتكزات الفلسفية للعولمة ، كما يبشر بها فلاسفتها على العكس من ذلك ، تنطوي على قدر كبير من الاحتقار للآخرين ، من غير أهل الغرب ، وتنطوي كذلك على رغبة عارمة في السيطرة عليهم ونهب أموالهم وتدمير قدراتهم ، وهذه العقلية هي عقلية حرب وعدوان فالحرب والعدوان يتكونان في المقام الأول في الأذهان والأفكار ن قبل أن يتكونانْ في الوجدان والسلوك، فالحرب اليوم كما نعرف والتي تدور بين الحضارات ، إنما هي حرب وصدام ثقافي في المقام الأول وصراع حول السلطة الفكرية وحول السيطرة على أغلى ما يملك الإنسان إلاّ قلبه وعقله ولسانه[1] .

إن الأمر يقتضي وقفة جادة أمام التحديات التي تفرضها العولمة الثقافية كونها تتعلق ليس بحاضرنا فقط بل ومستقبل أجيالنا أيضاً لامتداد تأثيرها في وعي الأجيال القادمة ، ونشير فيما يلي إلى بعض الوسائل التي يمكن من خلالها التصدي والحماية من أثار العولمة الثقافية [2].

1-الاستخدام الواعي للتقنيات الاتصالية والإعلامية الحديثة :

يزخر عصرنا الحاضر بأدوات متعددة للاتصال بلغت ذروة الرقي والتطور من البث الفضائي الذي يغطي كل أرجاء المعمورة ، وشبكة الانترنت التي أصبحت متاحة أمام الجميع بإمكانياتها غير المتناهية بالإضافة إلى وكالات الأنباء والصحف والمجلات والكتب ، إن كل هذه الأدوات والوسائل والتقنيات هي أجهزة محايدة في يد البشر ، أي مجرد قالب يمكن ملؤه بكل مفيد وخيرّ ، ويمكن بالمقابل أيضاً أن يمتلئ بكل قبيح وشر [3].

ومن الممكن أن تؤدي هذه الأدوات خدمات جليلة للمجتمعات كوسائل للتعليم والتثقيف والتنوير والتربية ، وفي نفس الوقت من الممكن أن تكون أداة هدم وتقويض لدعائم هذا المجتمع ، وبالإمكان جعل هذه الأدوات وسائل لمد جسور التواصل والحوار بين الثقافات المختلفة ، ومن الممكن أيضاً أن تصبح أداة سيطرة

---

[1] وداد يوسف كمال ، مرجع سبق ذكره ، ص 331 .
[2] عبد الرشيد عبدالحافظ ، مرجع سبق ذكره ، ص 91 .
[3] المرجع السابق ، نفسه.

وإملاء وفرض وإقصاء واكتساح لثقافة الغير . أو وسيلة لتشويه وخلخلة قيمهم وثقافتهم .

إن من الأهمية بمكان التوجه الواعي إلى الاستغلال الأمثل لأجهزة الاتصال المتوفرة لدينا ، من خلال حسن اختيار المواد الثقافية والإعلامية التي سيتم بثها في هذه الأجهزة الإعلامية ، والارتقاء بمضمون البرامج التي يتم عرضها ، بحيث تلبي حاجات الناس المختلفة ، وتثري عقولهم ، وترتقي بأفكارهم لا أن تهبط بثقافتهم ووعيهم وقيمهم وتكرس قيم الإسفاف والتفاهة واللامبالاة[1] .

كما يجب تحديد نسبة بث المواد الأجنبية في وسائلنا الإعلامية ، حيث يستقبل العالم العربي ما يسمى بظاهرة الإغراق التلفزيوني الفضائي وهي عبارة عن كم من المحطات الأوروبية والهندية والتركية تبث سموماً وبرامج لا تتوافق مع عادات وتقاليد وقيم المجتمع العربي[2].

فالمواد الإعلامية الأجنبية هي بنت واقعها ، وتعبر عن ثقافته وقيمه ، وفي أغلبها مواد ترفيهية لا تحمل أية قيم أو معان ايجابية ، ولا يعني ذلك المقاطعة الكاملة لكل ما هو أجنبي بل الواجب اختيار المواد المناسبة التي لا تتعارض مع قيمنا ومبادئنا وتحمل قيماً ايجابية ومعارف وعلوما أو ترفيهاً بريئاً بعيداً عن الإثارة [3].

ويجب ألا يزيد زمن عرض مثل هذه البرامج التلفزيونية الأجنبية عن نسبة زمنية معينة من زمن البث اليومي ، وهذه ليست بدعة نبتدعها بل هي سياسة قائمة لدى كل الدول التي تحترم ثقافتها وقيمها حتى في الغرب نفسه ، ففي فرنسا تقوم الدولة باتخاذ الإجراءات الكفيلة بحماية اللغة والثقافة الفرنسيتين من التأثير الأمريكي ومنها إصدار قانون يلزم محطات البث التلفزيونية بألا يزيد نسبة البرامج الأجنبية عن 30% من إجمالي البث ، وفي اتفاقية التبادل التجاري

---

(1) المرجع السابق ، ص92 .

(2) عبدالرزاق محمد الدليمي ، عولمة التلفزيون ، ط1(عمان ، دار جرير للنشر ، 2004) ص68 .

(3) عبدالرشيد عبدالحافظ ، مرجع سبق ذكره ، ص92 .

الحربين أمريكا وكندا اشترطت الحكومة الكندية على الإدارة الأمريكية استثناء كل المواد الثقافية والإعلامية من الاتفاق المذكور[1].

كذلك القوانين المعمول بها في دول الاتحاد الأوروبي الذي دخل حيز التنفيذ سنة 1991 يفرض على القنوات التلفزيونية الأوروبية أن تكون أغلبية البرامج التي تبثها (60%) من إنتاج أوروبي[2]، في حين لا توجد إحصاءات دقيقة عن نسبة بث المواد الأجنبية في تلفزيوناتنا .

إلا أن أحد الباحثين يشير إلى أن 58.2% من المواد المبثة في لبنان هي برامج أجنبية ، وتبلغ البرامج الثقافية الأجنبية 69% من مجموع البرامج الثقافية المعروضة[3].

بل أن بعض البرامج الأجنبية تقدم بدون ترجمة إلى اللغة العربية ، كما في البرامج التلفزيونية اللبنانية ، وثلثي برامج الأطفال تبث بلغة أجنبية ، وغالبيتها لا تقدم ترجمة لمشاهديها من الأطفال[4] .

وإلى جانب ذلك فالمطلوب أيضاً التوعية بمخاطر بعض المواد الإعلامية الأجنبية ففي البث الفضائي الواسع النطاق لم يعد بالإمكان التحكم بما يبث وما لا يبث ، حيث يأتي البث من خارج حدود الدول ، ولا يبقى من مجال أمامنا سوى التوعية بمخاطر بعض المواد التي تبثها القنوات الأجنبية من خلال التوعية الدينية والتربية الأسرية ، والتوعية في المؤسسات التعليمية ، والأجهزة الإعلامية ، والمهم لتجنب أثار البث الأجنبي أن نرقى ببرامجنا إلى المستوى الذي يمكن لها منافسة البرامج الأجنبية ، وتغني الأفراد عن التطلع إلى تلك البرامج [5].

---

[1] نقلا عن د. كريم فوحلاوة : الآثار الثقافية للعولمة ، مجلة عالم الفكر ، الكويت 2001 ، ص188 .

[2] أنظر الصادق رابح في بحثه ، وسائل الاعلام والعولمة ، المنشور في كتاب العولمة وتداعياتها على الوطن العربي ، بالاشتراك مع آخرون ، ط1 (بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، 2003) ص146 .

[3] أنظر تعقيب نبيل الرجائي ، العرب والعولمة ، مرجع سبق ذكره ، ص335 .

[4] عبدالرشيد عبدالحافظ ، مرجع سبق ذكره ، ص93 .

[5] المرجع السابق ، نفسه.

2- الاهتمام بالإنتاج الثقافي والإعلامي المجسد لهويتنا :

تميز العصر الحاضر بوفرة الإنتاج الثقافي الإعلامي ، وتعدد أشكاله ، المقروء والمسموع والمرئي ، بل تواجه الأمم اليوم في ظل ظروف العولمة تحدي الإغراق الثقافي والإعلامي بما يعنيه ذلك من طمس تدريجي لهوية الأمم وثقافاتها الخاصة وإحلال ثقافة أخرى بديلة محلها[1] ، على النحو الذي يشكل ظروفا جديدة محيطة تسيطر على ما يفعله الأفراد الذين يعيشون في ظل هذه الظروف ، وتؤثر على الطريقة التي يفكرون ويعملون وفقاً لها . الوسيلة امتداد للإنسان ، فالملابس والمساكن امتداد لجهازنا العصبي المركزي ، وكاميرا التلفزيون تمد أعيننا ، والميكروفون يمد أذاننا ، والآلات الحاسبة توفر بعض أوجه النشاط التي كانت في الماضي تحدث في عقل الإنسان فقط ، فهي مساوية لامتداد الوعي[2] .

إن مواجهة هذا الطوفان من المواد الثقافية الأجنبية بمختلف أشكالها لن يتأتى إلا من خلال توفير البديل المنافي لتلك المواد الأجنبية والذي يحمل مضمون ثقافتنا وملامح هويتنا ، ويسهم في رقي وتقدم الأمة ، والتعبير عن واقعها وأحلامها وتطلعاتها في المستقبل [3].

إن التقدم المطرد في وسائل الاتصال يفرض علينا تحديات كبيرة في كيفية استغلالها والاستفادة من الإمكانيات الهائلة التي توفرها ، فإذا تقاعسنا عن القيام بهذا الدور قام غيرنا به ، وملئوا فراغها على النحو الذي يريدونه وفي هذا السبيل ينبغي القيام بما يلي[4] :

أ. تشجيع إنشاء مؤسسات وشركات كبرى لإنتاج البرامج الثقافية والإعلامية المرئية (السينمائية والتليفزيونية) تكون قادرة على الإنتاج المتميز شكلاً ومضموناً . والقادرة على منافسة المنتج الأجنبي ، مستفيدة من التقنيات

---

[1] المرجع السابق ، ص94 .

[2] محمد عمر الحامي ، مرجع سبق ذكره ، ص76 .

[3] عبدالرشيد عبدالحافظ ، مرجع سبق ذكره ، ص95 .

[4] المرجع السابق ، نفسه .

الحديثة المنظورة في هذا المجال ، وعلى أن تركز نشاطها في تناول قضـــايا المجتمع الحيوية دون تزييف .

2. تشجيع إنشاء شركات كبرى لإنتاج برامج الحاسوب ، حيث لا حدود لأفق هذه البرامج التطبيقية ، والثقافية ، والمعرفية ، والعلمية ، التي يمكن إنتاجها ، غير أن إنتاج هذه البرامج ، يتطلب استثمارات ضخمة لا يقدر على توفيرهـــا إلا الشركات الكبرى في هذا المجال .

3. تشجيع إقامة دور صحفية كبرى لديها القدرة على امتلاك التقنيات المتطـــورة في الطباعة ، والتوزيع ، وتوفير الكادر الكفء ، وشبكة مراسلين تمكنها من منافسة غيرها من الصحف الأجنبية لتمكين القارئ من الحصول على مبتغـــاه من صحفه الوطنية وتغنيه عن اللجوء إلى الصحف الأجنبية .

4. تشجيع إقامة دور نشر كبرى قادرة على امتلاك التقنيات المتطورة في الطباعة والتوزيع على أوسع نطاق على غرار دور النشر الغربية الكبرى .

5. اتخاذ التدابير العملية لإيصال الكتاب المقروء إلـــى قارئـــه بســـعر مناســـب ويقتضي الأمر مساهمة الدولة في هذا الأمر من خلال القيام بشـــراء حقـــوق النشر لسلسلة من الكتب وبخاصة ما يعرف بأمهات المراجع في مختلف العلوم والفنون ، ونشرها بعد ذلك بالسعر المناسب الذي يمكن لأصـــحاب الـــدخول المحدودة الحصول عليها .

6. السعي لأن يكون لنا وجود مؤثر على شبكة الإنترنت التي أصبحت مصـــدراً هاماً للمعرفة والعلم والثقافة ، حيث لا يزال إسهامنا فيها ضئيلاً للغاية الأمـــر الذي يضطر الباحث معه إلى هجـــر المواقـــع العربيـــة والاتجـــاه للمواقـــع الأجنبية[1].

7. تقوية الإرسال من أجل فرض السيادة الإعلامية على الأرض العربية جميعها.

8. تعميق التعاون الإعلامي العربي من خلال الإنتاج التلفزيوني المشترك .

9. الاستفادة القصوى من القمر الصناعي العربي في تبادل البرامج المميزة بـــين الأقطار العربية واستثمارها في مجال تبادل المعلومات .

---

[1] المرجع السابق ، ص95 .

10. تقوية محطات الإرسال وزيادة فاعليتها وإنشاء المحطات الأرضية الخاصة بالاستقبال لاسيما استقبال الخدمات التي تبث عن طريق (عربسات) .

11. الاهتمام بالإنتاج التلفزيوني على اختلاف أنواعه وبالذات البرامج والدراما ونشرات الأخبار وجعلها قريبة من حاجات المشاهد العربي .

12. إيجاد سياسات إعلامية واضحة تفتح المجال للعمل الإعلامي المبدع وإشاعة الأجواء الديمقراطية ومبدأ حرية الاتصال والحصول على المعلومات[1].

3- إقامة منظومة تعليمية تواكب العصر وتلبي الطموحات :

إن التعليم يمثل المفتاح الأول للدخول إلى مضمار العولمة ، من غير أن يسحقنا قطارها المندفع بلا هوادة ، والمنطلق بسرعة جامحة .

ولكي نواجه العولمة في مجال التعليم ، فلا بد أن يكون لقطاع التعليم قدرة كبيرة على إحداث النقلة التنموية الشاملة وأن يحدث تغييراً نوعياً في حياة الناس وفي قدرتهم على مواجهة التحديات والصعوبات التي تجابه مجتمعاتهم ، وفي العالم العربي والإسلامي نحتاج إلى ذلك النوع من التعليم الذي يشكل الفرد والمجتمع بصورة رفيعة وقادرة وفعالة[2].

إن مواجهة تحديات العولمة وتحجيم آثارها وعلى وجه الخصوص العولمة الثقافية مرهون بامتلاك أفراد المجتمع حصانة ذاتية في أنفسهم ، تمكنهم من التفاعل الإيجابي مع الظاهرة وتسخيرها لمصلحتهم .

ومن هنا ، فإن التعليم المتطور الهادف الفعال ، يمثل السلاح الأول في مواجهة العولمة ، ذلك أن قوة الغرب تأتي من امتلاك الثقافة الصناعية والزراعية والسلاح والإدارة والتخطيط [3].

---

[1] عبدالرزاق محمد الدليمي ، عولمة التلفزيون ، مرجع سبق ذكره ، ص57 .

[2] وداد يوسف كمال ، مرجع سبق ذكره ، ص354 .

[3] عبدالرشيد عبدالحافظ ، مرجع سبق ذكره ، ص95 .

وإذا كانت قدرات الأفراد هي نتاج تعليمهم وخبرتهم ، فإن ذلك يدعونا إلى التساؤل عما أعددنا لأبنائنا لمواجهة متطلبات عصر العولمة والمصاعب والتحديات التي تنتصب أمامهم .

إن بناء الفرد يبدأ أولاً من الأسرة ، حيث يتلقى أولى معارفه ويعمر عقله ووجدانه بمجموعة من القيم والمبادئ والمعتقدات الواجب التمسك بها ؛ وأنماط السلوك السوي الذي ينبغي الالتزام بها ، ويألف مجموعة من قواعد وآداب وأنماط السلوك اليومي ثم يأتي دور الجهاز التعليمي حيث يكتمل إعداده التربوي والعلمي ويتلقى المعارف النوعية المتعددة ،ويكتمل وعيه بقيم الجماعة وروح الأمة ، ويتجسد معنى الانتماء لهذا الكيان ، ودوره فيه ،فالفرد في النهاية هو ثمرة ما تلقاه في المؤسسات التربوية التعليمية في المجتمع ، من الأسرة إلى المدرسة إلى الجامعة ، إلى جانب الأجهزة الإعلامية ؛ وتبدو الحاجة ماسة لدينا لتأكيد وتعميق دور الأسرة التربوي ، وإعادة النظر في المناهج العلمية وتطويرها بما يلائم ظروف العصر ، وإيلاء الاهتمام بإعداد المعلم الكفء[1].

والاستفادة من الثقافة المتطورة في المجال التربوي والتعليمي ، وإعادة هيكلة النظام التعليمي ، بما يتوافق مع ظروف المجتمع وحاجاته ، وهذه أهم الواجبات التي ينبغي القيام بها ، نتناولها بقليل من التفصيل في ما يلي [2]:

أ. إن العملية التعليمية مسئولية جماعية وليست فردية مطلقاً :

بالرغم من أن العرف جرى على أن كل فرد يتعلم منفردا وفق قدراته العقلية والحسية ، إلا أن عمليات التعليم تتم بصورة جماعية ، ولذلك على الإدارة التعليمية أن تصل بفكرها وأسلوب إدارتها إلى الجودة الشاملة حتى لا يرى التلاميذ اختلافات جوهرية في القائمين على تعليمهم ومن ثم يتردد كل منهم في الأخذ والاقتباس ؛ وبالتالي قد يحدث مالا يحمد عقباه من عدم الإقتداء بأي منهم ويبحث التلاميذ على قدوة بعيدة عن الحقل التربوي ، أسرة كان أو مدرس ، وتضيع على الأمة في المستقبل كنوز عظيمة قد تحدث التطوير والتغيير المطلوب

---

(1) المرجع السابق ، ص96 .

(2) احمد كامل الرشيدي ، المشكلات المعاصرة للإدارة المدرسية في عصر العولمة (القاهرة ، مكتبة كومبت ، ب.ت) ص230 .

إذا وجدت قدوة جادة مخلصة تؤمن بأن الجودة والإتقان هما وسيلتا الأمن والأمان.

ب. ضرورة تحقيق الإبداع والابتكار لمسايرة المستقبل :

إن جودة التعليم هي جودة حقيقة لصورة المستقبل وبدونها علينا ألا نسأل عن صورة المستقبل ، وليس هناك مفر من البحث عن طرائق مختلفة للوصول إلى قمة الجودة الشاملة ، خاصة وأن العالم لن يقبل إلا الجودة والجيد والألفية الثالثة هي ألفية الإبداع والابتكار وليس هناك إبداع أو ابتكار من غير جودة في الأداء والإدارة ، والسلوك والمهارة ، وأن العالم لن يستجيب مطلقا للوصول للقمة لأى دولة دون أن تكون على أعلى درجة من التميز والتفرد في الإبداع والابتكار المستمر والسريع والمحقق للأهداف المطلوبة للإنسانية .

ج. اعتبار مقياس التميز شرط المنافسة في التعليم :

لقد أصبح التميز في التكنولوجيا هو سمة العصر ، ولذلك فإن المنافسة المحلية العالمية تعتمد على شروط التميز ومقياسه ، وبذلك بدأت المدارس والجامعات تسابق في الحصول على الايزو 9001 ، 9002 ، وغيرها من الدرجات القياسية للتميز والأداء والإدارات كمنطلق لدخول النظام العالمي ، ومن هنا علينا أن نضع للمناطق والإدارة التعليمية على مستوى المراحل المختلفة مقياساً مناسباً للجودة والتميز ، فليس شرط التعليم القراءة والكتابة فقط فهذا شرط أولى ولكن الشرط النهائي للتعليم هو التميز في الإبداع والابتكار ، والدليل على ذلك هو أن جائزة نوبل تعطى للتميز العلمي في المجالات المختلفة تحقيقاً لزيادة خدمة الإنسانية[1].

د. زيادة تحديات العولمة في الألفية الثالثة :

من المهم للقائمين على التربية والتعليم أن يؤمنوا تماماً بأن التحديات التي بدأت تنتشر في كل مكان وكل مجال لن تتوقف مطلقاً ، لأن أصحابها الذين أطلقوا العنان لا يؤمنوا بغير سلاح القوة ، إيمانا بأن البقاء للأقوى والأصلح [2].

---

(1) المرجع السابق ، ص 23 .
(2) المرجع السابق ، نفسه.

ونحن على يقين تام بأن البقاء للأقوى والأصلح في هذا العصر فعلينا أن نعتمد على ذلك الشعار في العمل بسرعة وتنظيم وخطة وتصميم على أن تكون محاور الجودة في كل عمليات التربية والتعليم طريقاً للوصول إلى تحقيق هذا الشعار وتحويله إلى واقع يتحدى تحديات العولمة ويقبل التفاعل معها مؤكداً على التميز النوعي للقومية والوطنية والدين[1].

4- الاهتمام باللغة العربية :

ليست اللغة مجرد أداة تواصل بين أفراد الأمة ، حيث جعل الله اللغة أداة للتخاطب ليتفاهم الناس بها بعضهم مع البعض الأخر ، وليبنوا بواسطتها حضارة قائمة ، ونظاماً مستتباً في مجتمع ينعم من خلاله الناس بالطمأنينة والراحة والأمن[2].

لكن أهميتها تتجاوز ذلك لكونها حاضنة ثقافة الأمة وقيمها وتراثها وتاريخها بأكمله [3].

وللغتنا العربية مكانة إضافية أخرى باعتبارها لغة القرآن ، وبها تؤدي العبادات والشعائر الدينية ، ولقد ظلت لغتنا العربية سجلاً أميناً لحضارة أمتنا في فترات ازدهارها وفترات انتكاسها أيضاً ، وشاهداً على جهود وإبداعات أبنائها عندما كانوا على منصة قيادة مسيرة الحضارة ، ودليلاً على انتكاستهم وتخلفهم عن هذا الركب بعد ذلك[4] .

إن لغتنا لا شك تعيش أزمة هي جزء من أزمة الأمة كلها ، بل هي مرآة حقيقية لواقع الأمة المتخلف ، وفي ظل مناخ العولمة تزداد معاناة لغتنا وتنعكس آثار هذه الظاهرة سلباً عليها بمحاولة إقصائها وتهميشها تدريجياً عن حياتنا وإحلال لغات أجنبية محلها ومعها ثقافات وقيم أجنبية بديلة ، إن مواجهة تحديات العولمة على لغتنا تتطلب التنبيه أولاً لهذه المخاطر ، واتخاذ تدابير مناسبة

---

[1] المرجع السابق ، نفسه .
[2] عبدالملك مرتاض ، التعددية اللغوية في جهود لتعزيز الهوية الوطنية ، مجلة العربي ، العدد503 ، اكتوبر2000 ، ص27.
[3] عبدالرشيد عبدالحافظ ، مرجع سبق ذكره ، ص102 .
[4] المرجع السابق ، نفسه.

لحمايتها ، فهي آخر القلاع التي تتحصن بها الأمة . ومن هذه الإجراءات التي نراها مناسبة ما يلي [1]:

1. إعادة الاعتبار للغة الفصحى في حياتنا اليومية من خلال اتخاذ تدابير عملية في هذا السبيل نحو الإلزام باستخدام الفصحى في الخطاب الشفهي اليومي داخل المؤسسات التعليمية المختلفة ، والحرص على استخدام الفصحى في المراسلات والمعاملات الرسمية ، ثم استخدام الدور المهم للأجهزة الإعلامية المختلفة في صيانة اللغة والرقي بها وبآدابها وتطوير أساليبها ، بحيث لا يسمح بالعمل في هذه الأجهزة إلا للمجيدين للغة الفصحى وحصر المواد التي تقدم بغير الفصحى في أضيق نطاق .
2. السعي لتدريس كل العلوم باللغة العربية ، وفي هذا الشأن سؤال دائم يواجهنا ولا نجد له جواباً : لماذا لا تدرس كل العلوم في مؤسساتنا التعليمية باللغة العربية ؟ وهل حقاً أن لغتنا قاصرة عن أداء هذا الدور ؟

أن لغتنا العربية من أغنى اللغات قدرة على الإبانة لثراء تراكيبها ، والقدرة الفائقة على الإيجاز وإمكانية اشتقاق ونحت الألفاظ والمصطلحات الجديدة منها ، وقد اثبتت اللغة العربية جدارتها على مر العصور ، ويشهد تاريخ الفتوحات الإسلامية على سرعة انتشارها واندماجها في بيئات لغوية متباينة . وقد نجحت في عصور الازدهار أن تكون أداة فعالة لنقل المعرفة[2] .

لقد قام أبناء الحضارة العربية الإسلامية في عصور نهضتها بترجمة سائر فروع العلوم والمعرفة لدى الإغريق ، والسريان ، والهنود ، وغيرهم إلى اللغة العربية وهضموا كل هذا العلوم بلغتهم ثم تفوقوا عليها بإبداعاتهم في كل مجالات العلوم بلغتهم العربية [3].

إن ظاهرة تنامي أعداد المدارس التي يطلق عليها مدارس اللغات ، حيث يتم تدريس العلوم المختلفة باللغات الأجنبية بحاجة إلى دارسة وتقييم علميين ، وينبغي التأكيد في الأخير على أننا هنا لا نعادي تعلم اللغة الأجنبية . بل على

---

[1] المرجع السابق ، ص ص102-103 .
[2] المرجع السابق ، ص103 .
[3] المرجع السابق ، نفسه.

العكس من ذلك تماماً ، فمن المهم جداً تعلم اللغات الأجنبية ، وخاصة اللغات ذات الأهمية في عصرنا كالإنجليزية ،والفرنسية ، والألمانية ، وينبغي إيلاء تعليم هذه اللغات في مؤسساتنا التعليمية اهتماما خاصاً ، ولكن يجب أن يتم تعليمها كلغة إضافية ، لا أن يتم تلقي العلوم بها ، وألا يكون تعلم اللغة الأجنبية على حساب لغتنا العربية.

3. إلزام الطلاب بحفظ عشرة أجزاء على الأقل من القرآن الكريم خلال مرحلة الدراسة الأساسية والثانوية ، فإلى جانب كون القرآن مصدراً للأحكام الشرعية للمسلمين فإن نزوله باللغة العربية قد حفظ هذه اللغة ونقاءها ولاشك أن في المداومة على قراءة القرآن الكريم وحفظة سبيلا إلى إصلاح اللسان ، وتهذيباً لأساليب التعبير ، وفوائد لا تنتهي ولا تنقطع[1] .

4. الاهتمام بتطوير اللغة ومجامعها العلمية حتى تواكب التطور في المفاهيم والمعارف .

5. إعادة النظر في مناهج تدريس اللغة العربية ، لعلنا لا نبالغ كثيراً إذا قلنا أن من الأسباب الرئيسية لأزمة لغتنا العربية يعود إلى المناهج الدراسية الخاصة بلغتنا التي يتلقاها أبناؤنا في مدارسهم ومعاهدهم ، والتي تتسم بالصعوبة والتعقيد غير المبرر ، وبالجمود والرتابة ، وعدم القدرة على الوصول إلى أذهان الطلاب بسهولة ويسر ، وعدم حصول أي تطوير في أساليب دراستها .

6. الاهتمام بالتعريب والترجمة ، علينا الاعتراف أننا تخلفنا كثيراً عن ركب الحضارة ، وأن أمما عديدة سبقتنا بخطوات بعيدة في مضمار التقدم والعلم[2] ، حيث أخذت منا مشعل الحضارة وسارت به خطوات بعيدة إلى الأمام في غفلة منا بعد أن نقلت وترجمت عنا ما أسست به طريق نهضتها عندما كانت لغتنا هي لغة العلم وعنوان التقدم وقتذاك ، ولا مفر أمامنا الآن من الإسراع بكل جهد لنقل تلك العلوم وترجمتها وتعريبها ، وهي مهمة كبيرة لابد من القيام بها.

---

[1] المرجع السابق ، ص105 .
[2] المرجع السابق ، ص ص106-107 .

7. من مظاهر هوان اللغة العربية ذلك التهافت على استخدام أسماء أجنبية للمحلات التجارية والشركات وبعض المنتجات ، وكأن اللغة العربية عاجزة عن الوفاء بهذه المهمة ، رغم سذاجة أغلب تلك الأسماء الأجنبية المستخدمة وافتقارها لأي معنى ، ويقتضي الأمر إزالة هذا التلوث اللغوي ، وعدم السماح بتسجيل أسماء جديدة إلا إذا كانت باللغة العربية . إن دولا مثل فرنسا استشعرت مثل هذا الخطر ولأنها تحترم لغتها وثقافتها ، سنت قوانين تمنع استخدام لغات أجنبية في الإعلانات وأسماء المحلات التجارية وجوانب أخرى .

8. عدم التصريح بدخول أي منتج أجنبي إلى بلداننا إلا إذا كان مرفقاً بها دليل استخدام باللغة العربية .

9. تكثيف الجهود لابتكار التقنيات والبرامج المناسبة للمعالجة الآلية للغة العربية بواسطة الحاسوب .

هناك ثورة في التنظير اللغوي لتطبيق أساليب الذكاء الصناعي وعلوم أخرى على معالجة اللغات الإنسانية بواسطة الحاسوب ، وذلك بهدف إكساب الآلة المهارات اللغوية من اشتقاق وتصريف وإعراب واختصار واستخلاص وفهرسة بل وتأليف النصوص أيضاً .

والمعالجة الآلية للغة تحظي باهتمام سائر الأمم ، وتسخر لها كل الإمكانيات حتى لا تتخلف عن بقية لغات العالم من ناحية ولكسر عزلتها اللغوية من ناحية أخرى ، ويتأكد ذلك إذا ما علمنا أن الكيان الصهيوني يبدي اهتماما خاصاً بتطبيقات المعالجة الآلية للغات الإنسانية بواسطة الحاسوب ، وعلى رأسها العبرية ، ومن هذه التطبيقات نظم الترجمة الآلية ، بل إن الكيان الصهيوني تقدم إلى الاتحاد[1] الأوروبي للقيام بتطوير نظم الترجمة الآلية من اللغات الأوروبية إلى العربية (لا العبرية) ، وهناك محاولات للكيان الصهيوني لاختراق نشاط تطوير البرمجيات في مصر بصورة مستمرة ، وهو ما يستدعي الحذر والتنبه جيداً من جانبنا .

---

[1] المرجع السابق ، ص108 .

5- القضاء على الأمية :

إن الأمية المتفشية في أوساط مجتمعاتنا تحمل مخاطر جمة على هذه المجتمعات في جميع جوانب الحياة ، وهي لاشك من عوامل نقص مجتمعاتنا أمام تحديات العولمة ، وبخاصة فيما يتعلق بآثارها الثقافية والاجتماعية ، إن الفرد الجاهل ستقل قدرته بكل تأكيد على فهم أخطار ما يلقى عليه من مواد إعلامية وثقافية ولا يستطيع أن يميز بين الصالح والطالح منها .

أن ما يثير العجب أن تبلغ أمتنا هذه المرحلة من التاريخ الإنساني وأكثر من نصف تعدادها لا يعرفون القراءة والكتابة ، مع أن أو كلمة في الوحي المنزل على رسولها الكريم كانت كلمة (اقرأ)[1].

إن إلقاء نظرة مقارنة على بعض الإحصاءات المتعلقة بالتعليم والبحث والتطوير التقني في تقرير التنمية البشرية لعام 1999 ، والتقرير الاقتصادي العربي الموحد لعام 1999 ، وغيرها من الإحصاءات ، نجد الفجوة الهائلة التي مازالت تفصل العالم العربي عن العالم المتقدم على الرغم من ازدياد الوعي بهذه التطورات وبعض المحاولات لبلوغها ، ففي جانب التعليم ، تشير البيانات إلى أنه مع ما حققته الدول العربية في مكافحة الأمية ، فإن معدل الأمية ما يزال أعلى من المتوسط العالمي وأعلى حتى من متوسط الدول النامية ، فهناك ما يزيد على 60 مليون عربي أمي ، كما أن هناك حوالي 9 ملايين طفل لا يتلقون التعليم الابتدائي[2] .

إن المطلوب توجه صادق مدعوم بإرادة حقيقية لاستئصال هذه الظاهرة من خلال حملة توفر لها الإمكانيات اللازمة وفي أقل فترة زمنية .

---

(1) عبدالرشيد عبدالحافظ ، مرجع سبق ذكره، ص109 .

(2) تأليف علي عبيد ، العولمة مشاهد ومتناولات ، تصدر عن مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، ط1 (أبو ظبي 2001) ص43 .

الخاتمة

إن العولمة أصبحت أمراً محتوماً وواقعاً لا مناص من الهروب منه أو إخفاء الرأس عنه ، وإذا كانت العولمة بدأت مع نهاية القرن العشرين اقتصادية أصبحت الآن ثقافية ، وهذا هو الخطر الحقيقي على ثقافات الشعوب العريقة وذات الجذور العميقة ، ولأن عامل الصراع والمنافسة أصبح من العوامل الحاكمة فلاشك أن العولمة الثقافية سوف تصبح إحدى الأسلحة الفتاكة لكثير من الشعوب التي ليست لديها القدرة على الدفاع عن هويتها ومصادر ثقافتها .

ولا شك أن العولمة الثقافية أصعب وأفتك أنواع الأخطار على ثقافات الشعوب لما تحدثه العولمة الثقافية من تقارب بين ثقافات الشعوب وذوبان الفوارق الحضارية بينهما والأخطر من ذلك كله صهر ثقافات كثير من الشعوب في بوتقة الثقافة القوية الواردة خاصة وإنها ترضى طموح الكثير من شباب الشعوب الفقيرة لإباحيتها وتحللها من القيم والعادات التي تخدم شهوات النفس البشرية المحرومة .

ومما يخشى على الثقافة العربية ذات الحضارة العميقة آليات تحقيق التقارب التي انتشرت وزادت بمعدلات كبيرة وأصبحت في متناول الفقير قبل الغني وأصبح الإنسان في أي مكان في العالم المترامي الأطراف خاضعاً لتلقي كل أو على الأقل معظم ثقافات الشعوب المختلفة عبر وسائل الإعلام المختلفة ، وعبر تلك المخترعات التي سهلت له الإطلاع على فكر الشعوب وأرائها المختلفة وعاداتها وتقاليدها وديانتها وعلى كل ما تنتجه عقول هذه الشعوب من إبداعات وأفكار في نفس اللحظة التي تنتج فيها أو بعد ذلك بوقت لا يحسب له حساب .

وإذا اعتبر أن خطر العولمة الثقافية محدود إلى درجة ما ، وذلك لأن الثقافة التي يراد عولمتها هي ثقافة الغرب الرأسمالي وغالباً ما تكون ثقافة مادية تلقى من الدفاعات الدينية ما يصد ويرد كيدها في نحرها ، فإننا نؤكد وكما هو معلوم على أن تراث أي أمة من الأمم هو نتاج لعملية تراكم ثقافي تتم عبر تاريخها الطويل وهذا التراكم يشارك في مكون بسيط إضافة إلى جانب مكتسب من الاحتكاك بالثقافات الأخرى ، وبالتالي فالعولمة باعتبارها تفتح أفاقاً لتواصل

ثقافي من نوع جديد بين الأمم بل تنتج ثقافة ذات طابع خاص تشارك الأمم في صنعها لابد أن يكون لها أثرها على تراث كل أمة ، ولكن يظل لكل أمة من الأمم خصوصيتها رغم تأثير العولمة .

ومن هذا المنطلق فإن للعولمة تأثيراً مباشراً على الثقافات ومنها الثقافة العربية مهما صغر دورها ، وتنتج عنها آثار واضحة يمكن تحديدها وتحليلها حيث إن فهم وتحليل إشكالية الثقافة العربية لا يتم بمعزل عن تحليل وضعية الفكر العربي في جميع المجالات الاقتصادية والسياسية والتكنولوجية :

ولقد توصل الباحث ومن خلال البحث في موضوع تأثير العولمة على الثقافة العربية إلى عدة نتائج موزعة حسب الآتي :

* في مجال الاقتصاد المعولم :

- إن الدول العربية تتشتت جهودها الاقتصادية وليس بمقدورها بوضعها الحالي مجابهة الاستثمارات الداخلة إلى الوطن العربي ومن ثم الحد من التحكم بمقدرات الشعوب العربية .

- تتوفر رؤوس الأموال والأيدي العاملة والمصادر البشرية لكن هناك أزمة إدارة في كيفية استغلالها كلها ، ومن ثم تضيع هذه العوامل دون فائدة .

* في المجال السياسي :

- إن الدولة القومية العربية بدأت تضعف وتنتهك سيادتها مقابل إقرار قوانين تسمح بحرية انتقال رؤوس الأموال والسلع .

- تغير مهام ووظائف الدولة التقليدية إذ أصبحت تعمل حارسا لمصالح العولمة .

* في مجال التكنولوجيا المعولمة :

- إن هناك فجوة كبيرة في هذا المجال وإن تغطيتها تحتاج إلى وقت ومال كبيرين جداً للحاق بالغرب .

- إن هناك عدم استغلال للتكنولوجيا المتوفرة لدينا من حاسبات ووسائل اتصال والفضائيات .

- إن سيطرة الغرب على وسائل الإعلام أهلـه لأن يلعـب دوراً رئيـسيا وجوهرياً في تشكيل القناعات لدى الناس من خلال تشكيل رأي عام بخصـوص موضوع ظاهرة العولمة .

- إن امتلاك هذا الكم الهائل من وسائل الاتصال جعل العولمة تصبح نتيجة حتمية وقد قام الإعلام الغربي بتحسين صورتها بحيث تلقى قبولاً لدى المجتمعات العربية .

* في المجال الثقافي :

- تعمل العولمة الثقافية على بناء ثقافة عامة للعولمة بشكل عام .
- تؤدي العولمة إلى إلغاء الحضارات الأخرى وإلغاء خصوصياتها .
- تعمل العولمة على الغزو الثقافي للثقافة العربية محاولة دمجها في ثقافة الغرب
- تسعى العولمة إلى طمس الهويات الثقافية لصالح هويتها ..
- تسعى العولمة من أجل إيجاد سوق استهلاكية من خلال العمـل علـى تسويق الثقافة الاستهلاكية وخلق ثقافة استهلاكية تمكنها من الربح السهل السريع .

يجب التصدي للعولمة ، واتخاذ موقف حذر تجاهها ، وعدم الوقـوع فـي المصيدة التي تقول : أن العولمة أمر حتمي لا فكاك منه ، فليس هناك ما يفرض علينا أوضاعاً لا نريدها ، ولا بأس من التفاعل مع العولمة الثقافية بشرط الحفاظ على الحضارة النوعية التي تحقق كرامة الإنسان في وطنه وتميزه عـن غيـره خارج وطنه وتعظم طاقاته وقدراته الثقافية حتى لا يبتر من جذوره الأساسية .

إن الفكر الأساسية التي نود أن نؤكد عليها من خلال ما أوردنا هي فكرة التحـدي والمواجهة بمعنى أننا إذ نعترف بأن الواقع الجديد الذي نعيشه هو وكل مشتملاته يحتوي العديد من المصادر والأسباب التي تمثل عنصر أو سبب تهديد لنا ثقافيـاً وحضارياً ، ففي نفس الوقت ليس هناك من خيار آخـر مقبـول غيـر التعامـل والتفاعل مع هذه المصادر والأسباب لأن العزلة باتت خياراً غير واقعي .

وعليه وجد الباحث من الضروري وضع التوصيات المناسبة من أجل الحفاظ على الثقافة العربية من تأثير العولمة وفق التالي :

1. إن التفاعل مع مصادر تهديد هويتنا وحضارتنا باق من منطلق اعتبارها تحدياً علينا مواجهته وحافزاً لتدعيم هويتنا والاستمساك أكثر بحضارتنا ، وهذه الرسالة على الجميع أن يدرك أنها ليست باليسيرة وإنما تتطلب تكاتف الجهود العربية من خلال :

أ- تجسير الهوة التكنولوجية بين الإنسان والدولة العربية من جهة وصناعة المعرفة التكنولوجية من جهة أخرى .

ب- العمل على إعداد جيل قادر على التعامل مع الثورة التكنولوجية .

ج- على الدول العربية الحد من انتقال رؤوس الأموال والسلع بما يحفظ صناعاتها الوطنية والحفاظ على الوضع المالي مستقرا .

د- العمل على توحيد الجهود الإعلامية العربية للوقوف أمام الهجمة الثقافية الغربية.

2. إن التطورات التي شهدها العالم تباعا تقول لنا أن القوة الايجابية هي التي تؤثر أما القوة السلبية فهي التي تتأثر بمعنى أن الاكتفاء بتوجيه الانتقادات والاتهامات للعولمة وجوانبها ومظاهرها باعتبارها مصدراً للغزو الثقافي أو الهيمنة الثقافية أو العنف الحضاري ، لن يمنع هذه العولمة من أن تؤتي آثارها علينا ، وعليه يرى الباحث أن على الشعوب العربية التمسك بتراثها الثقافي والإيمان بأن الخير كله في القديم مهما كانت فائدة الجديد .

3. إن الجهود التي يجب أن تتكاتف عليها أن توجه للإجابة على هذه الاستفسارات وتمارس دورها لتقديم إجابات تتوافق قدر الإمكان، وفي هذا المجال يرى الباحث أنه يجب على الشعوب العربية ألا تقف بمفردها، فعليها أن تتعاون مع الثقافات الأخرى التي في نفس موقفها الرافضة لأية محاولة أمريكية للهيمنة .. وإذا تم استعراض الثقافة الفرنسية فهناك أيضاً الثقافة الكندية التي تعارض – مثل فرنسا أية محاولة أو تأثير للعولمة يكون نتاجه فرض الثقافة والحياة الأمريكية

على المجتمعات الأخرى بل أنها اتخذت خطوات أبعد حيث عقدت مؤتمراً خاصاً بهذه المسألة ودعت إليه عدداً من دول العالم التي تتخذ نفس الموقف .

4. إن الموقف الذي تتمسك به الشعوب العربية، هو نفس الموقف لدى العديد من المجتمعات والثقافات الأخرى ، وعليه أرى أن الطريق لتجسيد هذا الموقف هو التعاون لوضع قواعد عامة لاحترام الاختلاف والتنوع الثقافي وإدانة أية محاولة غير مسئولة للتأثير سلباً على هذا التنوع . والتعدد الثقافي يحظى باعتراف ومساندة الكثير من المجتمعات والمؤسسات الدولية . ومن ثم فالجهود المتعاونة الصادقة قادرة على تحقيق هدفها الشرعي المنشود .

إن ما تقدم من توصيات هو جزء لا يتجزأ من التوصيات الثقافية فكل هذه العوامل تؤدي على أقل تقدير عند الأخذ بها إلى التقليل والتخفيف من مخاطر العولمة والعمل على تحصين المواطن العربي ضد هذه الهجمة المعولمة وكذلك حماية الثقافة العربية من الاستلاب والتغريب .

والله ولي التوفيق

المصادر والمراجع

المصادر و المراجع

أولاً: الكتب:

1- أبو ثقليقة، عبد العزيز وآخرون، الثقافة العربية الإسلامية أمن وهوية، ط1 (عمان، منتدى الفكر العربي، 2003ف) .

2- أبو العلا، محمد حسين، ديكتاتورية العولمة، ط1 (القاهرة، مكتبة مدبولي، 2004ف).

3- أمين، جلال، العولمة والتنمية العربية من حملة نابليون إلى جولة الاورغواي، ط1(بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1999ف).

4- بدران، عمر حسن أحمد، الإنسان والعولمة (المنصورة، منشورات مكتبة جزيرة الورد ، ب.ت).

5- بدير، حلمي محمد، العولمة والتجريب وقراءة النص، ط1(المنصورة، عامر للطباعة والنشر، 1999ف).

6- بهاء الدين، حسين كامل، الوطنية في عالم بلا هوية – تحديات العولمة، (القاهرة، دار المعارف، 2000ف).

7- بودبوس، رجب، العولمة بين الأنصار والخصوم، ط1(بنغازي ، دار الكتب الوطنية ، 2002ف).

8- التطاوي، عبد الله ،اللغة والمتغير الثقافي الواقع والمستقبل، ط1 (القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 2005ف).

9-التويجري ، عبدالعزيز بن عثمان ، العالم الإسلامي في عصر العولمة (القاهرة دار الشروق ، 2004) .

10- ثابت، أحمد وآخرون، العولمة وتداعياتها على الوطن العربي، ط 2 (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2004ف).

11- الجميل، سيار، تعقيب على بحث السيد يسين في مفهوم العولمة، كتاب العرب والعولمة (بيروت مركز دراسات الوحدة العربية، 1997ف).

12- الجندي، أنور، الثقافة العربية الإسلامية أصولها وانتماؤها(بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1982ف).

13- الجوهري، محمد، علم الفلكلور، دراسة في الانثربولوجيا والثقافة، (القاهرة، دار المعارف، 1970ف).

14- الجيوسي، سلمى الخضراء، الاتجاهات والحركة في الشعر العربي الحديث، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة، ط1(بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2001ف).

15- حاتم، محمد عبد القادر، العولمة ما لها وما عليها (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2005ف).

16- الحاجي، محمد عمر، عولمة الإعلام والثقافة، ط 1 (دمشق، دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع، 2002ف).

17- حجازي، محمود فهمي، علم اللغة العربية (القاهرة، دار الغريب للطباعة والنشر، بدون سنة نشر).

18- حسين، وداد يوسف كمال، العولمة بين الماضي والحاضر (الإسكندرية، المكتبة المصرية للطباعة والنشر والتوزيع، 2004ف).

19- الحصري، أبو خلدون ساطع،آراء وأحاديث في العلم والأخلاق والثقافة، ط2 (بيروت مركز دراسات الوحدة العربية، 1985ف).

20- حصن، محمد الفرجاني، إفريقيا وتحديات العولمة، ط 2(غريان، المكتبة الجامعية، 2003ف).

21- حماد، محمد فتحي، العولمة، ط 1(كفر الدوار، دار فجر للنشر والتوزيع، 2004ف).

22- حمادي، سعدون وآخرون، اللغة العربية والوعي القومي، ط 2(بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1986ف).

23- خريسان، علي باسم، العولمة والتحدي الثقافي، ط 1(بيروت، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، 2001ف).

24- الخضيري، محسن أحمد، العولمة الاجتياحية، ط 1(القاهرة، الناشر مجموعة النيل العربية، 2001ف).

25- الخولي، بسيوني محمد، موسوعة الدرر الزاهرة في الأصالة المعاصرة، المجلد الرابع، المنطق الثقافي للإسلام (الثقافة الإسلامية)، الجزء الخامس، الثقافة الإسلامية في المعترك (قبرص، مركز دراسات العالم الإسلامي، 2005ف).

26- ـــــــــــ، موسوعة الدرر الزاهرة في الأصالة المعاصرة، المجلد الرابع، الذات الحضارية للإسلام،(الحضارة الإسلامية)، الجزء الأول، مفهوم الحضارة الإسلامية ونظرية نشوئها (قبرص، مركز دراسات العالم الإسلامي، 2004ف).

27- الخياط، عبد الله خليفة، تاريخ العرب قبل الإسلام، ط1(بيروت، دار الكتب الوطنية، 1992ف).

28- الدليمي، عبد الرزاق محمد، العلاقات العامة والعولمة،ط1(عمان، دار جرير للنشر والتوزيع، 2004ف).

29- ـــــــــــ، عولمة التلفزيون، ط1(عمان، دار جرير للنشر، 2004ف).

30- الذاودي، محمود، التخلف الآخر، ط 1(تونس، الأطلسية للنشر، 2002ف).

31- راغب، نبيل، أقنعة العولمة السبعة(القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2001ف).

32- ربيع، حامد، الثقافة العربية بين الغزو الصهيوني وإرادة التكامل القومي، (القاهرة، دار الموقف العربي، 1982ف).

33- الرشيدي، أحمد كامل،المشكلات العصرية للإدارة المدرسية في عصر العولمة (القاهرة، مكتبة كومبت، بدون سنة نشر).

34- زاهد، زهير غازي، العربية والأمن اللغوي (عمان، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، 2000ف).

35- السعدون، حميد حمد، العولمة وقضايانا، ط1(عمان . دار وائل للنشر، 1999ف).

36- سليم، جيهان وآخرون، الثقافة العربية، ط1(بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2003ف).

37- السنوسي، صالح، العولمة أفق مفتوح وإرث يثير المخاوف،ط1(القاهرة، ميريت للنشر والمعلومات، 2003ف).

38- سنو، غسان منير حمزة، علي أحمد الطراح، العولمة والدولة – الوطن والمجتمع العالمي، ط1(بيروت، دار النهضة العربية، 2002ف).

39- سنو، مي العبد الله، الاتصال في عصر العولمة، ط2(بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 2001ف).

40- السيد، عاطف، العولمة في ميزان الفكر، دراسة تحليلية(القاهرة، فلمنج للطباعة،2002ف).

41- صالح، كامل فرحان، الشعر والدين، ط1(بيروت، دار الحداثة للطبع والنشر والتوزيع، 2005ف).

42- صقر، عمر، العولمة وقضايا اقتصادية معاصرة(حلوان، الدار الجامعية للنشر،2001ف).

43- الضبيب، أحمد بن محمد، اللغة العربية في عصر العولمة، ط1(الرياض، مكتبة العبيكان، 2001ف).

44- ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي – العصر الجاهلي، ط23(القاهرة، دار المعارف، 2001ف).

45- ــــــــــــــ، تاريخ الأدب العربي – العصر الإسلامي، ط20(القاهرة، دار المعارف، 2002ف).

46- طحان، أحمد، عولمة الكراهية، ط1(بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع،2003ف).

47- الطرابيسي، أحمد، النص الشعري بين الرؤية البيانية والرؤيا الإشارية، (القاهرة، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، 2004ف).

48- العايد، حسن عبد الله، أثر العولمة في الثقافة العربية،ط1(بيروت، منشورات دار النهضة العربية،2004ف).

49- ــــــــــــــ، المتغيرات الدولية وسيناريوهات الثقافة العربية،ط1، (بيروت، منشورات دار النهضة العربية، 2004ف).

50- عبد الإله، بلقزيز، العولمة والهوية الثقافية (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ب.ت).

51- عبد الحافظ، عبد الرشيد، الآثار السلبية للعولمة على الوطن العربي وسبل مواجهتها، ط1 (القاهرة، مكتبة مدبولي، 2005ف).

52- عبد السلام، رضا، انهيار العولمة (الإسكندرية، الدار الجامعية، 2003ف).

53- عبد الغني، أمين سعيد، الثقافة العربية والفضائيات (القاهرة، ايتراك للنشر والتوزيع، 2003ف).

54- عبد الكاظم، كامل عبد الكريم، النظم الاقتصادية المقارنة (بغداد، مكتبة دار الكتب للطباعة والنشر، 1988ف).

55- العبد الله، مي، و محمد خولي، الإعلام والقضايا العربية بعد 11 أيلول 2001ف، ط1(بيروت، دار النهضة العربية، 2002ف).

56- عثمان، فاروق السيد، سيكولوجية العولمة، ط1(القاهرة، دار الأمين للنشر والتوزيع، 2003ف).

57- العطار، علي، العولمة والنظام العالمي الجديد، ط1(بيروت، دار العلوم العربية، 2002ف).

58- عقيل، حسين عقيل، وآخرون، التصنيف القيمي للعولمة (فالليتا، منشورات ELGA، 2001ف).

59- عمارة، بثينة حسنين، العولمة وتحديات العصر وانعكاساتها على المجتمع المصري، ط1(القاهرة، دار الأمين للطباعة 2000ف).

60- عوض، يوسف نور، المقومات الإسلامية للثقافة العربية (بيروت، دار القلم، ب.ت).

61- الفار، مصطفى محمد، باقات من النثر العربي الحديث، ط1(عمان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2000ف).

62- فارنيي، حان ، عولمة الثقافة ، ترجمة عبد الجليل الأزدي،ط1(دمشق، دار الفكر، 2002ف).

63- فريدمان، توماس، السيارة لكساس وشجرة الزيتون، محاولة لفهم العولمة، ترجمة : ليلى زيدان، ط2(القاهرة، الدار الدولية للنشر والتوزيع، 2001ف).

64- الفورتية، أحمد جهان، القيم التربوية في الشعر العربي القديم، ط1، (مصراتة، دار مكتبة الشعب، 2003ف).

65- فوكوياما، فرنسيس، نهاية التاريخ وخاتم البشر، ترجمة: حسين أحمد أمين، ط1(القاهرة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، 1993ف).

66- القطاطشة، محمد، العولمة، ط1(عمان (د.ن) 2001ف).

67- الكعبي، عبد الحكيم غنتاب، أحمد محمد انديشة، دراسة في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط1(مصراتة، دار الشعب للطباعة والنشر والتوزيع، 2005ف).

68- الكفري، محمود عبد الحميد ، دول محور الشر الإرهابية – أمريكا..بريطانيا..إسرائيل ، ط1 (دمشق ، دار قتيبه ، 2003).

69- لبيب، الطاهر، سوسيولوجيا الثقافة، ط2(الدار البيضاء، دار قرطبة للطباعة والنشر، 1986ف).

70- ليكلرك، جيرار، العولمة الثقافية الحضارات على المحك، ترجمة جورج كتورة، ط1(بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2004ف).

71- المبروك، محمد ابراهيم، وآخرون، الإسلام والعولمة، ط2(الجيزة ، الدار القومية العربية، 1999ف).

72- مجيد، كمال، العولمة والديمقراطية، ط1(لندن، دار الحكمة، 2000ف).

73- المحامي، المأمون علي جبر عمار، أخلقة العولمة بالسلوك الفطري (القاهرة، مكتبة الآداب، 2002ف).

74- محفوظ، محمد، الحضور والمثاقفة – المثقف العربي وتحديات العولمة، ط1 (الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 2000ف).

75- محمد، سيد محمد، الغزو الثقافي والمجتمع العربي (القاهرة، دار الفكر العربي، 1994ف).

76- المصري، منذر واصف، العولمة وتنمية الموارد البشرية، ط1(أبو ظبي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، 2004ف).

77- مصطفى، سيد أحمد، تحديات العولمة والتخطيط الاستراتيجي، ط2 (الزقازيق، كلية التجارة بنها، 1999ف).

78- المقدس، أنيس، تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، ط9(بيروت، دار العلم للملايين، 1998ف).

79- موافي، عثمان، من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي القديم (الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1994ف).

80- موسى، منيف، في الشعر والنقد (بيروت، دار الفكر العربي،1993ف).

81- الموسوي، مناف مهدي محمد، مباحث لغوية من حياة اللغة العربية،(دار البلاغة، 1992ف).

82- موصللي، أحمد، لؤي صافي، جذور أزمة المثقف في الوطن العربي، ط1 (دمشق، دار الفكر، 2002ف).

83- مولار، هارالد، ، تعايش الثقافات مشروع مضاد لهنتنغتون، ترجمة ابراهيم أبو هشهش ، ط1(بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2005ف).

84- ناطورية، علاء الدين، العولمة وأثرها في العالم الثالث (عمان، دار زهران للنشر والتوزيع، 2001ف).

85- نوار، محمد، أمركة لا عولمة، برتوكولات "كولين باول" لإصلاح وتهذيب العرب، ط1(القاهرة، دار جهاد للنشر والتوزيع، 2003ف).

86- الهاشمي، محمد، العولمة الدبلوماسية والنظام العالمي الجديد، ط1(عمان، دار أسامة للنشر، 2003ف).

87- وافي، سلامة رشدي محمد، الممتاز في اللغة العربية، ط1(طرابلس، مكتبة الرسالة، 2005ف).

88- الورفلي، ونيسة الحموني، العولمة والدولة، ط1(طرابلس، منشورات أكاديمية الدراسات العليا، 2004ف).

89- ولد أباه، السيد، اتجاهات العولمة، ط1(الدار البيضاء، الناشر المركز الثقافي العربي، 2001ف).

90- يسين، السيد، وآخرون، العرب والعولمة، ط3(بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2000ف).

ثانياً: الدوريات:

1- أحمد عصام الصفدي، الثقافة،جريدة الأهرام، العدد 9627، 2005ف، ص10.

2- حسن نافعة،وآخرون، العولمة قضايا ومفاهيم، سلسلة محاضرات الموسم الثقافي، القاهرة، 2000ف، ص32.

3- السيد يسين، في مفهوم العولمة، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد228، 1998ف، ص7.

4- عبد الخالق عبد الله، العولمة جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها، مجلة عالم الفكر، العدد2، 1999ف، ص50.

5- عبد الفتّاح محمد العيسوي، الجانب التربوي في القصص القرآني، مجلة الثقافة العربية، تصدر عن مجلس تنمية الإبداع الثقافي بالجماهيرية، العدد264،2005ف، ص23.

6- عبد الملك مرتاض، التعددية اللغوية فخ جديد لتمزيق الهوية الوطنية، مجلة العربي، العدد503، اكتوبر2000، ص27.

7- علي القريشي، العولمة المركزية الأمريكية، مجلة المجال، تصدر عن جامعة عمر المختار، البيضاء ، العدد الثاني، 2004ف، ص39.

8- عمر عبد الكريم، العولمة مفهومها، مكتبة الأهرام للبحث العلمي، 2004ف، ص4.

9- كريم أبو حلاوة، الآثار الثقافية للعولمة، مجلة عالم الفكر، الكويت، 2001ف، ص188.

10- كرم سعيد، العولمة قراءات إستراتيجية، إصدارات مكتبة الأهرام للبحث العلمي، العدد2، 2003ف، ص26.

11- كميل امبارك، العولمة من الناحية الثقافية، المصدر الحياة الأهرام، العدد 14571، 2003ف، ص136.

12- مجلة المستقبل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، العدد222 ، 1997 ص26 .

13- مجلة المستقبل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، العدد16 ، 1980 ، ص53 .

14- الأهرام ، العولمة ، إصدارات مكتبة الأهرام للبحث العلمي ، 2004/3/9 ، ص26 .

15- محمد سعيد إدريس، العولمة، منشورات مكتبة الأهرام للبحث العلمي، 2003ف، ص1.

16- محمد الكوني، العولمة والهيمنة، مجلة دراسات شعبة التثقيف، مكتب الاتصال ، طرابلس، العدد5، ص8.

17- محمد عابد الجابري، العولمة والهوية الثقافية، ندوة مركز دراسات الوحدة العربية، 1997ف، ص ص14-16.

18- ــــــــــ، عشر أطروحات، مجلة المستقبل العربي، العدد 228، 1998ف.

19- ــــــــــ، العلاقات الثقافية الإفريقية والعربية، مجلة الثقافة العربية، تصدر عن مجلس تنمية الإبداع الثقافي بالجماهيرية، العددان262-263، بنغازي، 2005ف، ص43.

20- محمد عبد الحميد، العولمة، المصـــدر الأهـــرام المســـائي، العـــدد 4770، 2004ف، ص37.

21- محمد فهيم درويش ، العولمة من الناحية الثقافية ، منشورات مكتبة الإهرام للبحث العلمي ، العدد 15849 ،2003 ، ص125 .

22- مختار التهامي ، السياسة الدولية ، العدد116 ، 1994 ، ص301 .

23- نايف علي عبيد ، العولمة مشاهد وتساؤلات ، مركز الامـــارات للدراســـات والبحوث الاستراتيجية ، 2001، ص43 .

24- نبيل علي ، الثقافة العربية وعصر المعلومات ، سلســـلة عـــالم المعرفـــة ، العدد265 ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 2001 .

25- نصر محمد مرسي ، الدور المنطقي للحوار في بناء المفـــاهيم والأفكـــار ، مجلة المجال ، تصدر عن جامعة عمر المختار ، البيضـــاء ، العـــدد الخـــامس ، 2005 ، ص72 .

26- نظام محمود بركات ، التبادل اللامتكافئ بين الثقافتين العربيـــة والغربيـــة ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، تصدر عن جامعة الكويـــت ، مجلـــس النشر العلمي ، ص145 .

27- ـــــــــــــــ ، الجديد للعلوم الإنسانية ، مجلة علمية تصـــدر عـــن شعبة الترجمة والنشر بالمركز القومي للبحوث والدراسات العلمية ، عـــدد 2+1 ، 1997 ، الجماهيرية ، ص108 .

28- هشام البعاج، سيناريو ابستمولوجي حول العولمة، مجلة المستقبل العربـــي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد247، 1998ف، ص43.

ثالثاً: الرسائل العلمية:

نادية بدر الدين أبو غازي، الدولة والثقافة في مصر، دراسة للسياسة الثقافية وانعكاساتها على البيئة الفكرية 1970- 1981 ف، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في العلوم السياسية، جامعة القاهرة، 1993 ف.